

الملاح خلد

لابن الحلاج

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البدرى
المالكي الفاسي
المتوفى في ٧٣٧ هجرية

الجزء الثالث

مكتبة دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فصل في ذكر آداب المجاهد وكيفية نيته وهديه

قد تقدم رحمة الله وإياك آداب العالم وهديه وما احتوت عليه نيته فالمجاهد وغيره تبع له في ذلك كله إلا شيئاً قليلاً اختص به العالم وشيئاً قليلاً اختص به المجاهد يقع ذكره إن شاء الله تعالى . ولتعلم أن الجهاد ينقسم إلى قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر فالجهاد الأكبر هو جهاد النفوس لقوله عليه الصلاة والسلام (هبطتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) والكلام عليه يأتي إن شاء الله تعالى في ذكر آداب الفقير المنقطع . والكلام هنا إنما هو على الجهاد الأصغر وهو جهاد أهل الكفر والعناد وهو من أجل الطاعات وأعظمها . وقد تقدم أن أفضل الأعمال طلب العلم لأن به يعرف المجاهد فضيلة الجهاد وكيف يجاهد وبماذا يصح له الجهاد وبماذا يفسد وكذلك غيره من أمور الدين فكان أفضل الأعمال لما جاء في تفضيله في الحديث الصحيح والحديث ليس على عمومته لأن ذلك راجع إلى أحوال الناس فرب شخص ليس فيه أهلية لطلب العلم وهو قادر على الجهاد لما فيه من فضل القوة والشجاعة والاقدام فالجهاد في حق هذا يتأكد أمره وآخر يكون فيه ذكاء وفهم وحفظ وتحصيل للمسائل وهو ضعيف في نفسه ليس له قوة على الضرب والطعن فطلب العلم لمثل هذا يتعين وقد يتعين عليه الجهاد بحسب حال الوقت . وبالجملة فالجهاد فيه فضل كبير جاء به الكتاب العزيز والحديث الصحيح . لكن ينبغي للمجاهد أن لا يدخل في الجهاد حتى يسأل أهل العلم عما يلزمه في جهاده إن لم يعلمه . لقوله عليه

الصلاة والسلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم) قال العلماء المحققون في معناه ماوجب عليك عمله وجب عليك العلم به انتهى فيعرف أولا الأحكام اللازمة له وحينئذ يدخل فيه فيبدأ بما ذكره علماءنا رحمة الله عليهم من الأحكام اللازمة فمن ذلك أنهم قالوا شرط وجوب الجهاد سبعة وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغاً ذكراً حراً مستطيعاً بصحة البدن والمال وفرائض ستة النية وطاعة الامام وترك الغلول والوفاء بالامان والثبات عند الزحف وأن لا يفر واحداً من اثنين

فصل في الغنمة

والغنمة يستحقها من اتصف بعشرة شروط السبعة المتقدم ذكرها وأن يكون خرج للجهاد لا للتجارة ولا للاجارة وأن تكون الغنمة حصلت بالقتال أو ما أوجف عليه بالخيول والركاب

فصل في حكم الاسارى

والامام مخير في الاسارى بين خمسة أشياء القتل والاسترقاق والمن والفداء والجزية

فصل في الأوصاف الموجبة للجزية

الجزية واجبة بعشرة أوصاف الكفر والاقامة عليه بدار الاسلام وأن يكون عاقلاً بالغاً ذكراً حراً غير معتق لمسلم قادراً على أدائها ولا يكون قرشياً ولا مرتداً

فصل في حكم المرتدين

دار المرتدين تفارق دار الحرب من أربعة أوجه أحدها أنهم لا يهادنون على الإقامة يندم الثانى أنهم لا يصلحون على مال يقرون به على ردتهم الثالث لا تسترق رجالهم ولا تسبي نساؤهم الرابع لا يملك الغانمون أموالهم وهى أيضا تفارق دار الاسلام من أربعة أوجه أحدها أنه يجوز قتالهم مقبلين ومُدبرين

كالمشركين الثاني اباحة دمايتهم أسرى ومنتعين الثالث أن أموالهم تصير فيئاً للمسلمين
الرابع بطلان مناكتهم

فصل في قتال الفئة الباغية

وهي التي تفارق الإمام ورأى الجماعة وتنفرد بمذهب مبتدع وتنزل بدار ويفارق
قتالهم قتال المشركين من ثلاثة عشر وجهاً . أحدها أنهم يقاتلون بنية ردعهم ولا
يتعمد به قتلهم . الثاني يقاتلون مقبلين ويكف عنهم مدبرين . الثالث لا يجيز على
جريحهم . الرابع لا تقتل أسراهم . الخامس لا تسبي نساؤهم . السادس لا تسبي
ذرائعهم . السابع لا تنغم أموالهم . الثامن لا يهادنون على الإقامة يلدهم . التاسع
لا يصالحون على مال يقرون به على بدعتهم . العاشر لا يستعان على قتالهم بمشرك
الحادي عشر لا ينصب عليهم الرعادات . الثاني عشر لا تحرق عليهم بيوتهم . الثالث
عشر لا تقطع أشجارهم

فصل في حكم المحاربين

قتال المحاربين كقتال الفئة الباغية في عامة أحوالهم إلا في خمسة أشياء يخالفونهم
فيها . أحدها أنهم يقاتلون مقبلين ومدبرين . الثاني يجوز أن يتعمد في الحرب
قتلهم . الثالث أنه يجوز حبس أسراهم لاستبراء حالهم . الرابع أنهم ضامنون لما
استهلكوه من دم أو مال في الحرب وغيره ولا يجوز ذلك في الفئة الباغية بعد
انجلاء الحرب . الخامس أن ما أخذوه من خراج وصدقات فهو كالماخوذ غصبا
فعلى من أخذه من يده غرمه . فإذا تحصل عنده معرفة ما ذكر فليكن عالماً
بأحكام صلاة الخوف في الحالتين من قتال وغيره وكيفية ما يلزمه من ذلك كله
وكذلك يتعين عليه معرفة أحكام التيمم وفي أي وقت يلزمه وفي أي وقت
يحرم عليه ومسائله . وقد تقدم بيان هذا عند ذكر غسل المرأة في بينها وكذلك

ينبغي له أن يعرف أحكام صلاة المسافر وفي أي وقت يقصر وفي أي وقت يتم وذلك كله موجود في كتب الفقهاء متيسر على المستمع لمن جاء اليهم مستفتيا لأن الصلاة هي عماد الدين وبها قوامه فإذا كان المجاهد يخل بها أو يركن من أركانها كان تركه للجهاد أولى به بل أوجب عليه إذا لم يتعين. فإذا تعين والحالة هذه كان عاصيا وإن كان مجاهداً. وهذه مسألة قد عمت بها البلوى لأننا نرى ونباشر من يخرج إلى الجهاد وغالب أحوالهم عذم الفقه وعدم المعرفة بكل ما ذكر أو بالكثرة وقل من يجده منهم يجتمع بأحد من أهل العلم ويسأل عما يلزمه من الأحكام فيما ذكر سيما صلاة الخوف التي ما بقيت تعرف عندهم في الغالب ولا تدرى إلا في كتب الفقهاء كأنها حكاية تحكى سيما صلاة المسابقة فإنها كادت لا تعرف أيضاً لعدم فاعلها وقلة السؤال عنها فيخرج المجاهد وهو عند نفسه أنه في طاعة وهو يقع في مخالقات جملة لعدم التلبس بمعركة ما ذكر وقد يكون سيما إلى وقوع الرعب في قلبه من العدو وانتهزامه عند رؤيته فإن العدو إنما يستعده بإقامة هذا الدين. قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصَرُوا اللَّهُ يَنصَرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ قال علماءنا رحمة الله عليهم نصر العبد لربه هو اتباع أمره واجتتاب نهيه فإذا فعل ذلك كان سيما لنصرة الله تعالى له وأمنه مما يخاف سيما والمجاهد إنما يجاهد لأجل الدين والصلاة هي عماده وبها قوامه وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جاءه كتاب من بعض جيوشه بالشام وهم يخبرونه فيه بأنهم قد افتتحوا البلدة التي نزلوا بها وكان الحرب بينهم وبين أهلها من أول النهار إلى الزوال فبكى حتى بليت دموعه لحسبته قيل له أتبكي والنصر لنا فقال والله ما لكفر يقف أمام الإسلام من غدوة إلى الزوال إلا من أمر أحد ثمموه أتم أو أنا - فالظر إلى ما قرره عمر رضى الله عنه ما نظر في النصر وعدمه إلا بصلاح الحال وفساده فيما بين العبد

وربه فأين هذا الحال الذى ذكر من حال أكثر الناس اليوم فى كونهم يخرجون الصلاة عن وقتها ويقضونها بعد ذلك ولا قائل به من المسلمين أعنى جواز إخراجها عن وقتها عمدا من غير عذر شرعى والعذر الشرعى إنما هو زوال العقل أو استناره . ألا ترى أن المساييف تجب الصلاة عليه وهو يضارب ويجوز له أن يتكلم إن اضطر إلى ذلك وهو يصلى ويجوز له أن يصلى لآى جهة كانت ويكبر ويقرأ وكذلك الغريق تجب الصلاة عليه فى حال غرقه والمصلوب إلى غير ذلك فكل هؤلاء صلاتهم إنما هى بالإيماء واللسان واغتفر فى حقهم ومن شابههم ترك فرائض الصلاة جملة فى حال صلاتهم إذ ذاك خيفة على الوقت أن يخرج فلو ترك أحدهم ما لزمه من الاتيان بالصلاة فى الوقت على الصفة المذكورة كان عاصيا وإن قضائها بعد خروج وقتها لأن علماءنا رحمة الله عليهم قد اختلفوا فمن أخرج الصلاة عن وقتها متعمدا هل عليه قضاء أم لا فالمشهور أن القضاء واجب عليه وأنه آثم فيما فعله من التأخير وذهب بعضهم إلى أنه لا قضاء عليه بناء منهم على أنه مرتد وحكمه معروف . وما ذكر فى حق المجاهد من تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها هو موجود بعينه فى كثير من الحجاج كما هو مشاهد من أحوالهم وأنهم يحصلون الزاد والراحلة وما يحتاجون إليه من ضروراتهم بخلاف ما يحتاجون إليه من أمور دينهم فقل من يسأل عن مسائل التيمم وقصر الصلاة وإتمامها وأحكام الحج ومناسكه وإن وجد ذلك من بعضهم فالغالب منهم أنهم يعتنون فى المناسك بأدعية معلومة على قانون معروف فيعملون عليها ويتركون ذكر الأحكام فى الغالب . وقد كره مالك رحمه الله تعيين الدعاء لبعض الأركان وقال هذه بدعة إنما يذكر الله ويدعو بما يرياله أو كما قال . ثم نرجع إلى ما كنا بسيله من أمر الجهاد فنأهم ما يقدم فيه قبل الخروج إليه وعند حسن النية واهتمامه بها والتعويل عليها . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان

حين جاءه الأعرابي فقال له يا رسول الله ما القتال في سبيل الله فإن أحدنا يقاتل
 غضبا ويقاتل حمية فرفع اليه رأسه قال وما رفع اليه رأسه إلا أنه كان قائما فقال
 (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) فقد اتضح وبان ما يتولى
 المجاهد حين خروجه وتلبسه بالقتال. وأما ما يقع له بعد تصحيح نيته فغير مانواه
 لا عبرة به ولا يؤاخذ به لأن الأعرابي قال فإن أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية
 فأجابه عليه الصلاة والسلام بما تقدم ذكره فدل على أنه إذا نوى أن يقاتل
 لتكون كلمة الله هي العليا لا يضره ما اعتراه بعد ذلك من قتاله غضبا أو حمية أو
 ما أشبههما لأن هذا كله من وساوس الشيطان ونزغاته وهو اجس النفوس التي لا تملك
 والله عز وجل قد رفع ذلك عنا ومن علينا بترك المحاسبة عليه ببركة هذا النبي
 الكريم على ربه عز وجل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه لما نزل
 قوله تعالى ﴿وَأَن تَبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَابِسْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الآية ضج الصحابة
 رضى الله عنهم وأتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله كلفنا
 الصلاة والصوم والزكاة والحج فقبلناه وأما ما يقع في نفوسنا فلا تقدر عليه
 أو كما قالوا فعلمهم عليه الصلاة والسلام الأدب مع الربوبية فقال أنقولون
 مثل ما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا
 وأطعنا فأنزل الله تعالى ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعًا﴾ الى آخر السورة فرفع الله
 تعالى الاصر عنهم وعدم المؤاخذه بالوساوس والهواجس. ولأجل هذا المعنى
 الذي نحن بسيله قال عليه الصلاة والسلام لما أن جاءه أصحابه يشكون له بما
 وقع لهم من هذا المعنى فقالوا انا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به فقال
 صلى الله عليه وسلم أوجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان الحمد لله الذي
 رد كيده لهذا فقوله عليه الصلاة والسلام ذلك صريح الايمان يعنى في دفعه
 وتعاظم الامر عندهم لافى نفس وقوعه وقوله عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي

رد كيده لهذا وذلك أن ابليس اللعين لم يقنع منهم في الجاهلية حتى جعلهم ينشرون خشبا وينحتون حجارة ويجعلونها صورا يسجدون لها ويعبدونها من دون الله عز وجل وهم قد صنعوها بأيديهم فلما أن جاء الاسلام وظهر أمره وانتشر ليس ابليس اللعين أن يردم الى ما كانوا عليه فلم تبقر له حيلة الا الوسواس والهواجس المشوشة على قلوب المؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي رد كيده لهذا . فحمد صلى الله عليه وسلم ربه على كونه اللعين عجزت قدرته عن جميع الحيل اذ أن ما بقى له من الحيل الا الوسواس والهواجس وذلك غير مؤاخذ به من وقع له ولو وقف المكلف مع ما يقع له من الهواجس قل أن يتأقلمه أداء عبادة بسبب تسليطه . فالحاصل أنه يقاتل أولا بنية أن تكون كلمة الله هي العليا كما تقدم وأن يحتسب نفسه وماله لله عز وجل لقوله تعالى ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ الى آخر الآية وقوله تعالى ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ وقد نقل الشيخ الامام أبو محمد عبد الحميد الصدقي المشهور بابن أبي الدنيا قال روى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال قال عمارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدين ليلا والتعبية هي تسوية الصفوف وتقديم العمل الصالح بين يدي القتال من الامام والناس من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليرجى به الظفر والنصر قال الله تعالى ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ ثم الادارة على العدو والخديعة له من أسباب الظفر . أخرج مسلم بن الحجاج في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد غزوا ورى عنه بغيره . ومن الخدع في الحرب ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأحزاب . روى أن رجلا من المسلمين كان لا يكتم الحديث وكان مع المشركين عام الأحزاب وكان يأتي

النبي صلى الله عليه وسلم فقال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم ان بنى قريظة قد مالوا عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعنا أمرناهم بذلك فأنى الرجل أبا سفيان فقال هل علمت محمدا يقول ما ليس هو قال لا قال فانه يقول في بنى قريظة لعنا أمرناهم بذلك قال سنظر فأرسل الى بنى قريظة قال نحب أن تعطونا رهائز ووافق ذلك أن كان ليلة السبت للقدر المقدور فقالوا نحن في السبت فان انتضى فعلنا فقال أبو سفيان نحن في مكر بنى قريظة فألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب وأرسل عليهم ريحا وجنودا لم يروها ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال . وكانت هذه من الخزع التي خدعهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنه عن ابن أبي أوفى قال سمعته يعني النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على الأحزاب اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فهذا الدعاء ينبغي أن يدعى به عند ملاقة العدو اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنه عن المهلب بن أبي صفرة عن سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (ان يأتكم العدو فقولوا حم لا ينصرون) ومنه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض . ومنه عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (ابغوني في ضعفائكم فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم) ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ابغوني في ضعفائكم أى اطلبوني أى انه يكون معهم . ويؤيد ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى (انا مع المنكسرة قلوبهم من أجلي) فاذا كان الله معهم فهم منصورون ويريد بالضعفاء والله أعلم الذين لم يكن لهم ظهور في الدنيا ولا هم طالبون لها وهم زاهدون في دنياهم راغبون في آخرتهم طائعون لله تعالى ناصرون لدينه فهم منصورون . قال الله تعالى (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقال (والله مع الصابرين) أى بالنصروا المعونة أى

مع الصابرين عن المشتبهات من المحرمات والصابرين على الطاعات وجهاد الكفار فآله ناصرهم ومعينهم . روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لخالد بن الوليد حين بعثه لقتال أهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة . ووجه أبو مسلم قوما إلى الغزو فقال ألزموا قلوبكم الصبر فإنه سيف الظفر واذكروا كثرة الضغائن فإنها تحض على الأقدام والزمو الطاعة فإنها حصن المحارب . ومن الحكمة قوة النفس في الحرب علامة الظفر . ومنها تقحم الحرب ينجح القلب . ومنها الهزيمة تحل العزيمة . ومنها الحيل أبلغ من العمل . ومنها الرأي السديد أجدى من الأيد الشديد . ومنها شدة الصبر فاتحة النصر وينبغي المشورة في القتال وفي كل أمر يعرض . وفي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) إلا أنه ينبغي مشورة من له عقل ودين وتجارب . من كلام الحكمة توق مشورة الجاهل . ومنها لا تشاور من تميل به رغبته أو رهيته . أخرج مسلم ابن الحجاج في صحيحه بالاسناد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) ومنه عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لن يبرح هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة) ومنه عن سعد ابن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) قال البخاري رضي الله عنه ورحمه هذه الطائفة هم أهل العلم وقال القاضي عياض هم أهل السنة والجماعة انتهى كلامه بلفظه . ثم نرجع إلى ذكر بعض فضيلة الجهاد . فمن ذلك ما تقدم من قوله تعالى ﴿ إِنْ أَنْتُمْ لَا تَنْتَهِوا عَنِ الْمُشْكِرِينَ فَسَوْفَ يَنْتَهِوا عَنْكُمْ وَتُنَافِثُوا فِي دِينِكُمْ وَاللَّهُ سَئِيمٌ ﴾ . فليقتلوا ويقتلوا وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده

من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴿ قال الشيخ أبو محمد عبد الحميد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال جعل الله تعالى للجاهدين فى سبيله الصفقتين جميعا . يانه قول الحسن رضى الله عنه أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومع ذلك أقول أيضا هو خالق فعل المجاهد فى قدرته وعزمه على الجهاد فى سبيله ورغبته فكل ذلك فضله ونعمته ومته قل كل من عند الله تبارك وتعالى يسدى على أيدينا الخير ويمنح عن أياديه الجراء وروى فى معنى الآية أن الانصار رضى الله عنهم حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربى أن تعبدوه لا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فإنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع قالوا لا ثقل ولا نستقل . ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابى وهو يقرأ أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية فقال الأعرابى كلام من قال كلام الله تعالى قال بيع والله صريح لا ثقل ولا نستقل فخرج الى الغزو فاستشهد رحمه الله تعالى . فقوله تعالى وعدا عليه حقا قال هذا وعد مؤكد أخبر الله تعالى أن هذا الوعد الذى وعده للجاهدين فى سبيله وعد ثابت وقد أثبتته فى التوراة والانجيل كما أثبتته فى القرآن . وعن الجوهري رحمه الله تعالى ناهيك من صفقة البائع فيها رب العالمين والثمن جنة المأوى والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى ذلك قيل

أكرم بها صفقة فالرب عاقدها على لسان رسول الله من مضر
أثمانها جنة ناهيك من نزل دار بها نعم تخفى عن البشر
أنواع مطعمها من كل شهوتنا شرابها غسل صاف من الكدر
من كل مالذة طابت مواردها وحورها درر ترزهو على القمر

أنى لها ثمن دنيا بها نحن لم يصف مشربها يوماً لمعتبر
ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لأن اخلاف الوعد انما يطأ على البشر
لأحد أمور أو مجموعها وذلك لبخل أوشح خوف الفقر أو محبة الازدياد من
الشهوات أوله جز أولنسيان وذهول أو غير ذلك من الآفات وكل ذلك محال
على خالق الأرض والسموات فهذه الآية اذا فهمت معانيها وحضرت بخلو
القلب وشروط الاستماع لتاليها لا تطالب في الترغيب في الجهاد زيادة عليها
ولا انضمام شيء من المؤكدات اليها وذكر بسنده الى مالك بن أنس في موطنه
عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
(مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر عن صلاة ولا صيام
حتى يرجع) وقال الله تعالى ﴿وائن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون﴾ فهذا وعد من الله سبحانه مؤكدا بالقسم اذ أن القتل في
سبيله أو الموت مقترن بهما المغفرة والرحمة وخبره تعالى ووعدده حق وتأكيده
بالقسم للترغيب في الجهاد وتحقيق لفضله في قلوب العباد. أخرج مسلم في صحيحه
باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تضمن الله لمن
خرج في سبيله لا يخرججه الاجهادا في سبيل وإيماناً بي وتصديقاً برسولي فهو
على ضامن أن أدخله الجنة ان مات أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلاً
مانالاً من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله
الا جاء يوم القيامة كبئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي
نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو في
سبيل الله أبداً ولكن لأجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيشق عليهم أن
يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت أنى أغزو في سبيل الله فأقتل
ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) قوله صلى الله عليه وسلم لا يخرججه الاجهادا في

سبيل وإيماناً بي وتصديقاً برسولي في هذا حض على النية وتخليصها من الشوائب
الدنيوية والمأمورية من النية أن تكون كلمة الله هي العليا وهي الشهادتان وعلو
المستمسك بهما من أهل الإيمان لأن الكفر إذا علا بالضرورة تكون الشهادتان
وشريعة الإسلام السفلى فيقصد بالخروج من بيته هذا مخلصاً ويبيع نفسه
من الله تعالى بالجنة التي وعدها في القرآن أو يجمع الأمرين ابتغاء الجنة وعلو
الكلمتين فإذا صح قصده نال من الله ما وعده. وقوله فهو على ضامن قبل
معناه مضمون. وقوله أو أرجوه إلى مسكنه الذي خرج منه فائلاً ما نال من
أجر أو غنيمة أو بمعنى الواو ورواه أبو داود من أجر وغنيمة. والكلم الجرح
وبلسناؤه إلى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال (لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله
الاجاء يوم القيامة وجرحه يثعب (١) دما اللون لون الدم والريح ريح المسك)
في هذا تنبيه على النية. ومنه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها) وفي حديث أبي أيوب
خير مما طلعت عليه الشمس. الغدوة بفتح الغين السير إلى الزوال مرة واحدة
والروحة السير من الزوال إلى الغروب مرة واحدة. فالمعنى أن ثواب هذه
الغدوة والروحة الواحدة وفضلها ونعيمها على قلتها ويسارتها وخفتها خير من
نعيم الدنيا كلها على كثرتها فإن نعم الدنيا زائلة فانية ونعم الآخرة دائمة باقية أو المعنى
أن الدنيا لو نالها ملك بأسرها وأنفقها لثواب الآخرة وأجرها لكان جزاء هذه
الغدوة والروحة أكثر وفضلها أعظم وأكبر. ومن صحيح مسلم متصلاً عن أبي سعيد
الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يا أبا سعيد من رضى بالله رباً وبالاسلام ديناً
وبمحمد نبياً وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد فقال أعدّها على يا رسول الله ففعل

(١) يثعب بفتح الياء والعين المهملة بينهما مثلة ساكنة معناه يتبيل

ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله (الدرجات المنازل في الجنة بعضها فوق بعض على ما ورد به القرآن والسنة قال تعالى ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾ ومنه عن النعمان بن بشير قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لأعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبالي أن لأعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله تعالى أفضل مما قلتهم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت لأستفتيه فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يسترون عند الله﴾ الآية . وعن أبي سعيد الخدري (أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل فقال رجل يحاهد في سبيل الله بما له ونفسه قال ثم من قال مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره) ومنه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من خير معاش الناس لهم رجل تمسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيلة أو فرجة طار عليه يتبغى القتل والموت مظانه أو رجل في غنيمة في رأس شعبة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة يعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير) فظهر من هذا الحديث فضل الجهاد وشرفه والمواظبة عليه وأن الاكتساب منه خير كسب إذا خمس المغنم ولم يستأثر على الغايزين بشيء إلا ما الضرورة داعية اليه مثل الطعام والشراب وشبههما مما هو مقرر في السنن المأثورة والكتاب العزيز . والهيعة

الصوت المفزع . والطيران هو اغاثته المستغيث بأنبى الممكن فى الفعل المسمع
والشعر رؤس الجبال . وفيه حض على الانزواء عن الناس والاعتزال فى المخالطة
من آفات القيل والقال وهذا الانزواء والاعتزال انما يحمى اذا لم يتوجه فرض
الجهاد والقتال أو فرض من الفروض على حسب الاحوال . ومنه عن أبى بكر
ابن عبد الله بن قيس عن أبيه قال سمعت أبى وهو بحضرة العدو يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف فقام رجل
رث الهيئة فقال يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
هذا قال نعم قال فرجع الى أصحابه فقال أقرأ عليكم السلام ثم كسر جن سيفه
وألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل) قال القاضى عياض رحمه الله
يعنى أن الجهاد وحضور المعارك سبب لدخولها ومقرب اليها ويظهر والله أعلم
أن مكان المعركة وجلاد الكفار منه تنقل روح الشهيد حين الشهادة وتدخل
الجنة كما جاء فى القرآن وصحيح الأخبار . ومن صحيح مسلم ابن الحجاج عن ثابت
قال قال أنس عمى الذى سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا
قال فشق عليه قال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبته عنه
ولئن أشهدنى الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع
قال فهاب أن يقول غيرها قال فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد قال
واستقبله سعد بن معاذ فقال له أنس يا أبا عمرو أين قال واهأ لريح الجنة أجده
دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل قال فوجد فى جسده بضع وثمانون مأين ضربة
وطعنة ورمية قال وقالت أخته عمى الربيع بنت النضر فاعرفت أخى الايبانه
ونزلت هذه الآية (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من
ينتظر وما بدلوا تبديلا) قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه . قوله
واهأ لريح الجنة كلمة تلهف وخين وتشوق الى الجنة ومن لاجرم لما صدق أعطى

سؤله وبلغ مما تمنى مأموله وأوجده الله ربح الجنة كما ورد في الخبر الصحيح أنها توجد من مسيرة خمسمائة سنة. وذلك تشریف من الله تعالى لأهل السعادة وتكرمة لمن كتبت له الشهادة. ومن مسند النسائي عن فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أنا زعيم والزعيم الخليل لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله يبيت في ريض الجنة ويبيت في وسط الجنة ويبيت في أعلى غرف الجنة من فعل ذلك لم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهراً يموت حيث يموت) ومن مسند أبي داود عن أبي أمامة أن رجلاً قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة قال ان سياحة أمي الجهاد في سبيل الله . ومن الترمذي عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف) ومنه عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا) ومنه عن يزيد بن أبي مرزوم قال لحقني عباية بن رفاع بن رافع وأنا ماش إلى الجمعة فقال أبشر فإن خطاك هذ في سبيل الله سمعت أبا عبيس يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار) انتهى كلام الصدفي رحمه الله قال الترمذي في جامعه أبو عبيس هذا اسمه عبد الرحمن بن جبر ويزيد ابن أبي مرزوم هو رجل شامي روى عنه الوليد بن مسلم ويحيى بن حمزة وغير واحد. ثم قال الصدفي رحمه الله ومنه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم)

فصل في الرمي وفضيلته

أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاث نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعة الخير والراى به ومنيله) وفي الترمذى (كل ما يلبوه به الرجل المسلم باطل الارميه بقوسه وتأديه فرسه وملاعبته أهله) ومن مسند الترمذى عن أبى نجيح الأسلى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من رمى بسهم فى سبيل الله فهو له عدل محرد) وروى البخارى عن سلمة بن الأكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر يتصلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا وأنا مع بنى فلان قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم لاترمون قالوا كيف نرى وأنت معهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم) ومن صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه) ومنه عن عبد الرحمن بن شماس أن نعيما اللخمي قال لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه فقيل لابن شماس وما ذاك قال انه قال (من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصي) وقوله صلى الله عليه وسلم فليس منا أى ليس متبعا لنا ولا مهتديا بهدينا تارك الرمي. وكتب عمر رضى الله عنه لأهل حمص علوا أولادكم السباحة والرماية والفروسية والاحتفاء بين الاغراض وقال احتفوا وتجردوا واخشوشنوا وتمعددوا (١) واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وارموا الاغراض واياكم ولباس العجم البسوا الأزور

(١) قوله وتمعددوا قيل أنه من التشبه بعيش معد وكانوا أهل شظف وغظف في العيش يقول كزنوا مثلهم ودعوا التعم ورمى العجم كما هو في حديث (عليكم بالبسة المعدية) وقيل انه من قولهم للغلام اذا شب وغاظ قد تمعدد

والأردية وألقوا السراويلات واستقبلوا حر الشمس بوجوهكم فانها شامات
العرب واطرحوا الخفاف والبسوا النعال

فصل في الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها

أخرج البخارى في صحيحه عن سهل بن سعد أنه قال (رباط يوم في سبيل الله
خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها والروحة
بروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها) وروى الترمذى
عن فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كل ميت يختم
على عمله الا الذى يموت مرابطا في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة
ويأمن من فتنة القبر) أخرج مالك في موطئه وغيره عن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال (الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلي رجل وزر فاما
الذى هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة
فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها
قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات
له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك له حسنات
فهي له أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها
ولا ظهورها فهي لذلك ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الاسلام
فهي على ذلك وزر) ومنه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال (الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة) ومنه عن يحيى بن سعيد أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى يمسح وجه فرسه بردائه فسئل عن ذلك
فقال (انى عوتبت الليلة في الخيل) ورؤى العتي عن مالك أنه سأل بعض
أهل ثغر الاسكندرية هل الرجوع لثغرهم والكون فيه للحرس وسده أفضل

أم المقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحيات لطلاب العلم أفضل فرجع لهم الرجوع الى الاسكندرية والكون فيها على ذلك . وروى عن ابن عمر أنه كان يقول الحرس أفضل من الغزو لان الحرس فيه حفظ دماء المسلمين والغزو فيه اراقة دماء المسلمين فحفظ دماء المسلمين أولى . أخرج الترمذى فى صحيحه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله) ومن الترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلة) ومنه عن أبى صالح مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول انى كنتم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية نفوركم عنى ثم بدالى أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بداله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح . ومنه عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ليس شئ أحب الى الله عز وجل من قطرتين وأثرين قطرة دموع من خشية الله تعالى وقطرة دم تهراق فى سبيل الله تعالى وأما الأثران فأثر فى سبيل الله تعالى وأثر فى فريضة من فرائض الله تعالى) قال ابن حبيب الرباط شعبة من شعب الجهاد . وقيل من رباط فواق ناقة حرمة الله على النار قال ابن حبيب فواق ناقة قدر ماتحلب وقال غيره قدر ما بين الحلبيين . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال الحرس ليلة أحب الى من صيام ألف يوم أصومها وأقوم ليلى فى المسجد الحرام وعند قبر النبى صلى الله عليه وسلم وعن مالك بن أنس رحمه الله تعالى ينبغى لكل قوم أن يربطوا فى ناحيتهم وأن يمسكوا سواحلهم الا أن يكون مكانا مخوفا يخاف فيه على العامة يريد فيذهب اليه . ومن الحرس

في الثغور حفر الخنادق والاحتساب في حفرها مستتين في ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعه عليه الصلاة والسلام للحجر الذي أعيت الصحابة الحيلة في كسره . أخرج النسائي عن البراء بن عازب قال لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذه المعول فاشتكيئنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقى ثوبه وأخذ المعول وقال (بسم الله ثم ضرب ضربة فكسرت تلك الصخرة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله اني لأبصر الى قصرها الأحمر الآن من مكاني هذا قال ثم ضرب أخرى وقال بسم الله فقطع ثلثا آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله اني لأبصر خضراء المدائن والى القصر الأبيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله اني لأبصر باب صنعاء من مكاني الساعة)

فصل في فضل الشهادة

أخرج مسلم في صحيحه عن مسروق قال سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال أما انا قد سألتنا عن ذلك فقال (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تروح في الجنة حيث شئت ثم تأوى الى تلك القناديل) ومنه عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال (ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وان له بها ما على الأرض من شيء غير الشهيد فانه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة . ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا) ومن الموطأ عن معاذ ابن جبل رضى الله عنه أنه قال الغزو غزوان فغزو تنفق فيه الكريمة ويياسر

فيه الشريك ويطاع فيه ذو الأمر ويحْتَنَب فيه الفساد فذلك الغزو خير كله وغزو لا تنفق فيه الكريمة ولا يأسر فيه الشريك ولا يطاع فيه ذو الأمر ولا يَحْتَنَب فيه الفساد فذلك الغزو لا يرجع صاحبه كفافاً . ومن صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك قال ان في الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فاذا سألتهم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وفوقه عرش الرحمن) ومن صحيح الترمذى عن المقدم بن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (للشهيد عند الله ست خصال يغفر الله له في أول قطرة تقطر من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب . ومنه عن أبي هريرة قال مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عين من ماء عذب فأعجبته لطيبها فقال لو اعتزلت عن الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة (اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة) ومنه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله تعالى ونصح لمواليه) ومنه عن أبي ادريس الخولاني أنه سمع

فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك الذي يرفع الناس اليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال فما أدرى أفلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبي صلى الله عليه وسلم قال ورجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فكاتما ضرب جملده بشوك طلح من الجبين أتاده سهم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة ورجل مؤمن أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة) وفضيلة الجهاد قد جاء فيها ما هو أكثر من هذا . ولكن ذلك متعذر على المرء وحده اذ لا بد فيه من جماعة وامام تنعقد كلمتهم عليه ولا يخالفونه . وقد ذكر العلماء رحمة الله عليهم ذلك وشرطوا له شروطا وبينوا حال الامام وحال الجماعة التي تكون معه وصفة هديهم وطريقتهم وآدابهم وما يتجنبون فيه من المفسد وهذا النوع كثير قل أن يحصر أعنى ما أحدث فيه من المفسد شرقا وغربا فمن أراد الجهاد فليتوقف حتى يسأل أهل العلم والنهي عما يجب عليه فيه وما يندب له وما يحرم عليه أو يكره وما يتجنب فيه من المفسد فانها مختلفة بحسب اختلاف الاقاليم والائمة والجماعة والعصر فلا يمكن الكلام على معنى من معانيها لكثرتها واختلاف الأحوال والازمان فبالسؤال يتبين له ما يصلح به فان رأى أنه لا بد من خلل يرتكبه بسبب جهاده فالترك له أولى اللهم الا أن يتعين الجهاد فلا سؤال اذذاك لأنه لا ينتظر فيه اذن الامام ولا حضور الجماعة ولا اذن الوالد ولا اذن الوالدة ولا اذن السيد اذ أن التغير واجب متعين على كل من كانت له قدرة بوجه ما ثم الأصل الذي يعول عليه في جهاده ويعتقد النصر من جهته هو التعلق بجناب أولياء الله تعالى والرجوع اليهم والصدور عن رأيهم . ألا ترى الى ما حكي

عن عبد الملك بن مروان لما أن خرج لبعض غزواته قال انظروا الى محمد
ابن الحنفية فذهبوا اليه ثم رجعوا فقالوا وجدناه في المسجد يصلي فقال اذهبوا
فقد نصرنا سبابة في القبلة عندى خير من كذا وكذا ألف فارس فضوا لما كانوا
بسيده فنصر واوغنموا. وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام (ابغضوا في ضعفائكم)
ومع ذلك فلا ينبغي أن يتمنى المراء لقاء العدو امثالاً للسنة لقوله صلى الله عليه
وسلم (لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن
الجنة تحت ظلال السيوف) خرج البخارى وغيره فثأناً المكاف امثالاً لآداب
بترك الدعاوى وغيرها حتى اذا تعين عليه الأمر استعان بربه تعالى وامثل أمره
مبتغياً بذلك مرضاته وما وعد عليه من جزيل الثواب لقاءه. وهذا عام في
كل الأحوال دقيقها وجليلها فليكن المراء متيقظاً لها فانه يحشر يوم القيامة على
مامات عليه والجهاد مظنة الموت غالباً. ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام
واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. قال علماؤنا رحمة الله عليهم معناه أن
روح المؤمن تنقل من ذلك الموضع الى الجنة والتعاق بالله تعالى هو الأصل
لهذا الأصل المتقدم ذكره وانما هى أسباب وبقى الأمر الى الله تعالى ماشاء
فعل فهو عز وجل القادر على النصر بسبب وبغير سبب. ألا ترى الى قوله تعالى
(وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) ففى الرمي عن نبيه عليه الصلاة والسلام
أولاً بقوله وما رميت ثم أثبت له بقوله اذ رميت فانه عز وجل جمع لنيه عليه الصلاة
والسلام فى ذلك بين الحقيقة والشرعية. أما الشرعية فلكونه عليه الصلاة
والسلام أخذ كفا من تراب يده الكريمة ورمى به فى وجوههم وقال شأهت
الموجوه. وأما الحقيقة فلوصل ذلك التراب لعين كل واحد من العدو حتى أنه
لم يقدر أحد منهم أن يفتح عينه ملثماً بالتراب وهذا شئ يعجز البشر عنه
وكذلك كانت أفعاله عليه الصلاة والسلام لا بد فيها من امثال الحكمة ثم يظهر

الله سبحانه قدر تعيانا للخلق على يديه صلى الله عليه وسلم . ألا ترى الى ما جاء في نبع الماء من بين أصابعه الكريمة فانه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ولم يمد يده دون ماء بل امتثل الحكمة بوضع يده الكريمة في اناء فيه ماء ثم أمرهم أن يسقوا ويشربوا ويملؤا والماء يتفجر من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام من غير نقص من ذلك الماء . ومن ذلك أمره عليه الصلاة والسلام بجمع ما بقى مع أصحابه من الأزواد حين فئت فجمعت وبارك فيها فأكل الجميع منها حتى شبعوا ومن ذلك فعله عليه الصلاة والسلام في قصة جابر بن عبد الله رضى الله عنه في الداجن الذى ذبحه والعجين الذى خبزه وكونه عليه الصلاة والسلام بصق فيهما وبارك ثم أذن لعشرة فى الأكل ثم عشرة من بعدهم من كان يعمل فى الخندق حتى أكل الجميع وشبعوا وكانوا ألفا والبرمة تفور كما هى والعجين يخبز كما هو . ومن ذلك خروجه عليه الصلاة والسلام الى الجهاد فانه كان يعتد لذلك بجمع أصحابه وبتخاذ الخيل وال سلاح وما يحتاجون اليه من آلات الجهاد والسفر ثم اذا رجع عليه الصلاة والسلام تخلى من ذلك ورد الأمر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله (آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده) فانظر رحمة الله وإياك الى قوله عليه الصلاة والسلام وهزم الأحزاب وحده ففيه عليه الصلاة والسلام ما تقدم ذكره وهذا هو معنى الحقيقة لأن الانسان وفعله خلق لربه عز وجل فهو سبحانه وتعالى الذى خلق ودبر وأعان وأجرى الامور على يد من شاء واختار من خلقه فكل منه وكل اليه راجع . ولو شاء الله عز وجل أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل وقد أطلق به القرآن العزيز قال سبحانه وتعالى ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض ﴾ فيثيب سبحانه وتعالى الصابرين ويمجزل الثواب للشاكرين وقال تعالى ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ فعلى

المكلف الامثال في الحالين أعنى في امثال الحكمة والرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والسكون اليه والنزول بساحة كرمه ﴿امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض﴾ الى غير ذلك مما جاء في هذا المعنى وهو كثير فتجده عليه الصلاة والسلام في كل ذلك يمثل الحكمة أولا تأدبا مع الربوبية وتشريعا لأئمة ثم يظهر الله تعالى على يديه قدرته الغامضة المخافة التي ادخاها له عليه الصلاة والسلام. وما جرى له عليه الصلاة والسلام مما تقدم ذكره فهو جار لأئمة ببركة اتباعه صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما قد وقع مثل هذا كتكثير القليل وقلب الأعيان والمشي على الماء والطيران في الهواء وما أشبه ذلك مما هو معروف مشهور يقطع العذر ويوجب القطع بوجوده. وقد قال علي بن ابي طالب رحمه الله عليهم كل كرامة ظهرت لولى فهي معجزة لئيه عليه الصلاة والسلام اذ أنه ما حصلت له تلك الكرامة الا ببركة اتباعه عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذى بقيت هذه البركات في هذه الامة لاتقطع وكيف لا والله تعالى يقول فى كتابه العزيز ﴿كتم خير أمة أخرجت للناس﴾ وقال عليه الصلاة والسلام (لا تزال طائفة من هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) وهذا عام فيما نحن بسيله وفي غيره

(فصل) وينبغى للجهاد أن لا يقاتل بنية اراقة دماء الكفار ليس الابل يجاهد في سبيل الله لما تقدم ذكره من نية اعلاء كلمة التوحيد واظهارها واتحاد كلمة الكفر وابطالها. وينبغى للجهادين اذا كانوا مع الامام أو في سرية وأدربوا بلاد العدو أنهم اذا صلوا الحسن يرفعون أصواتهم بالذكر ليرهبوا العدو بذلك وليقتدوا فيه بالسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين وفعل ذلك في غير هذه الحالة على هذا الصفة بدعة. وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية والله الموفق والناصر والمهادى لارب سواه ولا مرجو الاياه

فصل في آداب الفقير المنقطع التارك للأسباب

وكيفية نيته وهديه

قد تقدم أن الجهاد ينقسم على قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر . وقد تقدم الكلام على الجهاد الأصغر وبقى الكلام على الجهاد الأكبر وهو عام في كل الناس إلا أن الفقير أحوج الناس إليه إذ أنه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على آخرته لشغله بربه وأقبله على إصلاح نفسه وتنظيفها من الغير فكل قلب فيه غير الله تعالى كان في حيز المتروك المطروح وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقم له الفتح والتجلي والمخاطبة في سره بما يليق بحاله . وهذا مقام لا يعرفه إلا أهله المختصون به . وإذا كان ذلك كذلك فيحتاج المرید الى مجاهدة عظيمة لكي يصفو قلبه . ويتجهز لتحصيل الفوائد الربانية لمعه أن يظفر بها أو بشيء منها فيحصل بذلك في جملة السابقين وقاعدة الفقير أبدا لا يزال في جهاد . فأول جهاده جهاد الشيطان ثم جهاد نفسه . وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان الجهاد ينقسم على أربعة أقسام جهاد بالقلب وجهاد باللسان . وجهاد باليد وجهاد بالسيف . وقد تقدم الكلام على الجهاد بالسيف وبقى الكلام هنا على باقى أقسام الجهاد . فالجهاد بالقلب جهاد الشيطان وجهاد بالنفس عن الشهوات والمحرمات . قال الله تعالى ﴿ ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ﴾ وجهاد اللسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ومن ذلك ما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام به من جهاد المنافقين لأنه عز وجل قال ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ فجاهد صلى الله عليه وسلم الكفار بالسيف وجاهد

المنافقين باللسان لأن الله عز وجل نهاه أن يعمل بعله فيهم فيقيم الحدود عليهم وكذلك جهاده صلى الله عليه وسلم المشركين قبل أن يؤمر بقتالهم بالقول خاصة وجهاد اليد زجر ذوى الأمر أهل المناكر عن المنكر والباطل والمعصى والمحرمات وعن تعطيل الفرائض الواجبات بالادب والضرب على ما يؤدى إليه الاجتهاد فى ذلك . ومن ذلك أقامتهم الحدود على القذفة والزناة وشربة الخمر ثم أول ما يحتاج إليه فى مجاهدته الزهد فى الدنيا لأن محبتها والعمل على تحصيلها مع وجود شغف القلب بها يعنى عن أمور الآخرة ويطمس القلب ويكثر فيه الوسوس والنزغات لأن الشيطان وجد السيل الى ذلك بسبب ما شغف قلبه بما تقدم لأنها رأس كل خطيئة . وقد مر عيسى عليه الصلاة والسلام برجل قائم فى السحر فوكزه وقال له يا عبد الله قم فقد سبقك العابدون فقال يا روح الله دعنى فقد عبدته بأحب العبادات اليه قال له عيسى عليه الصلاة والسلام وما ذلك قال بالزهد فى الدنيا قال له عيسى ثم نومة العروس فى خدرها انتهى ثم ان الزهد لا يقتصر فيه على الزهد فى الدنيا ليس الا بل هو علم فى كل الحركات والسكنات وضابطه أن كل حركة وسكون ونفس الى غير ذلك ينظر فيه فما كان لله تعالى فليمضه وما كان لغيره فليدعه . وقد قالوا الزهد فى فضول الكلام أفضل من الزهد فى غيره يشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام جرابا لأصحابه رضى الله عنهم لما أثنوا على رجل قد مات فقال عليه الصلاة والسلام وما يدرىكم لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو كما قال عليه الصلاة والسلام . وقد قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى أقل فائدة فى السكوت تسبيح الاعضاء انتهى . فاذا كانت هذه أقل فوائده فما بالك بما هو أكبر منه ولو لم يكن فيه الا السلامة من عثرات اللسان لكان غنيمة عظيمة . وقد تقدم فى أول الكتاب أن الاعضاء تصيح فى كل يوم تناشد اللسان أن يسلبها من آفات

لأنه اذا عطب لم يعطب وحده بل تعطب كل الأعضاء بسببه . وقد ورد أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه دخل على أنى بكر الصديق رضى الله عنه فوجده ممسكا لسانه فقال له عمر رضى الله عنه ماذا قال هذا الذى أوردنى الموارد فاذا كان الصديق رضى الله عنه يقول مثل هذه المقالة فما بالك بغيره . واذا كان ذلك كذلك فليشمر الفقير الى سلوك هذه المفازة ليقطعها فانها عقبة كئود لا يجاوزها الا المشيرون أعاد الله علينا من بركاتهم . ثم ان الزهد فى الرياسة أعظم من الزهد فى كل ما تقدم ذكره لأن النفس والمال يتفقان فى الرياسة والرياسة لاتتفق فيهما فالزهد فيها متعين . ثم لا يظن ظان أن الرياسة انما هى فى رتب الدنيا ليس الابل هى عامة فى رتب الدنيا والآخرة فمن كان عند نفسه شئ فهو عند الله لاشئ . ومن كان عند نفسه لاشئ فهو عند ربه شئ . ولاجل هذا المعنى قال بعض الشيوخ نفعا الله تعالى به من رأى أنه خير من الكلب فالكلب خير منه وماقاله بين ألا ترى أن الكلب مقطوع له بأنه لا يدخل النار بخلاف من لم يقطع له من الآدميين فانه محتمل لاحدى الدارين فان كان هذا الآدمى من أهل النار والعياذ بالله فالكلب خير منه وان كان من أهل الجنة فلا شك أنه خير من الكلب . ولاجل هذا المعنى حكى عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله وأعاد علينا من بركاته أنه كان جائعا ووجد فضلة طعام على مزبلة فجعل يأكل منه واذا بكلب قد جاء فأكل من الناحية الاخرى ثم نبج الكلب على ابراهيم فقال ابراهيم لا تنبج على ولا أنبج عليك كل من جهتك وأنا اكل من جهتي ان دخلت أنا الجنة فأنا خير منك وان دخلت النار فأنت خير منى تصرحنا منه رحمه الله تعالى بالمعنى المتقدم ذكره . وقد قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى ان كانت نفسك فى هذه الأرض فسرك فى سماء الدنيا فان نزلت الى الأرض الثانية فسرك فى السماء الثانية فان نزلت الى الأرض الثالثة فسرك فى السماء الثالثة فان

نزلت الى الارض الرابعة فسرك في السماء الرابعة فان نزلت الى الارض الخامسة فسرك في السماء الخامسة فان نزلت الى الارض السادسة فسرك في السماء السادسة فان نزلت الى الارض السابعة فسرك في السماء السابعة فان نزلت عن الارض السابعة الى ظهر الثور الذى عليه قرار الارضين فسرك ناظر الى العرش انتهى فقرر رحمه الله أنه بسبب التواضع وعلى قدر نزول النفس يسمو أمره وعلو قدره فن أراد الفوز فليعمل على اشارته يحفظ بالسلامة . وأعنى بالزهد فى مراتب الآخرة أنه يعبد الله تعالى لوجه الكريم لا ليعوض قال الله تعالى ﴿ يريدون وجهه ﴾ وصاحب هذا الحال يرى نفسه أنها ليست أهلاً لشيء . لاستحقاقه نفسه وترك النظر اليها وصغارتها عنده لعظيم ما هي فيه من الخطر . وقد روى أنه كان فى بنى اسرائيل رجلاً عابداً مجتهداً وكانوا يفضلونه على أنفسهم أعنى من كان فى وقته من العباد فأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن قل لفلان يعبدنى ما شاء فهو من أهل النار فأصبح موسى عليه الصلاة والسلام فأخبر بنى اسرائيل بذلك فتعجبوا وقالوا ليس فىنا أحد مثله فى العبادة والخير فىنا هم كذلك وإذا بالرجل قد أتى فسلم وجلس فأخبره موسى عليه الصلاة والسلام بما قد وقع فقال أهلاً بقضاء ربى ومضى لسبيله فلما جن الليل تطهر وصلى ركعتين وقال اللهم انى كنت أعبدك ولست عند نفسى أهلاً لشيء . والآن قد مننت على وجهتى أهلاً لنارك فزعزعتك لازال هذا مقامى بين يديك شكراً لك على هذه النعمة حتى ألقاك فلما أصبح من الغد جاء الى موسى عليه الصلاة والسلام فقال له موسى عليه الصلاة والسلام ان الله قد أوحى الى أن قل لفلان يفعل ما يشاء فهو من أهل الجنة لازدراءه بنفسه . وقد حكى أن ابراهيم بن آدم رحمه الله وقع به عنده بعض الناس فى كونه لم يجالس اليهم ويحدثهم حتى يأخذوا عنه العلم لانه رحمه الله من أفاضل العلماء والمحدثين فقال شغلنى أربع لو فرغت منها لجلست اليكم

وحدثكم فقالوا له وماهى فقال افكرت فى نزول الملك لتصويرى فى الرحم
وندائه يارب أشقى أم سعيد فما أعرف كيف خرج جوابى الثانية أنى افكرت فى
نزول ملك الموت لقبض روحى وندائه يارب أقبضه على الاسلام أم على الكفر
فما أعرف كيف خرج جوابى الثالثة أنى افكرت فى قوله تعالى ﴿وامتازوا اليوم
أيها المجرمون﴾ فما أعرف فى أى الفريقين أمتاز الرابعة أنى افكرت فى المنادى
الذى ينادى حين حصول أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يا أهل الجنة
خلود لاموت فيها ويا أهل النار خلود لاموت فيها فما أعرف فى أى الدارين
أكون انتهى . فمن كان يتقلب بين هذه الأحوال كيف يقرله قرار أو يأوى الى
عمران وانما هى غفلات والمريد مبرأ من الغفلات متيقظ لما بين يديه من
الأمور القاطعات ناظر للناس نظر عموم يراهم هلكى فيرحمهم ويستغفر لهم
قد شمر عن ساعده خوفاً منه أن يلحقه ما يلحقهم اذ أن الدنيا لولا الحق ما عمرت
وطول الأمل فى الإنسان من أكبر الحق والمريد ناظر الى زمانه وهو يتقسم
على ثلاثة أقسام ماض ومستقبل وحال فان نظر الى الماضى فهو كتيب الإطلال
بطالة لا تنفع ولا فائدة فيها وان نظر الى المستقبل فالقدر ليس بيده والحياة
ليست بحكمه فلم يبق الا النظر فى الحال والنظر فى الحال هو ما قاله بعض الشيوخ
رحمه الله تعالى الفقير ابن وقته . لأن الموت متوقع مع الحركات والسكنات
والانفاس فاذا خرج منه نفس فقد لا يرجع اليه واذا رجع اليه فقد لا يخرج منه
واذا كان ذلك كذلك فقد ارتفعت عنه الكلف والنظر فى الملبس والقوت والمسكن
وغير ذلك من الضرورات البشرية اذ أن نفساً واحداً لا ثمن له ولا يعتبر أمره
فى الإقامة فى الدنيا اذ أن من صار حاله الى ما تقدم ذكره وهو أن الموت نصب
عينه فقد انقطعت فكرته وهمومه وحسرته فى كيفية موته على الاسلام وفى قبره
ووحشته وجوابه حين السؤال فيه وما بعده من الأحوال العظام فأى راحة

تبقى لمن هذا حاله وفكرته . حكى أن انسانا جاء لبعض اخواته يزوره فوجده وحده وهو يلتفت يمينا وشمالا وخلفا وأماما فقال له الزائر لمن تلتفت فقال أنظر لملك الموت من أى ناحية يأتى . وقد جاء بعضهم الى شيخ له ليزوره وكان قد لقيه بعض أصحابه فعزم عليه فقال انى صائم فأعطاه سبع تمرات أو لوزات على أنه يفطر عليها فربط ذلك فى طرف كسائه فلما دق الباب وخرج له شيخه ليسلم عليه قال له الشيخ ماهذا الذى فى طرف كسائك فأخبره بما جرى فقال له الشيخ وأنت تظن أنك تعيش الى الغروب والله لا كلمتك بعدها أبدا ولاجل هذا المعنى قال سيدى أبو مدين رحمه الله تعالى ونفع به عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لاعليك انتهى . وهاهو ظاهرين فمن كان حاله على ما تقدم وصفه فلا راحة له دون لقاء ربه . وقد ورد فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر الصريح على ما نحن بسبيله حيث قال عليه الصلاة والسلام (لراحة المؤمن دون لقاء ربه) ومعنى ذلك والله تعالى أعلم أن المؤمن طالما هو فى دار التكليف لا يزال فى مكابدات وأهوال وأخطار حتى يخرج منها فيلقى ربه عز وجل فيرى ماله عنده من الكرامات حينئذ تحصل له الراحة الحقيقية الدائمة التى لا انفصام لها . وقد ذكر الشيخ الامام القدوة المحقق يمين بن مرزوق رحمه الله تعالى ونفع به فى حال الفقير وزهده ما هذا لفظه اعلم أن الناس فى الزهد على طبقات فمنهم آخذ وهو تارك ومنهم تارك وهو آخذ وانما يحمد ويصح هذا الأمر لمن ترك الدنيا وزهد فيها بعد قدرته عليها . ومن الناس من يكون مصليا نائما وآخر نائما مصليا ومفطراً صائما وصائما مفطراً وكاسيا عاريا وعاريا كاسيا وانما ذلك كله على تصرف ارادة القلب وتصحيح النية وفساد ارادة القلب وفساد النية والسلامة من الكسب الخبيث والقول الخبيث وفى هذا كلام كثير الآن

من صدق أبصر وتحقق ذلك . وينبغي للعالم بالله وبما أمره الله تعالى به ونهاه عنه أن يكون قد ملأت قلبه عظمة الله تعالى فاشتغل بالقيام بحقوق الله تعالى عن كل فضول الدنيا من الأكل والشرب واللباس والبنان والمركب والازواج والاولاد والخدم وان كان فيهم من له الزوجة والولد وأشياء مما ذكر لم يأخذ ذلك على الرغبة ولم يشغله عن فهم وعد القرآن ووعيده واعلم أن القوم لما وصلوا الى ما وصلوا اليه لم يفتروا بدار الغرور ولم تكن لهم رغبة الا خوف فوات ماشوق اليه وعد القرآن ووعيده من الخلود في دار النعيم أو دار الهوان - ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين - انما دعا الى دار السلام من خلقها وزينها وجلاها فحضر أيها المريد الغمرات شوقا الى نعيمها وأجب الداعي الصادق الوفي الى ما وعد ودعاك اليه فانه قد حذرك نفسك وهواك وأنذرك حلول دار سخطه والتخلص من ذلك كله والوصول الى نعيم دار الخلود رفض المحبوب من اتباع الهوى فارفضه واجعل الموت ضجيعك والزهد قرينك والجسد سلاحك والصدق مركبك والاخلاص زادك والخوف من الله على مقدمتك والشرق الى الجنة صاحب لوائك والمعرفة على ميمتك واليقين على ميرتك والثقة على ساقتك والصبر أمير جندك والرضا وزيرك والعلم مشيرك والتوكل درعك والشكر خليلك ثم انفر الى عدوك وصافقه بجميع ما ذكرت لك وطب نفسا عن دار الهموم والاحزان الى دار البقاء والسرور مع الخيرات الحسان والله المستعان والحمد لله رب العالمين

(فصل) ثم قال رحمه الله فلينظر العبد الى الله تعالى في كل أمره فانه من نظر الى نفسه أو الى أحد من المخلوقين بأمل رجاء منفعة كان عزوبا لقلبه عن الله وكان منقوصا عن منزلة الواثقين المؤيدين . وقد قال الله عز وجل لداود عليه السلام ﴿ يا داود اني قد آليت على نفسي أن لا أثيب عبدا من عبادي الا

عبدا قد علمت من طلبته وارادته والقاء كنفه بين يدي أنه لا غنى له عني وأنه لا يطمئن الى نفسه بنظرها وفعالها الا وكلته اليها أضف الأشياء الى فاني أنا مننت بها عليك وعلم أن العباد انما تفاوتوا وتباينوا باختيارهم نظرائه تعالى على اختيار أنفسهم زاده ذلك سرعة وقربا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتيسيله عليهم وبالسو عنه واختيارهم أنفسهم على نظرائه تعالى زاده ذلك بطأ وبعدا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتيسيله عليهم فكان في نظرك الى ربك ناظرا بأن لا تؤمل غير صنعه ولا ترجو غير معوته واثقا باختياره فان ذلك أقرب وأسرع في معوته لك فان الذين قلدوا أمورهم ربهم وثقوا به ولجؤا اليه قد أماتوا من قلوبهم تدبير أنفسهم وجعلوا الامور عندهم أسبابا مع قيامهم بها والحفاظة عليها فأولئك ذهبوا بصفو الدنيا والآخرة لسكون قلوبهم اليه فوجدوا بذلك الروح والراحة فهم حماة الدين والعلماء بالله قد فاقوا على من سواهم باطمئنانهم به وسكونهم اليه فأوجب لهم صنعه وأقام قلوبهم على مناجاه فاستقبلوا فيه من الأمر فعلى الرضا والطمأنينة ومن سواهم من الخلق في مؤنة وتعب من أنفسهم حيث اختاروها وتوكلوا عليها فأورثتهم الهم والغموم وأما أهل العبودية لله فهم الذين قلدوه أمورهم وخرجوا عن طباع العباد لما تبين لهم من خطأ من اختار نفسه فجعلوا باختيارهم الرضا بما صيرهم اليه مولا لهم من أمورهم فزال الغموم عن قلوبهم فأوجب لهم الصنع والتوفيق في أحوالهم وأورثهم الغنى والعز في قلوبهم وسد عنهم أبواب الحاجات الى المخلوقين وأتتهم لطائف الله من حيث لا يحتسبون وقام لهم بما يكتفون به ونزه أنفسهم عما سوى ذلك اكراما لهم عن فضول الدنيا وطهارة لقلوبهم عن التشاغل بما أغنام عنه لخصمهم من كل دنس وأمشام في طرقات الدنيا طيبين موالين له فهم في السموات أشهر منهم في الأرض ولاصواتهم هناك دوى ونور يعرفون به ويحيون عليه وقد رفع أبصار قلوبهم

إليه فهي ناظرة إليه بتلك القلوب غير محجوبة عنه بلا إدراك منهم لصفة ولا صورة ولا أحد ولا إحاطة منهم به سبحانه ولكن كيف شاء لهم ذلك فأحبيهم وحبيهم إلى ملائكته وسائر خلقه وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿يَا دَاوُدُ تَفَضَّلْ عَلَى عِبَادِي أَكْتُبُكَ مِنْ أَوْلِيَائِي وَأَجْبَانِي وَأَبَاهِي بِكَ حَمَلَةٌ عَرْشِي وَأَرْفَعُ الْحِجْبَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَتَنْظُرَ إِلَى بَيْصَرِ قَلْبِكَ لَا أَحْجُبُكَ عَنْ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مُسْتَمْسِكًا بِطَاعَتِي﴾ وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال ﴿قُلْ لَأَهْلَ مَحَبَّتِي بِشْتَغْلَوَانِي فَإِذَا عَلِمْتُ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْإِشْتَغَالُ بِي وَالْإِنْقِطَاعُ إِلَى كَانِ حَقًّا عَلَى أَنِّي أَرْفَعُ الْحِجْبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى أَبْصَارِ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ يَتَنَعَّمُونَ بِذِكْرِي قَدْ أَغْنَاهُمْ ذَلِكَ عَنْ كُلِّ نَعِيمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فهؤلاء قد ملأ الله أسماعهم وأبصارهم وجوارحهم من حبه فأدبوا أنفسهم بالعبودية له والدخول في محبته وذلك أن تأديب الرجل نفسه في مطعمه ومشربه وملبسه يزيد في صلاح قلبه وتنقاد جوارحه لقلبه ويقوى عزمه ويقهر هواه فيقوم عند ذلك مقام أهل القوة إلى أن يرفعه الله إلى منزلة فوقها حتى يستوى عنده الأخذ والترك فلا يأسفوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم للغنى الذى وفر فى قلوبهم يزدادون له محبة ومودة وشكرا له فى العلم به والمعرفة به فعند ذلك رقت قلوبهم وانقادت أهواؤهم إلى ما قل من الدنيا وكفى ففى لا تطلع إلى غير ذلك ناظرين إلى ربهم فى أمورهم كلها لا إلى الأسباب فنظرهم من غير تفريط فى إقامة الأسباب الخالصة من أعمال البر فإن لبسوا خشنا أو لينا أو حسنا أو قبيحا أو أكلوا طيبا أو كرها أو حلوا أو مرا أو حامضا أو قليلا أو كثيرا لم يغير ذلك من قلوبهم عن الحال التى هى عليها من ذكر ربهم وتعظيمه وذلك أن قلوبهم عامرة من ذكر الخالق وليس لشيء سواه فى قلوبهم ثبوت إلا بالخطر من غير أن يرنسَخ أو يثبت فلم يَقم الناس مقاما أشرف من أن يعلقوا

قلوبهم برهم ولا أولى بهم من ذلك لأنهم أشد الناس محافظة على جمع همومهم في صلاتهم وجمع ما يتقربون به من ربهم أن قاموا عرفوا بين يدي من هم قيام له وكذلك أن ركعوا أو سجدوا أو تلوا القرآن أو دعوا ربهم لا تعزب قلوبهم عن ذلك . فيه زكت أعمالهم وصوبت عقولهم فبريتعاهدم بلطفه ويسوسهم بتوفيقه فقل عند ذلك خطوهم وكثر صوابهم فن كان يريد الدخول في محبة طاعة الله فلا يكن له ثقة الا بالله ولا غنى الا به ولا أمل غيره يرجوه ويتخذ وكلا في أموره كلها راضيا بقضائه فيما نقله اليه من أموره راضيا باختيار الله له متبها رأيه ولما تسول له نفسه مسلما راضيا عن الله غير متعجب ولا متملك فيما أحدث الله من مرض أو صحة أو رخاء أو شدة مما أحب أو كره ولكن قلبه بذلك راضيا لموضع الثقة بربه وحسن الظن به . فاذا كان العبد كذلك ورث الله قلبه المحبة له والشوق اليه وصار الى منزلة الرضا بما كفاه وحاه من الدنيا وان قل وأخرج من قلبه مطامع المخلوقين فاستغنى بالله فجعله الله من أولى الإلباب ثم ألهمه مولاة عليه من عليه فعرفه مالم يكن يعرفه وعلمه مالم يكن يعلمه فمن الله أخذ عليه وبأمر الله جل ذكره تأدب فظهرت أخلاقه لما آثر أمر الله ولجا اليه فتمت عليه نعمة الله في الدنيا والآخرة فأولئك المحبوبون في أهل السموات المعروفون فيها خفي أمرهم على أهل الأرض وظهر أمرهم لأهل السموات لكلامهم هناك دوى ولبكائهم حين تقعقعه أبواب السماء من سرعة فتحها اجابة لدعائهم فأعظم بهم عند الله جلها ومنزلة وأعظم بهم خوفا من الله وحسن ظن به فهم مسرورون برهم قريبة أعينهم طرية قلوبهم بذكرهم مشتاقة ساكنة مطمئنة اليه قد تقدموا الناس وانقطع الناس عنهم وأشرفوا على الناس واشتغل الناس عنهم فعجبوا من الناس وعجب الناس منهم انقطعوا الى الله بهمومهم وأهوائهم وعلقوا به قلوبهم ولجوا الى الله لجا المستغيثين به المتوكلين عليه قد تخلصت اليه عقولهم بالمودة فأنزلوا نسيانه

معصية محرمة عليهم فقبلهم واجتباهم ونعمهم وخصهم وكفاهم وآواهم وعليهم وعرفهم وأسمعهم وبصرهم وحجبهم عن الآفات وحجب الآفات عنهم وأقامهم مقام الطهارة وأنزلهم منازل السلامة وأقام قلوبهم بذكره فلم يريدوا به بدلا ولا عنه حولا صيانة لديه وطربا واشتياقا اليه قد أذاقهم من حلاوة ذكره وألعمهم من لذاتة مناجاته وسقام بكأسه فهم والمهون به ليس لهم مسكن غيره تضطرب قلوبهم عند فقدته حتى ترجع الى موضع حينها يحتملون الأشياءه ولا يحتملون شيئا من غير أمره ولهم في كل يوم وليلة منه هدايا مجددة فتارة يغلب على قلوبهم تعظيم ربهم وجلاله وتارة يغلب على قلوبهم قدرته وسلطانه وتارة يغلب على قلوبهم آلاؤه ونعمائوه وتارة يغلب على قلوبهم تقصيرهم عن واجب حقه وتارة يغلب على قلوبهم رأفته ورحمته وتارة يصيرون الى حينه ولهم في كل تارة دعة ولذة وفي كل دعة ولذة فكرة وعبرة وقلوبهم في كل فكرة وعبرة محتاجة طربة هائلة لذكر الله مستقلة به عما سواه فهم يسقون من كل تارة مشربا سائغا يذيقهم لذته ولهم في كل مقام علم زيادة يعرفهم ما يحدث لهم في قلوبهم من الزيادة فلو رأيتهم وقد انقطعت آمال الخلق عنهم وأفضوا الى الله جل ذكره بجميع رغباتهم وانزاحت الأشياء الشاغلة عن قلوبهم فصمت عنها أسماعهم وانصرفت أبصار قلوبهم اليه فلهت به عما سواه حتى اذا جنهم الليل وزجرهم القرآن ببجائبه من وعده ووعيده وأخباره وأمثاله شربوا من كل نوع كأسا من الزجر والتحذير والأخبار والأمثال والوعد والوعيد وجدوا حلاوة ما شربوا حتى اذا صفا يقينهم ارتفعوا الى عظمة سيدهم وجلال مولاهم خضع كل عضو منهم لله وخشعت كل جارحة منهم لسكونها اليه غير منتشرة عليه همومهم بل كل ذلك لذاتة لاستماعه فقد كشف لهم القرآن عن أموره وكشف لهم عن عجائبه ودلهم على باطن علمه فيفهمونه فيسمون به الى جلال سيده

وقاره حتى اذا اتقدت الأنوار في قلوبهم وتمكن اليقين من أجوافهم وحنّت
القلوب لحنينها وضائق عن احتمال ما هم عليها حاج منهم مالا يملكون امساكه
فلما بلغ الأمر منهم مداه واتهى كل شيء منهم متناه أقبل عليهم ربهم جل جلاله
بالطمانينة والسكون فلولا حسن سياسته لهم ونظره ولطفه بهم مارجعت اليهم
عقولهم ولا أثبتوا معارفهم ولا سكنوا منازلهم للذي هم على أبصار قلوبهم من
عظمة سيدهم فهم يزدادون له ذكرا ومودة ومحبة في كل ما امتحنهم به من أمر
الدنيا والآخرة فقد أعرضوا عن كل نعيم عاجل أو آجل واشتغلوا عن النعيم
بذكر مولاهم وكل ذلك منه وتفضل عليهم فهم أدلاء لعباده وأعلام في بلاده
وحجة له على خلقه وخلف الأنبياء وودائع عليه فهم ينزل الغيث وبهم يصرف
العذاب وبهم ينصر على العدو فهم بركة بين ظهرانينا يحبون الله ويحبون ذكره
أقاموا مشيئتهم فيما وافق محبة ربهم يفضيئون لغضبه ويحبون لمحبه فهو يسوسهم
بسياسته ويوقهم بتوقيفه يأتيهم العون من الله تعالى في كل حال يرحون الخلق
برحمة ربهم ويؤملون فضله قد أزال عن قلوبهم المطامع وأسكنها الغنى فاكثفوا
بما جزاهم وبلغوا بما بلغهم فهم القاتنون الراهبون السائحون الراغبون المحبون
لله الذين فكروا في قدرته وعملوا في محبته حتى ورثوا الرهبة ثم ورثوا الرغبة
ثم ورثوا الشوق ثم رفعهم الى منزلة لم يكن لهم فيها رغبة ، ! كن لهم فيها غير ربهم
همة غلبت المحبة على قلوبهم واستولت على عقولهم وأهواهم فبنوا على ذلك
أعمالهم وصيروا فيه جميع رغباتهم ثم رفعهم الى مزيد فوائده فهم أولياء الله
حقا منهم المرسلون والنبيون والصديقون والشهداء والصالحون فاقوا أهل السماء
وأهل الأرض لشدة حبهم لربهم فما أصابوا من الدنيا لم يصيبوه على جهة
ما يصيبه أهل الدنيا من التلذذ والطرب اليه والاشتغاله به والتفكه إنما يصيبونه
على موضع التقوية على عبادة ربهم ودوا لو أنهم أكلوا من الدنيا أكلة واحدة

تكون آخر زادهم منها لا اكتفوا بما قل فامسا أعطوا الله ذلك من قلوبهم ضيق
 أنعامهم وأسقط عنهم شهواتهم واكتفوا باليسير من المطعم فعند ذلك خفت
 عليهم مؤنة الدنيا فلم ينافسوا فيها أحدا فتلك حالاتهم في المطعم والملبس مائتياً
 أكلوه ولبسوه ليس لهم تخيير ولا تلهذ في أخذ ولا ترك خوف الشهوات والاشتغال
 عما هم فيه فأسكن الله في قلوبهم من معرفته وجه ما أذاب كل مودة لأهل أو ولد
 أو مال فإن عرض من ذلك في قلوبهم عارض غفاطر من غير ثبوت فيها ورثوا
 نور الهدى فأبصروا مواضع حيل ابليس ومكره فكسروا عليه كيده ولبسوا
 عليه أمره ودلوا الناس على مواضع مكره فهم نصحاء الله في عبادته وأمنائه
 في بلاده ثم أسكن محبتهم في ملكوت السموات في عاين فأحبهم وحبيهم
 الى ملائكته . فأحيوا قلوبكم أيها المريدون بالذكر وأميئتها بالخشية
 ونورها بحب لقاء الله وفرحوها بالشوق اليه واقمعوها بالمناصحة . واعلموا
 أنكم بالحجة ترتفعون وبالمعرفة ترهبون وبالشوق ترغبون وبحسن النية تقهرون
 الهوى وبترك الشهوات تصفون لكم أعمالكم وتوثرون ربكم وحده حتى يؤثركم
 ملكوت السماء في عليين فمن كان منكم مريدا للراحة فليعمل في منازل أهل
 محبة الله جل ذكره بعزم وإرادة قوة وهي الدرجات السبع التي تنتقل فيها بنو
 آدم حتى يصيروا الى المعرفة والعلم وهي الدرجات التي أرسل الله جل ذكره عليها
 الرسل ثم الأنبياء الذين لم يأتهم الوحي مع جبريل ولا غيره من الملائكة إنما
 يكون ذلك بالإلهام من الله عز وجل والهوائد وإنما ورث ذلك الأنبياء من
 المرسلين الذين خصهم الله برسالته ثم ورث ذلك بعد الأنبياء الصديقون فاقتدوا
 بهم وجدوا في آثارهم فإنه لم يحكم هذه الدرجات السبع الا رسول أو نبي أو
 صديق أو بدل من الأبدال الذين جعلهم الله أوتاد الأرض فسقى بهم الغيث
 وأنزل على العباد بدعائهم الرحمة وصرف عنهم بهم السوء فمن كان مريدا للعمل

في هذه الدرجات والاعتداء بالمرسلين والنيبين والصدّيقين في سيرهم فليرفض الدنيا من قلبه حتى لا يكون فيه منها علاقة تشغله عن ربه فانه من تعلق قلبه بشيء منها شغله حتى تغلب عليه فليبدأ برفض الدنيا وطر حرام من قلبه حتى لا تعدل عنده قدر جناح بعوضة فانها عند الله عز ذكره بتلك المنزلة وأصغر

(فصل) قال رحمه الله فأول ما يبدأ به ويتناول من الدرجات السبع درجة المعرفة وهو أن يعرف ربه كما ينبغي له من حيث تعرف إليه ربه فقد تعرف الى خلقه بخلقهم ايامهم وتديره فيهم وبصفته بما وصف به نفسه فانه يغفور رحيم لمن أناب اليه وطلب رضاه وأنه شديد العقاب لمن كذب به وكذب عليه وكذب رسله وعصاه . واعلم أن من لم يحكم أمر المعرفة لم يدرك ما سواها من العلم والعمل ولا من الدرجات التي ذكرنا ولا تكون المعرفة حتى تثبت في القلب باليقين الراسخ فاذا كان ذلك كذلك كانت الاعمال الصالحة على قدر المعرفة فان قصر في المعرفة كان في العمل أشد تقصيرا وضعفا لئنه ولم يجد السبيل الى بلوغ تلك الدرجات . ومن عرف الله علم أنه قائم على قلبه بما كسب وأنه معه يراه وينظره في جميع أحواله فاذا علم أن ذلك كذلك لم يكن شيء أحب اليه من رضاه ولقائه ولا أبغض اليه من معصيته وبقائه وإن أحب البقاء في الدنيا لم يحبه الا للعمل بطاعته . ولينظر المرید للمعرفة في أسماء الله . ويتدبرها حتى يعرف بها ويدخل ذلك قلبه فانه يورث قلبه بذلك العلم وهي الدرجة الثانية . فاذا كان عالما به علم أنه لا يقبل منه الا ما أمر به ونهاه عنه وعلم أن ذلك عنده ينشطه للعمل الصالح . ثم يورث قلبه بعد ذلك الخشية وهي الدرجة الثالثة درجة التقوى لله لقول الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وهي مراقبته في السر والعلانية . فاذا دخل في هذه الدرجة استقل كل ما يعمل به الله جل ذكره فعند ذلك لا يألو جهدا ولا اجتهدا ولا يميل . فاذا وصل العبد

الى ذلك ودأب على عمله فيما يرضى ربه نظر الله اليه بالرحمة فعند ذلك يورث قلبه الحب له وهى الدرجة الرابعة . فاذا صار الى هذه الدرجة آثر حب الله على جميع حب خلقه وأحب الله وحبه الى ملائكته الذين حول عرشه والى ملائكة السموات كلها وأهل الأرض ومن فيها وبسط حبه على الماء فلا يشربه أحد من جميع خلقه الا أحبه ولا يزداد فى عمله الإجداد واجتهاداً فورث قلبه بعد هذا الشوق اليه والحب للقاءه وهى الدرجة الخامسة . فيكون بمنزلة العاشق قد غلب على قلبه الذكر لله وشغل عن كثير من العمل ما خلا الفرائض واجتناب المحارم ويكون فى ذلك الحال أقوى من كل عامل فى الدنيا وأرفع منزلة لأنه لم يتفرغ قلبه من ذكر ربه طريقة عين لاناثماً ولا قائماً ولا آكلًا ولا شارباً والله لا ينسى من ذكره فلو تركه الله عز وجل على تلك الحال لذاب كما يذوب الملح فى الماء ولما انتفع بشئ من أمور الدنيا حتى يموت تشوقاً الى الله الا أنه اذا رآه الله على تلك الحال من عليه بالطمأنينة وهى الدرجة السادسة . فيطمئن قلبه حتى يكون كأنه معاين له وكأنه بين يديه فيكون هو مستودعه وأنيسه وسائسه ودليله فعند ذلك يورث قلبه الغنى ولا يحتاج الى غيره فيكون معظم دعائه للخلق بالصلاح وصرف السوء عنهم حتى يصير بمنزلة الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويستغفرون لمن فى الأرض فعند ذلك لاتسقط له دعوة وهى الدرجة السابعة . فاذا صار الى تلك الحال لم يفقد بشئ من حوائجه اذا خطرت بباله تصير بين يديه وما أراد منها يأتيه من غير أن يدعو بشئ خطر على باله لطفاً من الله وتعاهداً منه حتى يعجب من لطفه ونظيره وصنعه فيكون قوله عدلاً وفعله رضا فالحمد لله الذى من والاه نعمه وأغناه والحمد لله رب العالمين

فصل في الرياء

اعلم وفقنا الله وإياك أن أكد ما على المرید في ابتداء أمره التحفظ على نفسه والتحرز من الآفات التي تعتوره فيها هو بصدده إذ أن العوائق كثيرة ظاهرا وباطنا فقد يكون ذلك سببا لمنع الوصول الى ما تقدم ذكره فيأخذ نفسه أولا بالجد والاجتهاد في التحرز مما ذكر ليسلم له ما تقدم وصفه. فأول ذلك أن يتقى الرياء والعجب والشهرة والكبر لانه سم قاتل أدنى الأشياء منه يحبط الأعمال كلها وقد يخفى في بعض الأحوال لانه أخفى من ديب التمل كما ورد لكن يتبين أمره وتظهر آفاته بما ذكره الشيخ الامام يمين بن رزق رحمه الله وهو أن قال أصل العبد لم يزل منذ نشأ مرائيا في جميع أحواله وذلك لميله الى الدنيا وإثارة لها على الآخرة وإهماله نفسه وإرساله نيته فلما أهمل نفسه وقلت محاسبته لها لم يتخلص من الرياء فعمل للدنيا على غير أصل نية ثابتة وقد نهى الله عن إهمال النفس وتضييع الأعمال فقال الله تبارك وتعالى - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ - فنهاهم عز وجل عن إضاعة الأعمال فلا يكون عمل من الأعمال إلا عن إرادة ولا تكون الإرادة إلا عن نية وقد نهى الله تبارك وتعالى عن إضاعة شيء من ذلك وأى عمل أكبر من الإرادة والنية وقد وجدنا الإنسان لا يخلو من حركة أو سكون والحركة والسكون جميعها عمل وقد نهى الله عن تضييع العمل فلما ترك ما أمره الله به من إخلاص العمل لم يميز بين الرياء وغيره وأمرج نفسه (١) فعمل على ما يخطر بباله وجميع ما يتقلب فيه رياء محض ظاهر لا يعرفه هو من نفسه ويعرفه منه من نور الله الحكمة في قلبه فهم يرون فعلهم فعل أهل الرياء فمنهم من يمسك عن صاحبه لمعرفة به ولو أنه

(١) أمرج نفسه تركها ترعى على هواها

أبدى اليه شيئاً من عيوبه لغفر منه وذب عن نفسه وأبطل مانسبه اليه فصار
عدوا مشاحنا وأقل مايقول للعارف بعيوبه حسدتي فلما علم الحكيم أهل
زمانه وأن زمانه زمان غلبة الهوى والعجاب كل ذى رأى برأيه اعتزل بنفسه ونفر عن
العامه وعلم أنه زمان قد صار المعروف فيه عند أهله منكرا وأن الشر قد أحاط
بالخير واعتزل أهل زمانه بصدق الإرادة فلما تبين له الصدق ومافيه وأن العمل
لا يصفو الا بالصدق اتقى الكذب وفنونه كلها وتشوقت عند ذلك نفسه الى
الكذب والرياء لحلاوة فنونه عندها فأخذها بالجد والاجتهاد فى ترك ذلك
فلما رأت ذلك منه رجعت منقادة فلما صارت الى تلك الحالة ورأى العبد ذلك
منها ازداد الى الصدق تشوقا وازداد للكذب مقتا وإنما كان بنفر الصدق وفنونه
من قلبه لغلبة الكذب وفنونه عليه وهو الرياء والعجب وحب الرياسة واتخاذ
المنزلة عند المخلوقين والمحمدة والعزة والتعظيم والتخيير فى الأعمال الكاذبة فن عمل
بالصدق واتقى الكذب برىء من الرياء والعجب ودواعى الشر كله فاذا خلا من
ذلك ثبت الصدق وفنونه فى قلبه . قال بعض الحكماء ان الشيطان يأتى ابن آدم من
قبل المعاصى فان امتنع منه أتاه من وجه النصيحة ليستدرجه فلا يزال به حتى يلقيه
فى بدعة فان امتنع عليه أتاه من جهة الحرج والشدة ليحرم حلالا أو يحل حراما
فان امتنع عليه أتاه من قبل الوضوء فيشككه فى وضوئه وصلاته وصيامه حتى
يعتقد بهواه أمرا يضل به عن السبيل ويدع العلم فاذا قدر منه على شئ من
ذلك خلى بينه وبين العبادة والزهد وقيام الليل والصدقة وكل أعمال البر ويخفف
ذلك عليه وربما كايده الشيطان من المردة فيقول له ابليس دعه لا تصده عما
يريد فانما بأمرى يعمل فاذا نظر اليه الناس فى عبادته وزهده وصبره ورضاه
بالذل قالت العامة ومن لا علم له هذا عالم مصيب صابر فيتبعونه على ضلالتهم
ويعمد له ابليس الصوت فيعجب بعمله فيكون قننة لكل مفتون . ومن علامته

الاعجاب برأيه والازراء على من لا يعمل مثل عمله ويكون نظره للناس بالاحتقار لهم ويتغضب عليهم في التقصير به. وقد روى في العلم احذروا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاسق فان فتنتهما فتنة لكل مفتون. واعلم يا أخى أن العبد اذا أراد أن يعمل العمل بالرفق قال له العدو ان العمل بالخير لا يتفعل حتى تدع الشر كله وتزهّد في الدنيا وتعتزل عن الناس فاعرف نفسك وأصلح عيوبك والذي عندك أكثر وأعظم من أن يصلح هكذا سرّياً ويعظم عليه الأمر حتى يكاد يقطّع وينقطع عن العمل وان كان في يديه دنيا عرض له بحسن الظن والرجاء والتسويق وطول الأمل فان أجابه الى هذا الباب قطعه عن البر وشغله بالدنيا وشهواتها وان رد ذلك عليه وقال التوبة قال صدقت لعمري لقد فرطت وأخاف أن يدركك الموت فعليك بالجد والاجتهاد ولا تريد أن تقصر فيلزمه أشد العبادّة فيثبت أو ينقطع أو يذهب عقله فان اشتهر بذلك عند الناس ألقى اليه طول الأمل وخوفه قلة الصبر ويقول له لك بالناس أسوة فيغض اليه العبادّة ويثقلها عليه ثم يقول له ان الناس قد عرفوك بالعمل فلا تبد لهم التقصير ودع نفسك في السر ويعرض له بغذائه الاول من الشهوات التي كان يصيها فيميل اليها ويرجع الى حالته الاولى وصار عمله علانية رياء لا ينفعه شيء وعلامة ذلك أن يستحلي الكلام في الزهد وما يزينه عند الناس ويحب اليه مجالسة الناس فتصير عبادته وزهده كله بالكلام. فالعالم عرف ضعف نفسه وعرف زمانه وقلة الاعوان فيه على الخير وكثرة الاعداء فأخذ الأمر بالرفق والاستعانة بالله وطلب صفاء الأعمال والاخلاص فيها وان قلت الأعمال وطلب مخالفة الهوى ونقل الطباع بالرفق وموافقة السنة وأخرج الناس من قلبه وقصد جهاد نفسه ومحاربة الشيطان والمعاندة للهوى بالخلاف لما يلقون اليه فان الله جل ثناؤه قد جعل لكل مكيدة من مكائد الشيطان سلاحاً يدفع به تلك المكيدات

وينبغي للعابد أن يعرف نزغات الشيطان من أين تأتيه وما تهواه النفس فإن الشيطان لا يصل إلى العبد ولا يقدر عليه إلا من قبل موافقة الهوى فإذا بدأ العبد بنفسه ومحاربتها وهواه فأماته هان عليه الشيطان . واعلم يا أخي أن هذا الدين متين فإن أنت وغلت فيه بالرفق أدكنك وشر السير الحقيقة (١) وقليل تدوم عليه خير من اجتهد يقطعك فانك لم تر شيئاً أشد تولياً من القارىء إذا تولى ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من الحور بعد الكور (٢) وكانوا يحبون الزيادة يكرهون النقصان . وينبغي للعابد أن يكون حذراً من مخالفة السنة فإن من خالف السنة خالف الحق ومن خالف الحق هلك . فأت العلماء والزم أدبهم فإن رأيهم يقصرون في بعض ما يقولون فلا تزهد فيهم واقتدى بالبصيرة منهم والبصر ومن يوافق قوله فعله . وذلك أنه يروى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه قال عقول الرجال على قدر أزمتهن فإذا نقص العقل نقص البر كله فأعرف نفسك في زمانك . واعلم أن الزهد والعبادة والعلم المعمول به في هذا الزمان قليل وإذا كان من يتشبه بالعلماء لا يصبر على نزول المحن فكيف يصبر الجاهل على نزولها وإذا كان من يتشبه بالزهاد لا يصبر فكيف يصبر الراغب في الدنيا والعالم من أهل هذا الزمان من شدة الصبر خرج والجاهل من شدة الصبر خرج . وأما العالم الصادق الذي استوجب اسم العلم على الحقيقة فإنه يكره من علمه بالله أن يظهر بلسانه أو يديه أو بجوارحه أكثر مما في قلبه فيمقته الله على ذلك ولم يره الله يؤثر دنياه على آخرته فصبر على الدنيا وصبر على الذم والتقصير والتقلل وكره المدح والتوسع من الدنيا والجاهل الذي يعمل بجمل جزع من الذم وفرح بالمدح والتوسع من الدنيا حتى صبر على الدنيا من الجزع فاحذر

(١) الحقيقة السير بعنف (٢) الحور النقص . والكور الزيادة أى كان

صلى الله تعالى عليه وسلم يتعوذ من النقص بعد الزيادة

أن تصبر صبر الجاهل ولذلك ثقل العمل على أهل العلم بالله وخف على أهل الجهل ونوم العالم أفضل من اجتهد الجاهل وضحك العالم بالله أفضل من بكاء الجاهل فاحذر ابليس على أفعالك كلها واحذر نفسك وهوأك واحذر أهل زمانك ولا تأمن أحدا منهم على دينك . واعلم أن ابليس قد نصب لك حباته وأقعد لك الرصدة على كل منهل وقد سلط أن يجرى منك مجرى الدم في العروق ويراك هو وأعوانه من حيث لا تراهم . واعلم أنه يأتيك من قبل الرياء والعجب والكبر والشك والاياس والأمن من المكر والاستدراج وترك الاشفاق فان تابعت في شيء من ذلك فأنت على سبيل هلكة فيتذخلى بينك وبين ماشئت من العمل فان خالفته أتاك من قبل الدنيا ليستولى الهوى على قلبك فيتمكن هو من الذى يريد منك فان خالفته أتاك من قبل المعاصى فان خالفته أتاك من قبل النصيحة . وهذه الخصال التى وصفت لك كلها أشد من المعاصى وصاحبها لا يكاد يتوب من شيء منها وربما اتبه العبد فتاب منها فان ظفر من العبد بالعجب قال له ان الناس يقتدون بك فاعمل وأعلن عملك فيتأسى الناس بك ويعملون مثل عملك ويكون ذلك مثل أجر من عمل مثل عملك لانه من دل على خير فله مثل أجر فاعله فاذا ظهر عمله فرح به فصار معجبا وحمد نفسه فنسى النعمة عليه فاذا نظر الى عمله حجب اليه حمدهم واتخاذ المنزلة عندهم فاذا فعل ذلك صار مرآيا مفاخرا . فاتهم فرح القلب بالعمل فان الفرح الى القلب الفرح أقرب وأسرع منه الى القلب الحزين وأقل من معرفة الناس فانه ليس يأتيك ماتكره الايمن تعرف فان كان لا يأتيك ماتكره الايمن قبلهم فكلموا كان خيرا . واعلم أن العبد يعمل العمل فى السرفلا يزال به ابليس يقول أظهره ليقتردى بك الناس فيه وتنشطهم على طاعة ربك فلا يزال به حتى يظهره فاذا أظهره كتب فى ديوان العلانية فلا يزال به حتى يفتخر به فاذا افتخر به كتب فى ديوان الرياء فعليك بعمل السر وكتباته وخمول النفس

واسقاط الميزلة واكنم الحسنات كما تكتم السيئات وخف من فضيحة الحسنات كما تخاف من فضيحة السيئات فان المفتضح بالسيئات ليس يفتضح عند الخلق كلهم انما يفتضح عند قوم دون قوم والمفتضح بالحسنات اذا دخلها الرياء اقتضح عند الخلق كلهم فاحذر واستح من الله أن يراك تعمل لغيره وتطلب الثواب منه وأخلص العمل لله واصدق فيه . واعلم أن تخليص العمل في العمل أشد من العمل حتى يتخلص والاتقاء من العمل بعد العمل أشد من العمل في العمل . واعلم أنه لا يقبل الله عملاً من وراء ولا من مسمع ولا من داع الا بثبوت من قلبه واحذر الرياء كله فان أوله وآخره باطل وكن في العمل متأنياً وقافاً فاذا هممت بعمل فقف عنده فان كان لله خالصاً فاحمد الله وامض فيه واستعن بالله على اخلاصه وأكلف من العمل ما تطيق وتحب أن تزداد منه ودم عليه فان أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل فاعمل بما يتبين لك أنه حق واضح فاذا أشكل عليك فقف ولا تقتحم وناظر العلماء الذين يعملون بعلمهم فهم الذين قصدوا الى الله وهم الدعاة الى سبيل النجاة الادلاء على الله لان المؤمن وقاف عند ما اشتبه عليه وليس كخاطب الليل فناظر العلماء فيما التبس عليك فما اجتمعوا عليه فغذبه وما اختلفوا فيه فخذ أنت فيه بالثقة والاحتياط فان الاثم حواز القلوب . واعلم أن إبليس ربما قال للعبد قد سبقك الناس الى الله متى تلحق بهم فليقل له عند ذلك قد عرفتك أنا في الطلب ان رفقت لحقت وان لم أرفق لم ألحق ان صبرت على القليل نلت الكثير وان عجزت عن القليل فأنا عن الكثير أعجز وقد قال الله عز وجل ﴿ واذن لهم الشيطان أعمالهم ﴾ فالزينة من الشيطان والنور من الله عز وجل فاذا عمل العبد عملاً فرأى الشيطان معه نورا كانت همه الخيثة أن يطفى ذلك النور فان كان الغالب على العبد عمل السر أخرجه الى عمل العلانية بحيلته ومكيدته فان عمل في العلانية بصدق واخلاص فرأى

في عمله العلانية. نوراً وصبراً أمره بمخالطة الناس ليؤذى فلا يحتمل فإن خالطهم
 فأؤذى واحتمل الأذى أمره بالعزلة والراحة من الناس ليعجب بما يعمل
 ويضجر من العمل فإن اعتزل وصبر وأخلص قال له أرفق خير لك فيصده
 عن العبادة وإنما يلتبس من الأشياء غفلته فينبغي للعبد أن يكون غير غافل
 عنه وليستعن بالله عليه . واعلم أن صاحب الاخلاص خائف وجل حزين
 متواضع منتظر للفرج من عند الله يود أنه نجا كفافاً لا له ولا عليه . والجاهل
 فرح غفوره متكبر مدل بعمله . ويروى عن بعض الحكماء أنه قال انى لأعرف مائة
 باب من الخير وليس عندي منها شيء . واعلم أن العالم العامل الصادق المخلص
 العارف الخائف المشتاق الراضى المسلم الموفق الواثق المتوكل المحب لربه يحب
 أن لا يرى شخصه ولا يحكى قوله ويود أنه أفلت كفافاً فعرفته بنفسه بلغت به
 هذه الدرجات وتمسكه بهذه العزائم أوصله الى محض الايمان . والجاهل المسكين
 يحب أن يعرف بالخير وينتشر عنه وينشر ذكره ولا يحب أن يزرى عليه
 في قول ولا فعل بل يحب أن يحمد على ذلك كله ويوطأ عقبه وان لم يزره شيئاً
 وإنما شدة حبه لذلك للحلاوة الثناء والحب لاقامة المنزلة والفتة في هذا عظمة
 والمؤنة عليه شديدة وهو عبد من عبيد الهوى يتلاعب به الشيطان كل التلاعب
 تنقضى أيامه ويفنى عمره على هذا الحال أسيراً للشيطان وعبداً للهوى . واعلم
 أن الشيطان اذا نظر الى العبد مريداً صادقاً مخلصاً مداوماً عارفاً بنفسه عارفاً
 بهواه معانداً لها حذراً مستعداً عارفاً بفقره الى الله تعالى قال له ان هذا الأمر
 لا يصلح الا بالأعوان عليه والشيطان على الواحد أقوى وهو من الاثنين أبعد
 فجالس اخوانك وذاكرهم وأخبرهم بما ينوبك في عمالك من نفسك وهواك
 ومن عدوك فانهم يدلونك ويعينونك يريد بذلك ذهاب حزن الخلو والاطفاء
 نور العزلة وقطع سبيل النجاة وفتح طريق الفضول والشغل بغير الله واخراجه

من عمل السر الى عمل العلانية وانما يريد بذلك كله اطفاء ماقد أحدث الله عز وجل في قلب العبد من نور فذكر الخلوات فان قلت هذا انما هو من الشيطان قال لك أجل انما هو من الشيطان لتعليمك الناس أفضل من عملك فلو أخبرت الناس بذلك لكان خيرا لك ليعلموا من آفات الأعمال ما تعلم فتوثر فيهم فان قلت أيضا هذا من الشيطان قال لك لولا علمك لم تعلم بهذه الآفات لتعجب بنفسك وتنسى النعمة عليك في العمل فتخمد النفس فلا يجاوز عملك رأسك فاحذر هذا الباب فان فيه شهوات خفية ومن الشهوات الخفية أن يخفى العبد عمله ويحب أن يعلم الناس به ويحب أن يرى أثر ذلك عليه والعمل خفي في السر الا أنه يحب أن يرى أثر ذلك العمل عليه اما من علامة عطش ان كان صائما أو علامة سهر في الوجه ان كان قام من الليل . واعلم أن العبد ان قال أنا أعمل لله لالناس قال له صدقت أخلص عملك لله فان المخلص يحبه الله الى الناس ويعرفهم فضله فان قال العبد وما حاجتى الى الناس قال فأنت الآن المخلص الذى قد أخرجت الناس من قلبك وعرفت مكيدة ابليس وقد نجوت وأنت معصوم فان عقل العبد وقال له ومن أنا وانما الأعمال من من الله على العباد ولها شكر وانما الأعمال بخواتيمها وانما الثواب على الله يوم الجزاء لمن أخلص ولم يعجب بعمله ولم ينسب الى نفسه نعمة هي من الله قد وجب له بها عليه الشكر فانه يقول للعبد عند ذلك الآن نجوت حين اعترفت لله بذلك وقت بشكر النعمة وتواضعت لربك و برأت نفسك من العمل ونسبته الى الذى هو منه فان قبلت ذلك منه هلكت ولكن قل أنا أرجو وأخاف وليس الى من النجاة شيء . ولست أدرى بما يحتملى على . وإياك ثم إياك والتزين بترك التزين وذلك أنه ربما تزين الرجل بالرقاع والخرق والشعث وترك الدنيا وانما يريد بذلك كله التزين فان فعلت ذلك نزلت بمحلة خشوع النفاق وان عرفت نفسك

بشيء من ذلك ولم تسارع الى التحول عنه خفت أن يلحقك الخذلان والمقت
فاتق الله في جميع أمورك واعمل له كأنك تراه . فان قال لك الحبيث الآن نجوت
حين عرفت نفسك وأنزلتها هذه المنزلة وحذرت هواك وعدوك فقل الآن
هلكت حين أمنت العقاب فان قال لك الآن نجوت حين خفت أن تكون قد
أمنت العقاب فقل الآن هلكت لو كنت صادقا لصدق قولى فعلى ولازددت
خوفاً وحياء من الله جل ذكره ولو كنت كذلك لحال بينى وبينك وجعلنى فى
حرزه وحصنه ومن عباده الذين قال فيهم ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾
ولم تكن أنت تدخل على فى عملى فان قال لك جاهد نفسك فانه أفضل العمل
فان الناس قد شغلهم أمر غيرهم واتبعوا أهواءهم وأنت بينهم غريب وأنت
كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال طوبى للغرباء وأنت المعروف فى أهل السماء والمجهول فى أهل الأرض
فان قبلت ذلك هلكت وان قلت هذا من الشيطان قال لك صدقت هذا من
الشيطان وقد كثرت عليك مكائده ومجاهدة نفسك وهواك فكم تعذب نفسك
ان كنت شقيماً لم تسعد أبداً وان كنت سعيداً لم تشق أبداً ولا يضرك ترك
العمل ان كنت سعيداً ولا ينفعك العمل الكثير ان كنت شقيماً فان قبلت
القنوط الذى ألقاه اليك هلكت وان تركت العمل ونلت من الشهوات على
الغرور وحسن الظن بزعمك والاتكال على الرجاء الكاذب والطمع الكاذب
والامانى الكاذبة ورجوت الجنة بالغرور وطلبتها طلب المتعبدى بالراحة
عطيت وان امتنعت قال لك أحسن ظنك بالله فانه يقول أنا عند ظن عبدى بى
والله يجب اليسر والدين واسع والله غفور رحيم فاعرف نفسك عند ذلك
واعتصم بالله ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ واعلم أنك ان كنت فى بلد وأنت فيه سالم
وأمرك فيه مستقيم والنور معك فى فعلك وقولك قال لك عليك بالثغور وعليك

بمكة وعليك بكذا فان قبلت ذلك رأيت فترة في عاجل عملك وقساوة في قلبك ووقعت في المشورة يريد بذلك النقصان بسبب السفر والشغل به عن الدأب في العبادة والنشاط الذي كان معك فان صرت الى بلد أنت فيه مسرور وقلبك ريمح قال لك موضعك كان أصلح لقلبك وأجمع لهمتك فارجع الى موضعك فان أحب الأعمال الى الله أدومها مع معرفة النفس والفقر الى الله تعالى فان للدأب ثوابا وللصبر ثوابا ﴿ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ واعلم أن من ينجو بالأعمال أكثر ممن يهلك بها وكل عبد ميسر لما خلق له . واعلم أن من يهلك بالتفريط والتضييع أكثر وينبغي للمؤمن أن يكون راغبا راهبا لا يأمّن ولا يأس . واعلم أنه يأتيك من وجوه كثيرة لا يغفل ولا يألوك خبالا ان كنت مقلا عندك من الدنيا شيء يسير تريد أن تقوته نفسك أمرك بالصدقة ورغبك فيها لتخرج مافي يديك وتحتاج رجاء أن يظفر بك في حال الغفلة وان كنت غنيا أمرك بالامساك ورغبك فيه وخوفك الفقر والحاجة وقال لك ابدأ بمن تعول ولعلك تكبر وتضعف ويطول عمرك يريد بذلك أن تصير الى حال البخل فيظفر بك وان كنت تصوم وقد عرفت بالصوم وأحببت أن تريح نفسك قال لك قد عرفت بالصوم لا تقطر فيضع الناس أمرك على أنك قد كبرت وتغيرت وفترت وعجزت فان قلت مالى وللناس قال لك صدقت أفطر فان المحسن معان سيضعون أمرك على أحسن الوجوه فان قبلت ذلك منه وأفطرت على أن الناس سيضعون أمرك على أحسن الوجوه والمنزلة لا تسقط عندهم بافطارك فقد عطبت وان أنت نفيت ذلك تركه ونصب لك باباً آخر فقال لك عليك بالتواضع ليشهرك عند الناس وكلما ازددت تواضعا على قبوله منه للشهوة والشهرة ازداد كلباً عليك فاتق ما وصفت لك والجا الى الله في أمورك كلها واترك كل شيء من الدنيا لعمل الآخرة رغبة منك في الآخرة وحياً لها وإثارة لها على الدنيا فحبك اياها

تصل إليها وبقدر جك لها تعمل لها وأقل الدنيا وابتغضها فبقدر بغضك لها تهتد فيها وانظر ان كنت ذا علم تخف أن توقف يوم القيامة فيقال لك بعداً وسحقاً بعد العلم والتبصر ملت الى الدنيا وتركت العلم والعمل واخترت ما أسخط الله ما غرك بربك الكريم أيها المغرور فليعبد الله العالم بطاعة العلم وليترك طاعة الجهل وليترك الاغترار . واعلم أن الشيطان يوم القيامة يتبرأ من جميع من أطاعه في الدنيا وهو يقول في الدنيا من ظن أنه ينجو مني بحيلة فني جبالى وقع قال الله تبارك وتعالى ﴿ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وقال ﴿يا أيها الناس أتمموا الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد﴾ فافهم واحذر وافطن وانظر وحارب واستعد وكابد وجاهد واستعن بالله تعالى . واعلم أن العبد اذا قام الى الصلاة يريد بها ثواب الله وحده ﴿فتواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون﴾ وان أراد بها ثواب الله وحده غيره هلك . واعلم أن أولى الاشياء بالعبد أن يخلص عمله كله لله والكلام فيه كثير غير أن الاصل فى اخلاص العمل أن يعمل العبد العمل كله يريد به الله لا يحب أن يطلع عليه أحد من الناس فان اطلع أحد على عمله كره ذلك بقلبه ولم يسر بذلك فلم يحب أن يحمده أحد على شيء من عمله ولم يتخذ به منزلة عندهم فهذا أصل اخلاص العمل والله المستعان . وأما الرياء فهو أن تحب أن يحمداك الناس على شيء من عملك أو تقوم لك به منزلة عندهم ومن أراد العمل اقتصر على القليل ومن لم يرد العمل لم يكتف بالكثير . واعلم أن الناس فى العمل على ثلاثة أصناف . صنف أهملوا أنفسهم فى العمل من البر فعملوا ليعرفوا بالخير فهم الهاككون . وصنف أهل رهبة من الله ورغبة فيما عنده يكابدون الأعمال بالصدق والاخلاص ويتقون فساد الأعمال ولا يحبون المحمدة من المخلوقين ولا المنزلة عندهم ولا يعملون شيئا من العمل للناس ولا يتركون

من أجلمهم شيئا وأحيانا تعرض لهم العوارض وأحيانا يسلمون منها . وصنف قوى اخلاصهم واستقامت سريرتهم وعلانيتهم أخلصوا العمل لله وتركوا الدنيا بعد معرفتهمها ونظروا إليها بالعين التي ينبغي أن ينظر بها إليها فرأوا عيوبها فمقتوها وصدقوا الله في مقتهم لها وتركوها زهدا فيها وصدقوا الله في ذلك فمات ذلك من قلوبهم وذاب ولم يكن لها في قلوبهم قرار لقوة التعظيم لله في قلوبهم فلما استولت العظمة على قلوبهم لم يكن للدنيا ولا لأهلها في قلوبهم مستقر ولا قرار فالحد لله ذى المن والفضل العظيم . ومن الرياء أن العبد يرى أهل الدنيا بالدنيا في لباسه ومركوبه ومسكنه وفرشه وطعامه وشرابه وخدمه حتى الدهن والكحل ونحو ذلك يريد بها صيانة نفسه وهو رياء وليس كالرياء بالأعمال التي يبتغى بها وجه الله لأن المرائين من المؤمنين يخاف عليهم من النار لقوله في الحديث ولكنك فعلت لي قال فلان كذا وكذا فقد قيل ذلك . وهذا الذي رامى بالتكاثر والتفاخر وطلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مراثيا لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وهذا مع ما فيه من الفساد أهون من الباب الآخر وكلاهما شديد والله المستعان وذلك أن المفاخر إنما يريد إقامة مرتبته عند الناس فلو كانت له الدنيا كلها لاحتاج إليها لما معه من حب الدنيا وذلك أن قلبه مشغول عن الله تعالى وعن طلب الآخرة وهو مع هذا خائف وجل من أن تنزل به نازلة تغير حاله فيتغير من كان له مطيعا فما أشد مضرة هذا الباب . وعلامة المريد النظر الى من هو دونه في الرزق والى من هو فوقه في العمل للآخرة ويتواضع ولا ينافس أهل الكبير والفخر والرياء والتكاثر ولا يأخذ مأخذا لنفسه ولا يترك ما ترك لنفسه وما أخذه فأنما ينته فيه القوة على دينه وإقامة فرائضه والاستغناء عن غيره ويدع جمع ما كان للناس من ذلك . وأما العجب فأصله حمد النفس ونسيان النعمة وهو نظر العبد الى نفسه وأفعاله وينسى أن ذلك إنما هو منه من الله

تعالى عليه فيحسن حال نفسه عنده ويقل شكره وينسب الى نفسه شيئا هو من غيرها وهي مطبوعة على خلافه فان غفل هلك واستدرج وكان معجبا بعبادته مزريا على من لم يعمل عمله قد عني عن عيوب نفسه فيكون مستكثرا لعمله مسرورا به راضيا عن نفسه فرحا بها يسعى في هواها غضبه لها ورضاه لها ولا يخلو المعجب بعمله من أن يكون مرآيا لأنهما قرينان لا يفترقان ولا يكون المعجب محزونًا ولا خائفا أبدا لأن العجب ينفي الخوف . واعلم يا أخى أن الناظر الى الله فيما يعمل قد نفي العجب عنه لعله أن العمل انما هو من الله تعالى وهو قائم بالشكر له مستعين بالله عز وجل على كل حال متهم لنفسه قد نفي الأعمال كلها عنها فليس لها عنده فيها حظ ولا نصيب . واعلم أنهم صنفان . صنف علماء أقوياء فهم الذين نظروا الى الله تعالى فيما يعملون فحمدوا الله على ما وهب لهم من قليله وكثيره . وصنف نظروا الى السبب الذي أعطاهم الله فاشتغلوا بشكر السبب والصنف الأول أقوى من هؤلاء أولئك لا يمرض لهم العجب لعلهم به وهؤلاء ربما أعجبوا بالسبب وربما اتقى عنهم فهم مكابدون له فان قاموا بشكر ذلك فأنتهى حسنة وهم دون أولئك وان ركنوا الى ما يدخل عليهم من العجب فقد هلكوا الا أن ينبه الله من شاء منهم فيتوب عليه . والعجب كثير وهو آفة المتعبدين من الأولين والآخرين وهو من الكبر والكبر آفة ابليس التي أهلكه الله بها . وأما الشهرة وإشارة الناس الى العبد فانها لن تضر الا من أرادها والمرء ملبس زين عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر . فكم من مستر بعمله قد شهره الله به وكم من متزين بعمله يريد به الاسم واتخاذ المنزلة عند الناس قد شانه الله به وانما يصلح ذلك ويفسده الضمير فان أحب الشهرة جمع الشهرة والرياء والعجب جميعا وان أراد الله وحده وكان مخلصا لم يضره ذلك عرف أولم يعرف وربما الحق حجب معرفتهم اياه بالعمل فيخرج به الى الباب الذي يحبط الأعمال ومن ذلك حب

معرفتهم إياه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب لله وفي الله فان قام بذلك ونفى ما يحبه وكانت نصيحته لله ولذومنين ونجاة نفسه نجا وان اعتقد شيئا من اتخاذ المنزلة أوجب الثناء أو طلب رياسة أو ليقبل قوله فقد شرب السم الذي لا يبق ولا يذو ولا عاصم من ذلك الا الله . والرياء والعجب والكبر والشهرة انما هي من أعمال القلب فتوسل يأخى الى الله في اصلاح قلبك فان سلم قلبك وعلم الله من ارادتك أنها له خالصة خلصك الله من كل آفة دخلت عليك والله يقسم الثناء كما يقسم الرزق ومن خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء ومن أحب الله أحبه كل شيء والله مسبب العبادة وانما تصحيح العمل بالحوادث على قدر صحة القلب ومع صحة القلب دلالة العقل وسياسة العلم وسابقة الخوف فاذا أردت عملا فابتغ بذلك ثواب الله وأكثر ماتوئلا من الله النجاة من النار والوصول الى نعيم الجنة يهون عليك العمل ويخلصه الله من الآفات ويقويك عليه فاذا عملت فاشكر وانظر هل ينقص من بدنك شيء في ليالك ونهارك لتعقد النية فيما يستقبل وانظر اذا أصبحت كيف مضت عليك ليلتك بتعبها ونصبها وبقي لك ثوابها وسرورها يكن ذلك قوة لك على ما تستقبل فالحسنة لها نور في القلب وسرور يجد العبد حلاوة ذلك السرور وضياء ذلك النور ولم يدع الله جل ذكره المطيعين حتى جعل لهم بالطاعة اللذة والنشاط وقرّة العين وحلاوة القرب اليه ولم يدعمهم حتى حببهم الى الناس وحتى نظروا اليهم بالهيبة لهم والاحلال مع ما في قلوبهم من التواضع والخوف لله فان لم يعرفهم الناس وكانوا من أهل الجهالة بهم كانوا أرفع خلق الله في الدنيا ومن كان بالطاعة عاملا كان من أعز الناس عند الناس وأغناهم بالله ومن هاب الله في السريرة هابه الناس في العلانية وبقدر ما يستحي العبد من الله في الخلوة يستحي الناس منه في العلانية وينبغي للعالم

أن تكون محبته في العمل بالحسنات سترها ونسيانها فانه سيحفظها له من لا ينسها
ويحصى له مثاقل الذر من عمله وان ظهرت الحسنات فليعرف نفسه ولا يغتره
ثناء من جهله ففكر أيها العامل في العواقب فان أحبت أن يحبك الناس أو
يفطنوا بحسناتك اذا عملتها ليكرموك ويحلوك فقد تعرضت لمقت الله عز وجل
لك . ويحك انك ان أسقطك الله سقطت فلا تقتر من الوجهين جميعا وان
سلمت لك آخرتك سلمت لك دينك وان خسران الآخرة خسران الدنيا والآخرة
جميعا ومن ربح الآخرة ربحهما جميعا . واعلم أنك ان غضبت على الناس في
شيء هو لنفسك فأبديته لهم أو لم تبده لهم علم الله ذلك من قلبك فقد تعرضت
لغضبه اذا أظهرت أنك انما غضبت لنفسك . واعلم أن الله جل ذكره لا يخفى
عليه من أمرك خافية وليس الفرق بين غضبك عليهم وبين سرورك بهم
وفرحك بثنائهم عليك بحسناتك وأنت تريد ثوابها من ربك لقد ابتليت أبا
العبد بحسناتك وعظم فيها بلاؤك ولعلها أضرت عليك من بعض سيئاتك فان
بلغ بك البلاء أن تفرح اذا مدحوك بغير عملك أو بأكثر من عملك قبله
قلبك أحبط الله عملك ثم تصير الى حال حب محبي الإخوان اليك في أوقات
الأعمال تفرح وان أتوك في وقت فراغك غمك ذلك والله سائلك عن ذلك
كله وتظهر منك الحزن وتوهم الناس أن ذلك من شدة الاهتمام بالآخرة وانما
ذلك منك تصنع تحب أن يحمداك على ذلك فأنت اذن قد هلكت من الوجهين
جميعا خفف الله في سراء نفسك وعلايتها واحقر حسناتك جهدا واستكثر
منها ما استطعت حتى يعظم قدرك عند الله وتعظم حسناتك واستكبر صغير
ذنبك حتى يصغر عند الله وخف من صغير ذنوبك أن يحبط الله به عملك كله
وارج بحسناتك أن يمحو الله بها عنك كل سيئة عملتها فارح حسناتك وخف
سيئاتك (ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) وينبغي للعبد

أن يعرف عجزه وضعفه فيقطع سببه من نفسه ويرجع الى العز والمنعة ويتوجه الى الملك القادر على ما يريد بالاعتصام والتوكل والاستغفار والانتصار به على الاعداء فيجد عند ذلك العز والروح والفرج والمنعة ويفوض أمره الى الملك الجبار فما اختار له من شيء رضى به وسلم فان عرض له بعد ذلك غم أو روع علم أن ذلك بلوى من الله فيرجع اليه حينئذ بالانكسار والافتقار اليه لما فرط منه ويطلب الروح والفرج بالتقوى وهو استماع العبد الى قول ربه ما أمره به فعله وما نهاه عنه تركه حتى تكون كلها مجموعة له في روضة واحدة. فانظري يا أخى ولا تدع ما فيه المخرج الاخرجت منه وما كان مما فرط منك مما لاحية فيه الا الندم والاستغفار فاندم عليه ندما صحيحا بالقلق منك والاضطراب في حضرة الله والاجتهاد قبل فوات الايام وهجوم الموت عليك وأكثر مع الندم الصحيح ذكر ما ندمت عليه ولا تفتر عما أمكنك من الاستغفار ثم عليك بعد بالتخلص من العائق الذى يشغل عن الله جل ذكره حتى تكون مؤثراً لله على ما سواه وهذا هو الطريق الى سبيل النجاة والله المستعان. واعلم أن من دلالات العقول والعلوم تأسيس التقوى فاذا كان ذلك كذلك صار العبد حياً القلب قابلاً للوعظة معظماً لما عظم الله مصغراً لما صغر الله فاذا كان ذلك كذلك فقد أحيا قلبه بالعلم والعمل ولو أن رجلاً أحيا قلبه فى كل يوم ألف مرة ويكون بين الحياة والحياة موة لحقت عليه حتى تكون حياته دائماً تموت به خواطر نفس ليس لها قرار والخطر اذا صرم أصله وقطع دخل عليه الحزن والبكاء فلا يكون مسروراً بالعارض ولا مشغولاً بالنعمة عن المنعم فهذا سبيل النجاة ان شاء الله والله المستعان. واذا لم يكن مع العبد روع وغم عند الخطاف فهو ميت. فاذا كان كذلك فليرجع الى التقوى والاخلاص والصدق والتخلص مما يكره الرب والحياة يتولد من العلم المفهوم فاذا علم وفهم

العلم بما أمره الله به قبل الموعدة لنصحته بتعظيمه ما عظم الله والقلب المحي تكفيه غمزة فينتبه والقلب الميت لو قرض بالمقار يض لم ينتبه ولم يحى وذلك أن الله عز وجل يقول ﴿أومن كان ميتا فأحييناه﴾ وذلك لمن قبل وأجاب الداعي ومن لم يقبل الموعدة ولم يجب الداعي فإنه كما قال عز وجل ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون﴾ ومن علم أنه ميت فقد حي بعله أنه ميت ولا ينفعه العلم إلا بالقبول وإثارة الرب على هواه فمن كان مقرا بأنه عاص وليس يتحول وليس معه الزرع والغم الشديد وهو على حاله التي ليس يرضاها ولا يبادر بالتوبة والتطهير فهو ميت ولا ينفعه علمه إلا أن يتوب الله عليه قبل موته فيحيا بالتوبة ويرجع إلى الرغبة والرهبة والطاعة . ومن أراد الله وقفه ونبيه من الزلة وأيقظه من الغفلة وإنما هذه كلها موارد حب الدنيا واتباع الهوى وطول الأمل . وينبغي لمن كان يتغنى لنفسه طاعة ربه أن يرجو ما ثقل عليه من البر وبهتهم ما خف عليه من ذلك لأن قليل الصدق يثقل خفيف العمل والكذب من النية في العمل يخفف ثقل العمل وقليل الصدق أوزن وأرجح من كثير الكذب . واعلم أن ارادتك العمل عمل فأنظر في ارادتك حتى يصح لك عملك ويراك الله لنتك طالبا ولها مصححا كما . لك في عملك مخلصا فان الأعمال بالنيات . واعلم أنك ان ظفرت بتصحيح النية مع قليل العمل ربحت عملك وظفرت بأكثر من عملك واعلم أن عـنـوك ينظر إلى ابتداء نيتك وابتداء عملك وقد يخفى عليك سقم نيتك كما يخفى عليك سقم غيرك فاحذر أن تكون نيتك سقيمة فقم على تصحيحها فان العمل تابع للنية ان صحت صح وان فسدت فسدت . واعلم أن العدو اذا رأى في نيتك سقما رغبت في ذلك العمل ولم يثقله عليك بل يخففه عليك مخافة أن يفتنك بالسقم وود حينئذ أن الناس كلهم أحبك في ذلك العمل ومدحوك اذا ظفر منك بسقم النية ويزيدك قوة ونشاطا في عملك ويحسنه عندك وفي

أعين الناس ويحبهم اليك فكلما أثنوا عليك استحليت عملك وخف عليك وقد ستر عنك داء الحسنات وداء السيئات ومن داء الحسنات أنه لا يملك من تركها إلا مخافة أن تسقط من أعين الناس . واعلم أن ربحه منك إذا سقمت نيتك أكثر من ربحه منك إذا أحببت الدنيا واتسعت منها ومن داء السيئات سقم نيتك . واعلم أن العدو ربما أفسد الحسنات أولاً بسقم النية وربما أفسدها آخراً بتعظيم الناس لك فإذا علم أنك لا تحب ذلك ولم تجبه إلى معصية خلاك وذاك فاحذر على عملك كله من حيلة الخبيث وإذا رأيت العمل قد خف فكن أشد ماتكون له حذراً إذا خف على نفسك العمل فهو أفسد ما يكون إذا صح عندك . واعلم أن الشيطان أعرف بك وبما تهواه نفسك منك ولا تدع العمل من أجل آفته ولكن اعمل بنية وصحة واستعن بالله وكن حذراً طالباً للخلاص كارهاً معانداً لفساد العمل لا تريد الثواب إلا من الله وحده وطلب الدار الآخرة ولا تعمل ليعطيك في الدنيا ثواباً فإن الذي قدر الله عز وجل أن يصل اليك من رزق أو أجر أو ثناء فإنه صائر اليك فعليك بالصدق واتخذ ذخراً ليوم ينفع الصادقين صدقهم . وانظر إذا صح عملك عندك فكن أخوف ما يكون من فساد ولا تأمن عليه من الفساد فتفسده فإن آفة العمل الآمن عليه . واعلم أن الآمن على الحسنات أضر عليها من السيئات والآمن على السيئات أضر عليك من السيئات . واعلم أن أمنك على الحسنة أحب إلى إبليس من السيئة وقطوطك بعد السيئة أحب إلى إبليس من السيئة واستصغارك لسيئة كبيرة أحب إليه من سيئة بعد سيئة واستصغارك لسيئة أردتها ثم تركتها أحب إليه من كبيرة عملتها ثم استغفرت منها لعظمها عندك فافهم ما ألقى اليك من هذا الباب واحذره . واعلم أن إبليس الخبيث يجري على ألسنة الناس مدح الصادق ليفسد عليه صدقه ويزيد الكاذب في عمله قوة حتى يسوى بين

الصادق والكاذب فاحذر تجديد القوة في العمل عند تجديد المدح فان له سطوة وسلطانا يزيد الكاذب كذبا ويفسد على الصادق صدقه فلا تظهر الخوف من قلبك ولا تظهر قلة الخوف فان اظهار قلة الخوف هو من قلة الخوف وهذا باب فيه فساد للعمل كبير وهو رياء فيه لطف وله حلاوة وإياك أن تقول واحزنه على الحزن وأخاف أن لا أكون أخاف واحزنه على الأحران فان هذه أشياء من دقائق مداخل ابليس والله سائلك عن بكائك واظهارك الخوف والحزن واظهارك أنك لست بحزين واظهارك أنك لا تخاف وما تظهر من الانكسار والتواضع واظهارك الهم بأمر الآخرة وذمك نفسك وماذا أردت بذلك كله ولا بليس في هذه الخصال مذاهب تلبس على كثير من الناس وهي تنسب الى خشوع النفاق فان كنت صادقا فيها فاحذر ابليس عندها وفي وقتها حذرا شديدا والله المستعان . وانظر كيف يكون احتمالك اذا قال لك غيرك ما تقوله أنت لنفسك من الدم والوقية فيها حتى يتبين لك عند ذلك أصادق أنت في فعلك أم كاذب فاذا كان باطنك كظاهرك لم تبال كيف كان أمرك وقم على باطنك أشد من قيامك على ظاهرك فانه الموضع الذي فيه الله مطلع فنظفه وزينه لينظر الله اليه أشد ما ترين ظاهرك لنظر غيره فافهم ما أقول لك بعناية منك وقبول . واعلم أن فرائض جوارحك انما تقوم بفرائض قلبك . واعلم أن النية والصدق والاخلاص فريضة تقام بها الفرائض وتنبني عليها الأعمال وترك الذنوب فريضة فكل أمر فيه معصية فهو مردود ومحال أن يتقرب الى الله بمعاصيه (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) واعلم أن الله فرض الإرادة له بالإيمان والأعمال يراد بهما وجهه فأصاب المؤمن الصادق بنيتي الفريضتين جميعا الظاهرة والباطنة واعلم أنك ان عملت بما وصفت لك ثم عرضت عليك الدنيا بما فيها على أن

تظهر حسناتك أو ترائي بها ما فعلت . واعلم أن المرید فی ترك الميتة يخاف من الله أن يشع منها ويخاف منه أن ينال منها وهو مستغن عنها ويخاف منه أن يدخر منها وهو محتاج إليها فهو يخاف من الله أن يعصيه فيما أحله له ويخاف أن يشع مما أباحه له . فمن قام في هذا المقام من أهل الدنيا فقد بلغ الغاية من الزهد فيها وأقام الأشياء كلها التي في الدنيا مقام الميتة فأنما ينال منها البلغة عند ما اضطر إليها ويخاف من الله أن ترك أخذ تلك البلغة في وقت الضرورة أن يعذب على تركها كما يخاف أن يعذب على أخذ الحرام البين . واعلم أن تمام الأشياء كلها إنما هو بالقيام بما أمرك الله به والانتها عما نهاك الله عنه . واعلم أنه ليس من عقلك أن تأخذ ميتة فتخزنها ولا أن فاتت حزنت عليها ولا أن وجدتتها فرحت بها لأنك منها على مقت لها بما وتقذر منك لها فإذا خفت منها أن تنالها نفيت المخافة التي حلت بقلبك حلاوتها وهي الدنيا فتجتري منها بما أقام صلبك وأديت به فرضك ودع ماسوى ذلك يكابده غيرك والذي تحتاج إليه من الدنيا يسيرها وهو ما تستر به عورتك وتقيم به صلبك لأداء فرائضك وما كان وراء ذلك فهو من الدنيا ومنتهى طلب الآخرة ترك الدنيا ومنتهى طلب الدنيا جمع ما أحببت من الدنيا فإذا رأيت نفسك تأنس بقرب الدينار والدرهم وتستوحش لفقدتهما فاعلم أنك محب للدنيا ومن كان محبا للدنيا فهو قال للآخرة . انتهى

فصل في الصدق والعقل

واعلم أن الأصل الذي يحترزه مما تقدم ذكره إنما هو الصدق والعقل والصدق محله القلب وإذا كان كذلك فينبغي الاعتناء بشأنهما . وما قاله الشيخ الإمام بمن رزق رحمه الله في ذلك فيه غنية عن غيره ويان تام . قال رحمه الله :

اعلم يا أخى علما يقينا لاشك فيه أن الصادق لا يكذب أهله ولا يألوم نصحا في ارتياده لهم فإن أخاك من صدقك ونصحك وإن خالف صدقه ونصحك هوأك وإن عدوك من كذبك وغشك وإن وافق ذلك هوأك. واعلم يا أخى أنى لما أطلت الفكرة وصححت في ذلك النظر علمت أن الله جل ثناؤه بارئ النسم وولى النعم ومالك الأمم لم يخلقنى وإياك عبثا ولا هو تاركى وإياك سدى وأنلى ولك معادا نقف فيه بين يدى الملك الجبار للحكم بيننا وللفضل فينا وأنه لم يخلقنى وإياك حين خلقنا لهزل ولالعب ولاللقاء دائم وإنما خلقنا لبقاء الأبد ودوام النعم في جواره وجوار ملائكته وأنبيائه أوفى الشقاء الدائم للأبد. فالعقل متيقظ لما خلق له مستعد لما هو صائر إليه فانتبه من رقبته وأفاق من سكرته فعمل وجد وأبصر فزجر النفس عن دار الغرور الخائلة الخادعة الزائلة التى قدولت بخدعتها وقتت بغرورها وشوقت بحطامها فلما عرفها العاقل الكيس حق معرفتها زهد فيها ورغب في دار البقاء والسرور وتقرب الى مالك الدار بجميع ما يحب مما يطبق التقرب به اليه ورتب يابه وأما المغتر بالدنيا المؤثر لهواه فيها فهو معتقها. أيها الميت عن قريب والمبعوث بعد موته الى دار المقامة المسؤول عن أقباله وإدباره في دار الدنيا الموقوف عن قليل بين يدى الملك الجبار الذى لا يجوز. هل أعددت لذلك الموقف حجة تدافع عنك أو أعددت للسؤال جوابا فإن الله يقول ﴿ولقد جاءهم من الأنبياء بما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تنفى النذر﴾ فإياك يا أخى والنزول بمحلة المخدوعين. واعلم أن السيد الكريم نعمه كثيرة لا تحصى وأن عطاياه كثيرة لا تحصى. وأن مواهبه كثيرة لا تكفى. واعلم يا أخى أنى لم أر نعمة متقدمة من الله عز وجل لخلقه أفضل من نعمة العقل التى جعلها الله دلالة لخلقه على معرفته والوصول بها الى محض الإيمان به والذى أطلعهم الله به على مكنون عليه حتى

ورثوا البصائر ونفروا به خاطر الشك وكابدوا وساوس الشيطان ومعاريض
فتنته واستضاءوا بنور العقول في طريق حيرتهم فتجنبوها وخرجوا من ظلم
الشك واعتقدوا بها معرفة الله والايمان به والاخلاص والتوحيد وأفردوا
الله جل جلاله وتقدست أسمائه بالربوبية والعظمة والكبرياء . واعلم أن أهل
اللب استدلووا به على خلق أنفسهم وعلى خلق الخلق كلهم وأنهم موسومون بسمه
الفطرة وآثار الصنعة والنقص والزيادة مع تغير الأحوال فأول ابتداء الله لهم
أن وهب لهم العقول التي بها وصلوا الى الايمان وبالايمان وصلوا الى نور
اليقين وبنور اليقين وصلوا الى خالص التفكير وبخالص التفكير وصلوا الى
استقامة القلوب وباستقامة القلوب وصلوا الى الصدق في الأعمال واخلاصها
لله تعالى فورثهم ذلك البصائر في قلوبهم فوضعت الحكمة في صدورهم وجزت
بنايغها على ألسنتهم فهجما بظن قلوبهم على غوامض الغيوب والارادة
والاخلاص الذي ركب فيهم وأدركوا بصفاء يقينهم غائص الفهم وأدركوا
بغائص فهمهم العلم المحجوب فعرفوا الله حق معرفته وتوكلوا عليه حق توكله
وسلوا اليه الخلق والامر فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين ويوتا
للحكمة وتوايت للعظمة وخزائن للقدرة وينايع للحكمة فهم بين الخلائق
مقبولون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلنذ في حجب الغيوب
وتخطر في طرقات الجنات . فالحمد لله الذي لا اله الا هو العظيم الذي من
والاه نعمه وأغناه . واعلم يا أخي أن من صدق الله أوصله الى الجولان في
ملكوت السموات بقلبه ثم يرجع اليه بطرف ماقد أفاده السيد الكريم
فصار قلبه وعاء لخير لا ينفد وعجائب فكر لا تنقضي ومعادن جواهر لا تنفد
وبمحور حكمة لا تنزع أبدا ومع ذلك ملكوا الجوارح والأبدان . واعلم
يا أخي أن في ابن آدم مضغة ان صلحت صلح سائر جسده وان فسدت فسد سائر

جسده وهى القلب . واعلم أنه لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولسانه ومن أجل ذلك صار القلب واللسان ملكى البدن والجوارح والقلب هو المسلط على استخدامهم وذلك أنه معدن العقل والعلم والعناية بجميع الخير والشر مستودع القلب . واعلم يا أخى أنى وجدت اللسان مترجما عن القلب إرادته وذخائر بصائره ووجدت الذكر جلاء لصدأ القلوب وتيقظا من وسن الاقذمة . واعلم أنى وجدت الشكر على من اختصه الله بنور العقل أكثر والحجة عليه آكد فمن ههنا ألزم الحجة وانقطعت المعاذير مع الاعذار والانذار فله الحجة البالغة علينا وعلى أهل العقول من خلقه وما أعرف أن أحداً أنى الا من قبل تضييع الشكر لأنه ليس من ولد آدم أحد الا وهو مختص بنعمة العقل الا قليل فيهم من حتى له من الشكر وحى عليه ومنهم من أعطى من العقل دون ذلك فيشكر الله على قليل ما أعطى فزاده الله حتى علا فى درجة العقل ومنهم من كفر النعمة فلم يأخذها بشكر فنقص عن درجة العقل لأن العبد قد أعظم الله عليه النعمة فى العقل فينبغى أن يكون شكره على قدر عظيم النعمة عليه . واعلم أن العقل والهوى ضدان مركبان فى العبد كتركيب الجوارح وهما يعتركان فى قلب ابن آدم فأيهما غلب استعلى على صاحبه واستولى على العبد فكانت أعماله كلها بالمستوى عليه فكان له تبعاً فشكر العبد اذا كان لله على نعمة عقله أن يتبع دلالة علمه وعقله فيؤثر دلالتهما وما يدعوان اليه على هوى نفسه . واعلم أن الأمر عظيم على قدر ما نرى من غلبة الهوى علينا واستمكان الدنيا من قلوب علمائنا وجهالتنا فلما كان ذلك منا كذلك عز وجود الصدق على كثرة وجود معرفته ووصفه وقل العمل به والقيام بحقه وقد فشا الكذب وكثر الرياء والتزين للدنيا وسلوك أودية الهوى ونزول أودية الغفلة ولا يؤمن السبيل أن يركب على تلك الغفلة فتسلف النفس وأن الهوى قد قام مقام الحق يعمل به ويقضى بقضائه ويحكم بحكمه .

وقام سوء الأدب والمكر والخديعة مقام العقول وقامت المداهنة مقام المداورة
وقام الغش مقام النصح وقام الكذب مقام الصدق وقام الرياء مقام الاخلاص
وقام الشك مقام اليقين وقامت التهمة مقام الثقة وقام الأمن مقام الخوف
وقام الجزع مقام الصبر وقام السخط مقام الرضا وقام الجهل مقام العلم وقامت
الخيانة مقام الأمانة فصار من قلة الأكياس لا تعرف الحق ومن قلة أهل الصدق
لا يعرف أهل الكذب الا عند أهل الفهم والعقل والبصيرة فاعتدل الناس في
قبح السريرة وقلة الاستقامة في أمور الآخرة الا من عصم الله فأصبحنا وقد
حيل بيننا وبين النقص الذي نكرهه من أنفسنا وحيل بيننا وبين أن ندخل
في الزيادة التي نحبها لأنفسنا عقوبة لقبح أسرارنا فجرنا في ميدان الجهل وغلب
علينا سكر حب الدنيا فنحن نستبق في هذين السيلين وتنافس في الاستكثار
منهما فصح عندي أن من الجهل بأمر الله والاغترار به القيام على هذه الحالة
والسلامة منها أيسر وأقرب رشداً وهو أن يكون المرء في البلد الذي لا يعرف
فيه مع التخلص الى خمول الذكر أينما كان وطول الصمت وقلة المخاطلة للناس
والاعتصام بالله والعض على الكسر اليابسة وما دتو من اللباس ما لم يكن مشهورا
والتمسك بالقرآن والصبر على الشدائد وانتظار الفرج واعلم أني قد نظرت يبحث
النفس والعناية بها فوجدت غفلتنا عظيمة وخطرنا عظيما والغفلة عن الخطر
أعظم من الخطر لأنه انما يعظم الخطر عند أولى العقول فكلما عظم الخطر وعلمت
أنه عظيم وكنت من أهل البصيرة حركك عظيم الخطر فانتقلت من عظيم الغفلة
الى حال التيقظ ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فصل في ذكر الطمع وقبحه

وقال رحمه الله ينبغي لك يا أخي أن لا تأذن لقلبك في استصحاب ما يمسر عليك

طلبه وتحاف اطفاء نور القلب من أجله وكن في تأليف ما بينك وبين الله محمود العاقبة واقطع أسباب الطمع فيستريح قلبك و يصير الى عز الایاس وامانة الطمع فيسد عليك سبيل الفقر ويسكن قلبك عن الغناء ويسقط عنك بذلك الشغل بالخلقين واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل وقطعه واطلب راحة البدن بإجماع القلب على عدم الشغل برؤية المخلوقين وتعرض لركة القلب بدوام مجالسة أهل الذكر من أهل العقول والمعرفة وحسن الأدب التاركين لفضول الكلام فان بمجالسة هؤلاء يصفو القلب ويرق و يقدح فيه النور وتجري فيه ينابيع الحكمة وافتح باب دواعي الحزن الى قلبك واستفتح بابه بطول الفكر واستجلب الفكر بالتوحش من الناس فان أبوابها في مواطن الخلوات ونحز من إبليس بالخوف الصادق واستعن على ذلك بمخالفة هواك وإياك والرجاء الكاذب فان التوسع فيه ينزلك بمحلة المصيرين من أهل المكر والاستدراج وذلك لأن للرجاء طرقا تؤدي الى الأمن والغفلة فاياك أن تتخذة مطية لسفرك وتخلص يأخى الى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق مع كثير الرضا بذلك واستقل كثير الطاعة واستجلب النعم بعظيم الشكر واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم واطلب لنفسك العز بامانة الطمع وادفع ذل الطمع بعز الایاس واستجلب عز الایاس ببعد الهمة واستعن على بعد الهمة بقصر الأمل وبادره بانتهاز النعمة عندامكان الفرصة خوف فوات الامكان ولاامكان كالایام الخالية مع صحة الابدان واحذر التسويف فان دونه مايقطع بك عن بغيتك وإياك يأخى والتفريط عندامكان الفرصة فانه ميدان يجرى بأهله بالخسران وإياك والثقة بغير المأمون فان للشر ضراوة كضراوة الذئاب ولاسلامة كسلامة القلب ولاعمل كمخالفة الهوى ولا مصيبة كمصيبة العقل ولاعدم كقلة اليقين ولاجهاد كجهاد النفس ولاغلبة كغلبة الهوى ولاقوة كردك الغضب ولا معصية كحب النفاق وان حب الدنيا من حب

التفاق ولا طاعة كقصر الأمل ولا ذل كالطمع وفقنا الله وإياك لما إليه دعانا
وأعانتنا وإياك على اجتباب ماعنه نهانا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فصل في التزين

وقال رحمه الله وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال العقول
معادن الدين والعلم دلالة على أعمال الطاعات والمعرفة دلالة على آفات الأعمال
والبصائر دلالة على اختبار عواقب الأمور واختيار مواردها وتصريف مصادرها
والتزين اسم لثلاث معان فتزين بعلم ومتزين بجمل ومتزين بترك التزين وهو
أعظمها فتنة وأحبها إلى إبليس. واعلم أن الأساس الذي ينبغي للبريد أن يبنى
عليه دينه معرفته نفسه وزمانه وأهل زمانه فإذا عرف عيوب نفسه وأراد
ما خذا ليسلم به من شر نفسه ان شاء الله تعالى فليبدأ بالخلوة وخمول نفسه
فلعله حيثئذ أن يدرك بذلك الحزن في القلب والخوف الذي يحتجز به عما
نهى الله عنه والشوق الذي يدرك به أمله من محبة الله والالم يزل متحيراً
متلذذاً متزيناً بالكلام يأنس بمجالس الوحشة ويثق بغير المأمون ويطمئن
لأهل الريب ويحتمل أهل الميل إلى الدنيا ويفتر بأهل الحرص والرغبة ويتأسى
بأهل الضعف ويستريح إلى أهل الجهل ميلاً منه إلى هواه إلى أن يفجأه الموت
وحلول الندم. وإذا وجدت المرید المدعى للعمل والمعرفة يأنس بمن يعرف
ولا يهرب من لا يعرف وينبسط ويمكن نفسه من الكلام بين ظهراى من يعرف
فاتهم حاله اما أن لا يكون صادقا في ارادته أو يكون جاهلا بطريق سلامته أو مغلوبا
على عقله وعلمه مستحوذاً عليه هواه وما التوفيق الا بالله العلي العظيم. واعلم
يا أخى علما يقينا لا شك فيه أن الم بن أساس الدين على طلب السلامة فيه من الخطأ ولا
على حسن السيرة منافي الأخلاق والآداب ولكننا ابتغينا على أساس الهوى وعلى

ماخف محمله على قلوبنا واستخفته أنفسنا واستحلتها ألسنتنا فأمضينا فيه أعمالنا طمعا في الزيادة من التقوى بزعمنا ودررنا حسن السيرة منا في الاخلاق والآداب فنظرنا بعد ذلك فاذا قد رجعت علينا أعمال ايثار الهوى بالنقص من الزيادة في الدين وبقبح السيرة منا في الاخلاق والآداب بنظرنا لأمور الدنيا والآخرة فورثنا ذلك الحب والغش والمداينة فصرنا الغش والمداينة مداراة وصرنا الحب عقولا وآدابا ومروآت يحتمل بعضنا بعضا على ذلك فأعقبنا ذلك تباغضا في القلوب وتحاسدا وتقاطعا وتدبرا فتحاينا بالالسن مع الرؤية وتباغضا بالقلوب مع فقد الرؤية نذم الدنيا بالالسن ونمیل اليها بالقلوب وندافها عنا في الظاهر بالقول ونجرها بالأيدي والارجل في الباطن فأصبحنا مع قبح هذا الوصف وسماجته لا نستأهل به خروجا عن النقص ولا دخولا في الزيادة فانا لله واننا اليه راجعون والله المستعان وأصحابنا لا نجد رجلا صادقا فتأسى به ولا خاتما فلزمه الزومه له ولا محزوننا يعقل الحزن فباكيه فقد صرنا تتلاهي بفضول الكلام ونأنس بمجالس الوحشة ونقتدى بغير القدوة مصرين على ذلك غير مقلمين ولا تائبين منه ولا هارين من مكر الاستدراج فتعوز بالله من التولى عن الله والسقوط من عين الله والشغل بغير الله ان الله جل ذكره أوجب على نفسه للطاعة ثوابا أي ما وعد به سبحانه من الفضل والاحسان وعلى المعصية عقابا فالثواب لا يجب للعبد على الله الا من بعد تصحيح العمل وتخليصه من الآفات وتصحيح ذلك وتخليصه لا يتم الا بالمعرفة والاعتزام واحتمال مؤته وتصحيح العمل والاعتزام والاحتمال والصبر على العمل لا يكون الا من بعد ثبات الخوف في القلب والخوف لا يوجد الا من بعد ثبات اليقين في القلب وثبات اليقين لا يكون الا من بعد صحة تركيب العقل في العبد فاذا صح تركيب العقل في العبد وثبت وقع الخوف بما قد أيقن به فجاءت عزيمة الصبر من غير تكلف فاحتملت النفس حيثئذ مؤنة العمل طمعا في ثواب ما قد

أيقنت به على فعل الطاعة ورهبة عقاب ما قد أيقنت به على فعل المعصية فترت المعصية والشهوة هربا من عقوبتهما واحتملت الطاعة بالاخلاص رجاء ثوابها فكلف الآحق الكيس ولم يعذر على لزوم الحق وكلف الجاهل التعليم ولم يعذر على غلبة الهوى وكلف العامل الصدق والاخلاص واليقظ في عمله ولم يعذر على الشهوات والغفلة وترك الاخلاص فيه وكلف العاقل الصدق في قوله ولم يعذر بالميل الى الكذب وكلف الصادق المخلص الصبر عن ابتغاء تعجيل ثواب عمله في الدنيا من المخلوقين من حب الدنيا والتكرمة والتعظيم وعندها انقطع العمال خاصة وحل بهم الجزع وتركوا عزيمة الصبر في طلبهم تعجيل ثواب عملهم ولم يؤخروا ثواب الاعمال ليوم يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب وخدعتهم الأنفس بالإمارة بالسوء عند سرائر أعمالهم حتى أبدوها للمخلوقين بالمعاني والمعارض وأظهروا الاعمال ليعرفوا بفضيلة العمل ليزدادوا عند الناس فضيلة ورقعه فتعجلت أنفسهم ذخائر أعمالهم وحلاوة سرائرهم بحسن الثناء والتكرمة والتعظيم ووطء الأعقاب والرياسة والتوسعة لهم في المجالس واغفلوا سؤال الله لهم في عقدهم لمن عملوا وماذا طلبوا فخسروا أنفسهم وأعمالهم وخسارة ما هنالك باقية وندامة ما هنالك طويلة لما وردوا على الله فوجدوا عظيم ما كانوا يؤملون من ثواب سرائر أعمالهم التي عاجلوا فيها أنفسهم في الدنيا فمنعوا ما هنالك لانهم قد كانوا تعجلوا ثوابها من المخلوقين وخرجوا من خير أعمالهم صفر اليدين فانا لله وانا اليه راجعون ما أقبح الفضيحة بالعالم العامل البصير الناقد العارف غب قلة الصبر وابتغاء تعجيل الثواب والميل الى الدنيا وإيثار شهواتها ولذاتها فينبغي للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير الناقد أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبغي تعجيل الثواب ههنا وما التوفيق الا بالله العلي العظيم

فصل في الغية والنيمة

وقال رحمه الله اعلم أن مخرج الغية إنما هو من تركية النفس والرضى عنها لأنك إنما تنقصت غيرك بفضيلة وجدتها عندك وإنما اغتبتها بما ترى أنك منه برى ولم تغتبه بشيء إلا وما احتملت في نفسك من العيب أكثر وإنما يقبله منك مثلك فلو عقلت أن فيك من النقص أكثر لحجزك ذلك عن غيبته ولاستحييت أن تغتابه بما فيك أكثر منه ولو علمت أن جرمك عظيم بغيبتك غيرك وظنك أنك مبرأ من العيوب لحجزك ذلك ولشغلك عن ذلك وكيف وإنما يلقى الأموات الأموات ولو كانوا أحياء إذا ما احتملوا ذلك منك ولتناهوا . واعلم أن ميت الأموات أحد في العاقبة من ميت الأحياء وتفسير ميت الأحياء أموات القلوب وهم أحياء في الدنيا فمن كانت هذه صفته كثرت أوزاره وعظمت بليته فأحذروا أخي الغية كحذرك عظيم البلاء أن ينزل بك فإن الغية إذا نزلت وثبتت في القلب وأذن صاحبها نفسه في احتمالها لم ترض بسكنائها حتى توسع لآخواتها وهي النيمة والبغى وسوء الظن والبهتان والكبر وما احتملها ليب ولا رضى بها حكيم ولا استصحبها ولي لله قط فإنا لله وإنا إليه راجعون

فصل في الاستدراج

وقال رحمه الله الاستدراج اسم لمعينين فأحد المعينين استدراج عقوبة للسيئة تنبيهها على الانابة والمعنى الثاني استدراج لا انابة فيه ولا رجوع فعوذ بالله من الاستدراج وإنما يستدرج العبد على قدر بغيته فمنهم من يستدرج بالملك والسلطان وطاعة الناس له ومنهم من يستدرج بالدنو من الملوك والسلاطين والحظوة عندهم ومنهم من يستدرج بالتوسعة في تجارته بالتوسعة في المال ومنهم من يستدرج بالآهل

والولد والغاشية والتبع ووطء الأعقاب ومنهم من يستدرج بعلمه بأن يكرم
 بسبه ويحمد ويعظم ويسمع قوله فهو مستدرج بنيل حظه من علمه ومنهم العابد
 يستدرج من طريق العجب في عمله والقوة على ذلك في بدنه ومنهم ذو البصيرة
 يستدرج بالزيادة في بصيرته لجميع من ذكرنا من المستدرجين كلهم لا يخلو من
 الرياء والعجب وكل مزين له ما هو فيه لا يرى إلا أنه على الطريق مقبول منه
 احسانه وقد عمى عن فتنه ما هو فيه من الاستدراج ومنهم من يئنه فينتبه فيرجع
 الى الانابة ويفزع الى الاستكانة ومنهم من يهمل فيهمل نفسه الى حضور أجله وقد
 قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ولا تمدن عينيك الى ما متعناه أزواجا
 منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ فهذه فتنة الاستدراج
 فنعوذ بالله من ذلك والمستدرج مفتون فلا يعلم بفتنته مزين له عمله مستحسن
 ما هو فيه طالب للزيادة على ما هو عليه مقيم فاحذر فتنة الاستدراج واعلم أن
 الاستدراج عقوبة للبضيعين شكر النعم

فصل في اليقين

وقال رحمه الله اعلم أن للموقن علامة واضحة تعرفها من نفسك ومن غيرك وهي
 أن الموقن يعظم عنده الخطأ والزلل وان كان غير مؤاخذ به لغفلته عنها وركونه
 اليها بالشهوات وهجوم ابليس على قلبه وطمع نفسه فيها هو أعظم منها اذا عمل
 منها شيئاً ظن أنه قد استوجب النار وأنه مسلوب بها ما أنعم عليه به فاذا كان
 العبد كذلك كان موقناً وهو يعلم . ان قلت ما بال أقوام عارفين يذنبون . قلت
 ليعرفهم الله فضله عليهم واحسانه اليهم عند انسابهم الى أنفسهم فتجدد عندهم
 النعم ويستقبلون الشكر فيصرون بذلك الى أعلى درجاتهم انتهى

فصل في العجب

وهذا راجع الى ما تقدم ذكره من الاستدراج أعنى استدراج الملوك وغيرهم لكن بقي من الكلام على ذلك بقية يحتاج الى ذكرها في هذا الفصل . قال رحمه الله فالعامة معجبون بما أوتوا من الأهل والولد والأموال والأرباح والمساكن والعلماء معجبون بعلمهم وما بسط لهم فيه من الذكر والقراء معجبون بما نالوا من الثناء والتزمت (١) بقراءتهم والعباد معجبون بما نالوا من القوة على اظهار الزهد والصلاة والصوم فليس من هذه الأصناف صنف الا وهو يجب التعظيم والمحمدة عند من هو دونه وعند من هو فوقه وأصل ذلك كله من التجبر وهذه فنونه فاذا ثبت التجبر في قلب عبد ثبتت فنونه جميعا . والتجبر أصل منه يتفرع جميع الشر من الغضب والطمع والرياء وحب التعظيم والرياسة والمنزلة والسمعة والتزين والطيش والعجلة وسوء الخلق والحرص والشره والمكر والخديعة والجريرة والغش والخلافة (٢) والكذب والغيبة والنميمة والحسد والقساوة والجفاء والشح وقلة الحياء مع فنون جميع الشر فتعوذ بالله من الشر كله

فصل في التواضع

وقال رحمه الله اذا ثبت التواضع في القلب ثبت فيه جميع الخير من الرأفة والرحمة والرحمة والاستكانة والقنوع والرضى والتوكل وحسن الظن وشدة الحياء وحسن الخلق ونفى الطمع وجهاد النفس وبذل المعروف وسلامة الصدر والتشاغل عن النفس والمبادرة في العمل بالخير والبطاء عن الشر كل امرئ على قدر

(١) التزمت كالتلون وزنا ومعنى

(٢) الجريرة الذنب . والخلافة بكسر الخاء الخديعة

ما فيه من البر يكون فعله على قدر ذلك ويكون حذره على قدر ذلك . فان كنت تسأل عن العجب الذى دخل أصحاب الأعمال من العباد فسأخبرك بفتنتهم وشدّة بليتهم فتوقها واحذرهما واستعن بالله فانه ليس شئ أعجب الى ابليس الخبيث من فتنة العابد لأن فتنة أهل الدنيا مكشوفة بطلبهم الدنيا والناس قد عرفوهم بطلبها وفتنتها فبينهم من يحتملها وهو يعلم أنه مفتون فيها وأما فتنة العابد فهي أعظمها فتنة وأعظمها بلية وأعظمها صرعا لأنهم قد تركوا عبادة الدنيا وجدوا في طلب الآخرة وكابدوا المفاوز والفقر واجاهدوا صعود العقاب وجاهدوا أنفسهم على ترك الدنيا لمعرفتهم بالنفس وماتدعو اليه ولمعرفتهم بالدنيا وماتدعوهم اليه وأقبلوا على طلب الآخرة وايثارها بالصدق منهم وحسن الارادة غير أن الله جل ذكره امتحن هذا الخلق في كل أحوالهم في تمسكهم بالدنيا وفي تركهم لها وفي طلبهم الآخرة وايثارهم لها بالجهد والاجتهاد وجعل في كل نوع من ذلك مؤنة لاتدفع الا بالصبر و وعد ابليس وعدا فهو منجزه له الى يوم القيامة بأن أسكنه هو وذريته صدور بنى آدم يجرى منهم مجرى الدم وذلك لمن أطاع منهم ولمن عصى ولأوليائه وأعدائه فليس للعابد في عبادته أن ينفى الشيطان عن قراره أو يزعمه عن المسكن الذى أسكنه الله فيه ومكنه منه وهذه من المحن التى امتحن الله بها خلقه لينظر كيف يعملون غير أن العبد اذا تيقظ بقلبه خنس الخبيث عنه فلم يكن له شئ الا مع غفلته وطبع الله الخلق كلهم على الغفلة والتيقظ وأيد الله العابد بمكايده ابليس فليس أحد أحوج الى صحة تركيب العقل فيه من هذا العابد الذى قد قصد خلافه وقوى على احتمال ترك الأسباب التى يصل بها ابليس الى ابن آدم من فنون الشهوات فحذف ذلك أجمع وخلفه خلفه ثم قرب من العقبة التى ان جاوزها كان منحدرًا الى الجنة باذن الله فتجرد له ابليس وعلم أنه لم يبق عليه الا هذه الدرجة التى ان سلم منها نجى فلا يسلم فى مثل زمانك

مع كثرة هذه الفتن والمحن الا من كان على مثل ما وصفت لك

فصل في النية والعبادة

وقال رحمه الله ينبغي للعبد أن يصحح نيته التي هي قوام عمله ويجمع لذلك قلبه وذنه وعنايته ويقرر عمله فيما يأتي ويتبصر في عبادة ربه ويقصد معرفة ربه ومكايده عدوه ومجاهدة نفسه وإيأسه إياها من عملها لطلب الثواب لأنها ان انقطعت عن عبادتها لم تبلغ درجة العفو لعظيم ما جنت من الاسائة ؛ لو أن تلك العبادة والاحسان بازاء ذنب من ذنوبها لاستأملت بذلك الذنب العقاب الا أن يغفر فكيف بجميع اساءتها مع قلة ما يستقبل من صماد (١) التوبة والمراجعة ثم يحملها على طاعة الله ما استطاعت فان عارضه ابليس بشيء أوردت نفسه رأسها لتذكره شيئاً من احسانها منعها بما قد عرفه الله من قديم اسائها ويذكرها عيوبها فتنتقمع عند ذلك ويكون ذلك زاجرا لعدوه ان شاء الله تعالى عند ما يريد من خديعته ليوقه في العجب بالباطل فلو كان عجبه عجب حقيقة من احتمال نفسه طاعة ربه باهشاشة منها وسرور وزهد فيما بكره الله لكان أولى الأشياء باليقين مع صدقها في الطاعات الرجوع الى الشكر لأن العمل بطاعة الله نعمة من الله على العامل فيما يسره من العمل ومن غفل عن الشكر في العمل كان جاهلاً بربه جاهلاً بالعمل جاهلاً بالنعم ومن عقل الشكر وذكر نفسه احسان الله رجع الشيطان بعون الله صاغراً ناكساً على عقبه فالزيم نفسك الندم وارجع الى ما عرفك ربك من معرفة نفسك وعدوك وارغب الى الله في العصمة من شر نفسك وشر عدوك واسأله الكفاية فانه لم يلجأ اليه أحد في شيء من ذلك الا ووجه قريباً مجيباً فاذا صار العبد الى هذه الدرجة أعطى هذه المعرفة فلا يكون له همة ولا بغية ولا مسألة

(١) صماد بكسر الصاد ما يسد به الفارورة

الانقطة من ضيق الدنيا وغمها مخافة أن تعارضه فتنة من فتنها تحول بينه وبين معرفته ويرتجى أن يصير الى الآخرة وروحها ليأمن فيها على نفسه من روعات ابليس وجنوده وأنا أوصيك أن تطيل النظر في مرآة الفكرة مع كثرة الخلوات حتى يريك شين المعصية وقبحها فيدعوك ذلك النظر الى تركها

فصل في العلم

وقال رحمه الله اعلم أن لدواعي الخير علامات يستجلبها دواعي الحزن والتفكير فهو بين ذلك سرور لأنه جعل ذلك في الدنيا بغيته وأمله وإذا أدرك أمله ووجد بغيته طاب عيشه كما أن طالبي الدنيا إذا أدركوا آمالهم من نعيمها وزهرتها أحاط بهم السرور فكذلك طالب الآخرة وهو بعد ذلك من نفسه وعدوه وزوجته وولده وأهل زمانه خائف وجل لا يأمن من الشيطان الا مع استذكاره قول الله عز وجل ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ فحينئذ يقوى قلبه ويستصغر كيد من كايده وهو مع ذلك معتصم بربه واثق به فمن طلب الآخرة فلا يغفل ولين أمره على طلب السلامة من الخطأ وعلى أساس الصدق فيما بينه وبين ربه ولا يخاف على قليل عمله إذا خلصه الله من الآفات كلها أن لا ينميها الله له ويكثره ولا سيما إذا كنت في زمان قد كثرت فيه الشبهة والاختلاف فان تخلصك قليل عملك من بين ظهرائي أهل الشبهة والاختلاف حتى تكون عاملاً على حكم الكتاب والسنة عند الله كثير فكن في زمانك أشد تيقظاً للتخلص الى معرفة ما كان عليه السلف الماضون من اتباع حكم الكتاب والسنة . واعلم أن المعرفة لما استحسنت فيك لم تدعك مع التقصير في العمل بل تنقلك من درجة الى درجة حتى تبلغك غايات ما عملت من الخير أو يأتيك الموت وأنت طالب لمغاياتها وكما أن الارض لا تنبت بغير ماء فكذلك العمل لا يصلح بغير معرفة فكلما

ازداد العبد بالله معرفة ازداد يقينا وكلما ازداد يقينا ازداد الله خوفا وكلما ازداد الله خوفا ازداد له طاعة وكلما ازداد له طاعة ازداد له حباً وكلما ازداد له حباً ازداد اليه شوقاً وكلما ازداد اليه شوقاً ازداد للبهوت حباً . فاذا كان كذلك كان مغموماً في حالة سرور وذلك أن المغموم على الحقيقة لا يتأسى بأهل السرور في الدنيا ولا يجرى معهم فيما هم فيه وذلك أن المغموم جمع همومه كلها فنصبها بين عينيه ثم جعلها هما واحداً فقصر به أجله وهجم به على معاينة أحوال آخرته وأهوالها والمغموم بالحقيقة نهه الغم على التسويف فعمل للنقلة من دار الغموم الى دار السرور . وسأصف لك حال المغمومين ان شاء الله تعالى . اعلم أن الله عباداً تدبروا ففرقوا فلبا عرفوا أيقنوا فلبا أيقنوا خافوا فلبا خافوا اعلوا فلبا اعلوا صمتوا فلبا صمتوا عملوا فلبا عملوا أشفقوا فلبا أشفقوا جاهدوا فلبا جاهدوا رغبوا فلبا رغبوا أصبروا فلبا أصبروا مساوى أنفسهم فلبا أبصروا مساوى أنفسهم قصدوا مجاهدتها بالقلوب فارتفعوا عن أعمال الجوارح الى تصحيح القلوب فنقلوا طباعهم عن الريب والدنائة وجانبوا في أحوالهم كلها ومعاملاتهم أحوال أهل المكر والخديعة والخب والزموا أنفسهم بحجة الطريق في أفعالهم كلها ومنطقهم كله فاستخلصوا باطن الأعمال التي لا تظهر للمخلوقين وأراحوا أبدانهم من ظاهر الأعمال الا ما لزمهم من أداء الفرائض المحتومة فصارت أعمالهم سرا بين قلوبهم التي هي أرجح وزناً وأحد ذكراً عند الله . وعلقوا قلوبهم بحب لقاء الله فصغرت الدنيا في أعينهم فاذا أقبلت عليهم خافوا وحزنوا خوفاً من الاستدراج والمكر وان أدبرت عنهم سروا وفرحوا ودافعوا الأيام مدافعة جميلة مستترين عن الأهل والولد والاخوان والجيران فهمتهم في باطن أمورهم كالديباج حسناً وفي الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم مغمومون يكاشرون (١) الناس بوجوههم وقلوبهم باكتيوصفاتهم أكثر من أن يحيط الوصف

بها في الكتب . والكلام في ذلك يكثر فهذه صفات المغمومين على الحقيقة المسرورين
بالله جل ذكره الفرحين به المنقطعين اليه والحمد لله رب العالمين

فصل في عيوب النفس

وقال رحمه الله اخواني انه من لم يعرف نفسه وعيوبها فهو من استقامة دينه
على اعوجاج . واعلم أن من حسن سيرة العارف بعيوب نفسه أن لا يبنى دينه
على قبح ولا فساد وأصل العلم الغريب يدرك بظن العقول المرضية وبنور
الحكمة الثاقبة وبمخالفة الأهواء وبفوائد المعرفة الشافية وبإصابة الحق في القول
والعمل بالبصيرة ولا يبالغ هذه المراتب العالية الا من تقلد حب الآخرة موقفاها
وراغبا فيها ومؤثرا لها على ماسواها وخامع عن قلبه حب الدنيا وزهد فيها
بالحقيقة واستشعر التواضع وهجر الهوى فينبغي للعاقل الحازم اللبيب العالم
العامل العارف البصير أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبتغي تعجيل
الثواب ويتحرك لعزيمة الصبر وبالله التوفيق

فصل في الاشياء التي يستعان بها

على معرفة عيوب النفس

وقال رحمه الله اعلم أني وجدت الذي يعين على معرفة عيوب النفس والعمل
في مجاهدتها مخالفة الهوى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . يا أخي انه
لن يعدمك من عدوك خاطر الشر في القلب للمعصية فادفعه عنك بحاكم العلم
من القلب للطاعة . وانه لن يعدمك من نفسك سرعة القبول لمواقفة الهوى
فادرأه عنك بقلة المساعدة لخلاف الهوى وأنه لن يعدمك من عدوك التثبط (١)

عن العمل فادفعه عنك بتعجيل المبادرة الى العمل . وانه لن يعدمك من نفسك التثبت بالكسل فادفعه عنك باغتنام الصحة . وأعلم يا أخى أن القلب اذا تراكت عليه أقذار الذنوب وأطافس الشهوات (١) عمى واسود ونكس وطفى . نوره فلم يبصر عيوب نفسه وأبصر بعينه عيوب غيره فشغل به عن عيوب نفسه فليس شئ أولى بالمدعين للارادة من أن يتوسلوا الى الله عز وجل بطلبهم منه صلاح قلوبهم ليسلوا من شرور أنفسهم وغلبة أهوائهم . واعلم أن القلب اذا لم يثبت فيه الحزن خرب كما أن البيت اذا لم يسكن خرب

فصل فى الحزن والخوف

وقال رحمه الله اعلم أن العلم والعمل بالعلم لا ينفع العبد الا باستقامة قلبه والاعاد العلم عليه فصار جهلا وعاد العمل فصار ضررا مع أن فساد قلوبنا هو الذى فرق بيننا وبين سلوك طريق الاستقامة والاتباع للقوم الذين يصلحون عند فساد الناس وهم الذين لم يتركوا من الفرائض شيئا الا أدوه لم يتركوا الصلاة والزكاة والحج والجهاد والصيام والغسل من الجنابة والطهور للصلاة كل ذلك واجب عليهم وهو شئ معروف لم يزد فيه ولم ينقص منه فسا بال الفساد واقع علينا ونحن لم ننكر هذه الفرائض كما لم ينكروها وانا لنعمل فى الظاهر بأكثرها غير أن القلوب منا مائلة الى حب ما زهد القوم فيه والآنفس منا قابلة للحب هوها مستقلة لما فى الحق من الصبر والمكروه . وسأعطيك دواء لفساد قلبك ينفعك الله به اذا كانت لك حياة ان شاء الله تعالى اعلم يا أخى أن القوم صبروا على مكروه ما دهم عليه الحق فصبروا فى الغضب والرضا والشدة والرخاء والعسر واليسر والعافية والبلاء فكانت أهواؤهم تابعة للحق على ما أحبت الأنفس وكرهت فكان الحق لهم قائداً والهوى لعقولهم

(١) الطفس قدر الانسان اذا لم يتعهد نفسه

تابعاً فاستقامت منهم السيرة بلزومهم محبة الحق في مواطن غضبهم ورضاهم
وطمئهم وتقواهم وكانوا اذا امتحنوا في هذه المواطن ظهر منهم قول الحق في
مواطن غضبهم وهم له في ذلك الوقت ألزم وأشد تمسكاً منهم في مواطن الرضا
فان عارضهم طمع دنيا ظهر منهم التزهد والورع والتقوى والتأني وفقد منهم الحرص
والرغبة خوفاً منهم وكان منهم كالطباع لم يتصنعوا فيه وطباعنا اليوم بخلاف
ذلك كله وكانوا أخوف لله وله أخطر مخافة أن لا يقبل منهم عملاً فلا تفرح
بكثرة العمل مع قلة الخوف واغتنم قليل العمل مع الخوف فان قليل حزن الآخرة
الدائم في القلب ينفي كل سرور سررت به وألفته من سرور الدنيا وقليل سرور
الدنيا في القلب ينفي عنك جميع حزن الآخرة والحزن لا يصل الى القلب الا مع
تيقظه وتيقظه حياته وسرور الدنيا لغير الآخرة لا يصل الى القلب الا مع غفلته
وغفلة القلب موته والحزن يوقظه ويستنبط له اليقظة من خالص عين اليقين
وبخبرات غامض الفهم تكون خطرات اليقين وعلامة ثبات اليقين في قلب
العبد استدامة الحزن فيه

فصل في الزهد والخلو

وقال رحمه الله تعالى اعلم أني لم أجد شيئاً أبلغ في الزهد في الدنيا من ثبات
حزن الآخرة في القلب وعلامة ثبات حزن الآخرة في القلب أنس العبد
بالوحدة وموضع هياج الحزن السرور ومعدنه ومفتاحه العقل ومحال أن
يكون محزوناً مسروراً في حالة واحدة. وجميع الطاعات توجد بالتكلف والحزن
لا يوجد بالتكلف الا أن يصل الى القلب الذي يكون منه الحزن وذلك أن
أهل الطاعة قدموا بين يدي الأعمال لطيف معرفة الأسباب التي بها يستديمون
صالح الأعمال ويسهل عليهم مأخذها توطئنا منهم لأنفسهم استصحاب نيتهم

الى انقضاء آجالهم فصيروا أعمالهم في الدنيا يوماً واحداً وليلة واحدة وكلما مضت ليلة استأنفوا الثانية وطلبوا من أنفسهم حسن الصحة ليومهم وليتهم وكلما مضى عنهم يوم بحسن الصحة منهم أو ليلة راقبوا أنفسهم فيها على جميع الطاعات وكان ذلك عندهم غنمة وذكروا اليوم الماضي فسرّوا به فصبروا أنفسهم على اليوم المستقبل لحرف انقضاء الأجل فيه أو في ليلته وطرخوا شغل القلب بذكر غد واستعملوا أبدانهم وجوارحهم فيه وتفرغوا له فقصرت عنهم الآمال وقربت عندهم الآجال وتباعدت عنهم أسباب وساوس الدنيا وعظم شغل الآخرة في قلوبهم فنظروا اليها بعين صحيحة النظر نافذة البصر وتقربوا الى الله بالأعمال الزاكية فاستقامت لهم السيرة حين وجدوا حلاوة الطاعة وطاوعتهم الزيادة في التقوى فقررت بالخوف أعينهم وتنعموا بالحزن في عبادتهم حتى نخلت أجسامهم وبلت أجسادهم وقل مع المخلوقين كلامهم وتلذذوا بمناجاة خالقهم فقلوبهم بملكوت السموات متعلقة وفكرهم بأحوال القيامة مقبلة مدبرة وأبدانهم بين المخلوقين عارية فعموا عن الدنيا وصموا عنها وعمّا فيها ووضح لهم أمر الآخرة حتى كأنهم اليها ينظرون والحمد لله رب العالمين . ثم نظرت في ذلك فلم أر شيئاً أقرب ولا أجمع لذلك كله من حية الأنفس عن ألفها وقطع مجاورة المخلوقين بمنع القلوب عن الأخبار التي بها تهيج القلوب من الأشغال القواطع عن التفرغ للحزن أو البحث عن أمر الآخرة والتترك للدنيا وما فيها فورثه ذلك حب الخلوات فأحبها ولزمها وأنس بها واستوحش من المخلوقين وذلك حين جرت عذوبة الخلوة في أعضائه كما يجري الماء في أصل الشجرة فأورقت أغصانها وأثمرت عيدانها ولزم خوف ما يجي به يوم القيامة سويداء قلبه فهاج له من الخلوة فنون من أصول الزهد في الدنيا حتى أنه لو اجتهد في فن منها على أن يستحكم له لعظمت عليه المؤنة واشتد عليه فيه

الصلاح فإذا بلغ الله العبد هذه الدرجة حبت إليه الخلة . فأول ما يستفيد من حب الخلة الاخلاص في العمل والصدق في القول فيما بينه وبين الله تعالى وفي حب الخلة راحة للقلب من غموم الدنيا وترك معاملة المخلوقين في الاخذ والعطاء . ومخرج ذلك كله من صحة العقل فأسقط عن نفسه بالخلة وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومداهنة المخلوقين ويحبب إليه بالخلة دخول النفس واتخاذ الذكر في الناس وهو طريق الصدق ومنه يكون الاخلاص ويحبب إليه بالخلة الزهد في معرفة الناس والانسان بالله ويوهب له استئصال المخلوقين حتى يفر منهم فراره من الأسد وهو غير مفارق لجماعتهم . ويعطى من حب الخلة طول الصمت من غير تكلف وغلبة الهوى بالصبر ومن الصمت والصبر غلبه الهوى . ويعطى من حب الخلة الاشتغال بامر نفسه وقلة اشتغاله بذكر غيره وطلب السلامة مما فيه الناس . ويعطى بالخلة كثرة الهدوم والأحزان والفكر وهذه الخصال من أفضل العبادة ومخرجها من خالص الذكر . ويعطى بالخلة الأعمال التي تغيب عن أعين العباد وتظهر لرب العباد والبلاد وقليل ذلك كثير ومخرج ذلك من الصدق . ويعطى بالخلة التيقظ من غفلة أهل الدنيا وما يذكره منها الخاص والعام ويعطى بالخلة ترك الرياء والتزين وكل ذلك من دواعي الاخلاص وهو محض الصدق . ويعطى بالخلة ترك المراء وترك الخصومات والجدال وذلك ينفي الرياسة من القلب . ويعطى بالخلة قلة الخلف في الوعد والتوقي من الكذب والأيمان والخنث فيها ومخرج ذلك من الصدق . ويعطى بالخلة قلة الغضب والقوة على كظم الغيظ وترك الحقد والشحناء ومعاملة الخلق بسلامة الصدور . ويعطى بالخلة رقة القلب والرحمة وهما ينفيان الغلظة والقساوة وهما من دواعي الخوف وبالخوف الثابت في القلب يمتنع العبد ويكفي من خشية الله تعالى في الليل والنهار وهي من غايات

العبادة . ويعطى بالخلوة تذكر نعم الله عليه واحسانه اليه وطلب الشكر والزيادة من الطاعة . ويعطى بالخلوة وجود حلاوة العمل والنشاط في الدعاء ويجرى ذلك من القلب مع تضرع واستكانة . ويعطى بالخلوة القناعة والتوكل والرضا بالكفاف للعفاف والاستغناء عن المخلوقين . ويعطى بالخلوة عزوب النفس عن الدنيا وشهواتها وفنتها والشوق الى لقاء الله ومخرج ذلك من حسن الظن بالله وخوف التقصير في العمل . ويعطى بالخلوة حياة القلب وضياء نوره ونفاذ بصره في عيوب انديا ومعرفة بالنقص والزيادة في دينه . ويعطى بالخلوة الانصاف للناس من نفسه . ويعطى بالخلوة خوف ورود الفتن التي فيها ذهاب الدين والاشتياق الى الموت والانس بكلام رب العالمين وهو القرآن لما قد وجد من حلاوة المناجاة في القرآن الذي جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين فاذا التبس عليك هذا الطريق واشتبهت عليك الامور فقف نفسك على الارادة من الترتيب والترتيب والتشويق الى مآندب الله اليه المؤمنين فانك ترجع بصيرا من حيرتك وعالميا من جهالتك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانظر الى كل موطن يضطرك الى الصبر فاهرب منه فانك تعجز عن القيام به . واعلم انه لا يثبت لك تقدم على محبة دين الله وفيك خوفان خوف الفقر وخوف الغنى والثروة فان ذلك مفتاح فقر الأبد وخوفك من السقوط من أعين الناس هو الذي يسقطك من عين الله وينسيك حظك منها فادرا ذلك عنك واطلب التخلص وهي لذلك خوفين خوف أن مثلك لا يستأهل أن يبلغ ما يؤمل من الآخرة فان تفضل عليك ربك يلوغ أملك فأتبعه الشكر وتحضره خوفا شديدا لأنك لا تقوم بالشكر لما أنعم به عليك كما ينبغي فان لم تفعل ذلك خفت عليك أن تسلب النعمة فترجع الى أسوأ حالك فاذا ألزم العبد نفسه هذين الحالتين وتمسك بهما رجوت ان يؤمنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وقد روى

عن بعض العلماء بالله أنه قال لست آمن على نفس الفتنة وأن يحال بيني وبين الاسلام فهؤلاء يخافون هذا وهم الصفوة الذين اختارهم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم خافوا مع سابقتهم وطاعتهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهجم عليهم أقل مما أنت فيه من الفتنة فيحول ذلك بينهم وبين ما كانوا يعرفون من حلاوة الايمان فكيف بك يامسكين ولاسابقة لك الا في الشر ولاحلاوة عرقها قديما من الاسلام الاحلاوة المعاصي وأنت بارك في دولة الفتنة وزمان الشر تحب البقاء طمعا في الزيادة وأنت مع ذلك لاتنقم عليها حبا نخدعتك وأنت لاتعلم أنك مخدوع . واعلم أن المطيع اذا كان غير عالم بما يلزمه من الطاعة في عبادة ربه ولاعارف بمكايده عدوه هانت على ابليس صرخته لأنه ليس نوع من العبادة الا ولها ضد من الفتنة فمن لم يعرف الخير وضده من الشر ولاسيما في العبادة خاصة ثم اجتهد خلاه ابليس واياها لما يعلم من قلة عليه بعبادته ومايجب عليه فيها ولم يتعرض له في نفس عبادته بشئ . ويقصده له جهة آفاتها التي تبطل عبادته من شهوة النفوس التي تسارع في قبول ذلك فيترين عنده أن ذلك خير من عندها وأنه سيجزى ويثاب فيصدقها بما تلقى اليه من ذلك فترهو النفس لرضى صاحبها عنها ويحقق ابليس ظنه به وبالخدع له فاذن قدصرع وخذل ولجأ الى نفسه بميله عن طريق الشكر ويظهر له من فتنة عدوه ما يستغربه المخلوقين وتكون نفسه عنده أنه لا عدل لها زكاء وطيبا وهي أخبت الانفس وأتنتها وأسقطها من عين الله تعالى فكما سولت له نفسه من عمل احتمل فيه الأذى مع مساعدته اياها وشدة رضاه عنها من تحمل لبس الحشن وأكل الطعام الجشيم وطول السهر والصبر على ظاهر العبادة بما يفتن به ويستميل به ابليس قلوب الجاهال . ولقد قال بعض الحكماء انى لأعد كلامي فيما لا بدلى منه مصيبة واقعة أستعين بالله على السلامة منها وانى لأعد صمى عما لا يعنينى

غنيمة واحداث نعمة ألتمس الشكر عليها اذ عملت ان من وراء كل كلمة رقياء عتيذا وأنزل ما اضطرت اليه من القول مصية نازلة وما كفيت من الكلام غنيمة باردة . و يروى عن بعض الحكماء أنه قال ان من شرب كسب الدين والدنيا تنقيص العبد غيره والوقية فيه وهي الغيبة ويقال أنها تفطر الصائم وتنقض الوضوء وتجبط الأعمال ويستوجب بها صاحبها الموت من الله تعالى والغيبة والنميمة يخرجهما من طريق البغي والتمام قاتل والمغتتاب آكل ميتة والمباهى متكبر وهؤلاء الثلاثة أمرهم واحد بعضها مفتاح لبعض وذلك كله بجانب لأحوال المتقين

فصل في معرفة أصل الأشياء

التي تتفرع منها فنون الخير

وقال رحمه الله سألت سائل حكيم فقال أخبرني بأصل الأشياء التي منها تتفرع فنون الخير وتجري بها المنافع وتصح عليه الأعمال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فقال له الحكيم اعلم أن أصل الأشياء التي تتفرع منها فنون الخير وتجري بها المنافع وتصح عليه الأعمال بعد اليقين بمعرفة النعم والقيام بأداء الشكر والعمل به وأن يصح عندك أن جميع الخير مواهب من الله تعالى وتعلم أن جميع المعاصي كلها عقوبة من الله تعالى وهي من طريق الخذلان وذلك من علامات السخط فاذا اعترفت بذلك كثرت حسناتك وقلت سيئاتك لأنك اذا علمت أن الاحسان نعم ومواهب من الله تعالى ازددت في الشكر واستقلت كثير شكرك عند صغير نعمه عليك لأن الجبار العظيم من بها عليك وساقا اليك فقل عندك كثير الشكر وكبر عندك صغير النعم فخرت حينئذ في ميدان الزيادة من عمل الخير وعلمت معرفة الرضا وطمعت في العفو واذا علمت أن الاساءة التي اکتسبتها انما هي خذلان من الله وانها من طريق السخط فرعت الى التضرع فزلت بساحته والى الاستكانة

فصحبته والى التواضع فاتخذته خدنا فاذا كان ذلك كذلك لجأت الى التوبة
فاستجرت بها ولبست جلباب الحياة مما سلف منك وشهد الله عليك به وشاهده
منك من الاساءة مع ما تعرف من كثرة احسانه فلم تتعرض بعد ذلك لشيء
ما يكره وعمدت الى المعاصي فعاديتها منك ومن غيرك فتذكره أن يعصيه أحد
من خلقه كلهم بصغيرة أو كبيرة فراجعت الاحسان مجتهداً وأنت مع ذلك
عارف بالنعمة عليك في التنبيه والرجوع وان ذلك تفضل منه عليك فالتفت
لطيف الشكر بعد اقلعك عن الاساءة بشدة المضادة لها فعظم شكرك عند
التحويل الى الاحسان بعد الاساءة فاذا ذلك قدصرت في جميع أحوالك شاكرًا
ذاكرًا ولم يعجزك معرفة الاحسان فشكرت حينئذ الشاكر المشكور الذي وعد
على الشكر الزيادة ووعد لاخلف فيه وعرفت الاساءة من أين كان مخرجها
فراجعت الاحسان بالعتاب منك لنفسك ولمن زين الاساءة لك ودعاك اليها
فهذا الأصل الذي تنفرع منه فنون الخير وبه تغلق أبواب الشر ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم

فصل في كيفية تهوين سلوك الطريق

والوصول اليه بعون الله تعالى

وقال رحمه الله سئل رجل من أهل العلم ف قيل له أوضح لنا الميزة التي ينال
العباد بها القرب من ربهم ويقولون بها على معرفته ويلغون بها رضوانه والأمر
الذي يقربهم اليه ويقصر بهم عنه أيضاً شافياً حتى يكون ذلك عندنا بينا
فقال سأوضح لك ذلك ان شاء الله تعالى فافهم قولي بفهم لا يخالطه سهو وتذكر
فيه بتذكر لا يخالطه غفلة واصبر عليه صبراً لا يخالطه جزع فانك ان تفعل ذلك
ينهج لك منهاج الطريق وتسلم من تقصير طريق الهلكة والتوفيق بالله تعالى

اعلم أن مبتدأ الأمور والذي لا ينتفع بشيء إلا به العقل الذي جعله الله جل ذكره زينة لخلقه ونورا لهم . فبالعقل يعرف العباد خالقهم وأنهم مخلوقون وأنه المدبر وهم المدبرون وهو الباقي وهم الفانون فاستدلوا بقولهم على ما رأوا من خلقه في أرضه وسمائه وشمسه وقره وليله ونهاره وعلموا أن لهم ولهذا الخلق خالقاً وأن لذلك كله مدبراً وأنه لم يزل ولا يزال وعرفوا به الحسن من القبيح وعلموا أن الظلمة في الجهل والنور في العلم هذا مادهم عليه العقل . فقيل له كيف يكتفى العباد بالعقل دون غيره . فقال ان العاقل دله عقله الذي جعله الله قوامه وزينته على أن له رباً وعلم أن ربه لم يخلقه عبثاً وأنه لم يخلق خلقه لعباً وعلم أن لخالقه محبة وكرامية وأن له طاعة ومعصية فلم يجد عقله بذله الا على ذلك وعلم أنه لا يوصل اليه الا بالعلم وطلبه وأنه لا ينتفع بعقله ان لم يطلب ذلك ويعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب وهو الذي لا قوام له إلا به . فقيل له صف لنا ما هذا العلم الذي لا ينبغي للعاقل الا طلبه ولا يجوز له التقصير بنفسه عنه فقال طلب العلم الذي جاءت به رسله وأنبياءه عنه من أمره ونهيه ووعدته وعيده وملائكته وكتبه ورسله وجته وناره وبعثه وحسابه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته ومحبه وكراميته . فقيل له هل يكتفى العالم بما علم من ذلك أو يحتاج الى غيره فقال لا ينتفع العالم بما علم من ذلك دون الايمان به وأن يقر ذلك في قلبه حتى يعلم أن الله هو الحق وأن ماسواه باطل وأن أحداً لا يملك له نفعا لم يقدره الله له ولا ضراً لم يكتبه عليه . فقيل له فهل يجب عليه بعد الايمان غير ذلك أو يكتفى به . فقال نعم ان الله تبارك وتعالى أمر عباده بالطاعة والعبادة له والعمل بها ونهاهم عن معصيته وركوبها فمن آمن ولم يعمل كان متهاوناً وتصديق الايمان العمل به . فقيل له فكيف العلم وكيف العمل . فقال أن تعمل بمحبة الله عز وجل وان خالف هواك وأن تعمل بطاعة الله وان أسخطك وأن تجتنب

سخط الله وان سرك وان تدع كراهيته وان أعجبك وأن تؤثر ما هو له وان سأك
وان ترغب فيما رغبت وتزهد فيما زهدك وأن تجعل القرآن امامك ودليلك . فقال
له السائل قد دللتني على العمل فعرفت وعرفت فأمنت فلم يكن علي في ذلك كبير مؤنة
ولا عظيم مشقة بل خفة وراحة مع ما استزدت به هداية وبصيرة ومعرفة فلما
صرت الى العمل به لزمني في ذلك مؤنة شديدة وثقل كبير حتى حال بيني وبين
كثير من لذيذ عيشتي ونعيم دنياي وحملني على المكروه وصرفني عن كثير من
السرور فصلى أمراً أقوى به على العمل فيما آمنت به فقد اشتدت علي مؤنته
وثقل علي احتماله . فقال الأمور التي تقوى بها على العمل والأدب الصبر الذي
هو تمامه وقوامه فانك ان صبرت انتفعت بعلمك وبلغت منه رضوان الله
وقويت فيه على العمل وليس منزلة من منازل الخير الا وللصبر فيه عمل وبه
تمامه . فالصبر قوى العباد على أداء الفرائض والحلال والحرام وبالصبر قووا
على اجتناب المحارم وبالصبر بلغوا الغاية من كرامة الله تعالى وثوابه فاذا صبرت
على العمل انتفعت بالعلم والأدب وانك ان لم تصبر لم تعمل وان لم تعمل لم تنتفع
بالايمان بما علمت ومن لم ينتفع بالايمان لم ينفعه العمل ومن لم ينتفع بالعمل
لم يغن عنه العقل . فرأس أمر العباد العقل ودليلهم العلم ونورهم الايمان وسائقهم
العمل ومقربهم الصبر فمن لم تكن له قوة على الصبر ضعف ومن ضعف لم يعمل
ومن لم يعمل لم يتم له أمره ونوره وبقي في ظلمة ومن ذهب عنه النور عمى وحاد
عن الطريق ومن لم يبصر فليتبع الدليل وهو القرآن ومن اتبع العلم الذي هو النجاة
من الهول العظيم وعمل له وصبر عليه صار الى غاية العلم والأدب . فقال له قد
بصرتني من فضل الصبر قوته وعلتني ما رغبتني فيه وقواني على العمل به مع ثقله
على فصلى أمراً أزداد بالصبر تبصراً وفيه رغبة وعليه حرصاً . فقال صبرك
على الطاعة وطلبك لها وهربك من المعصية وبليتها هو الذي يرغبك في الطاعة

ويعين لك فضلها . قال قد شرحتلى أمر الصبر وفضله فزدنى به تبصرا . فقال له هذا الدليل والامام كتاب الله هو الذى يبين لك فضل الصبر ويرغبك فى لزومه فان الله تبارك وتعالى وصف أعمال العباد وذكر ثوابهم فلم يذكر ثوابا يعدل ثواب الصبر فانه ذكر أنهم يوفون أجرهم بغير حساب فهو الدليل على فضل الصبر مع ما ذكر من ثوابه فى مواضع من كتابه . فقال له صاحبه قد دلنى العلم وكتاب ربى على ما ذكرت من فضل الصبر وثوابه فزدنى بفضله تبصرا وازددت عليه حرصا وفيه رغبة وبه تمسكا وعليه اعتماداً مع شدة منه على ثقل وصبر على خلاف ماأشتهى وحمل نفسى على ماأكره لطلبى فيه الأجر والفضل وابتغاء العمل والأدب فصفىلى أمرا يخفف به على مؤنة الصبر ويسهل على لزومه ويخفف على احتماله وتذلل صعوبته . فقال له أراك للخير مريداً وللفضل طالباً وعليه حرصا وتجب أن تكون قد قويت على ماذلك عليه العلم بنفاذ من الصبر وقوة من العمل وذلك من علامات السعادة فان العبد كلما ازداد علما وفيه تفهما ازداد للخير طلبا وعليه حرصا خفف عليه الثقل وقرب عليه البعيد ولها فى الدنيا عما يريد وانما الثقل والعسر تمثال الدنيا فى قلب العبد وهى مرصد ابليس وسلاحه فاذا قطع عنه ذلك استنار القلب وخرجت الظلمة منه فلم يكن للشيطان به احتمال بقوة ولاله فيه نصيب ووصل من الأمر الى مايريد . فقال له زدنى مايسهل به على ثقل احتمال الصبر ويخففه على . فقال له الأمر الذى يسهل عليك ثقل احتمال الصبر ويخففه عليك الرضا عن الله تبارك وتعالى بكل ما صنع بك واختاره لك وساقه اليك . فقال له صاحبه فأوضح لى كيف يهون على مؤنة الصبر برضائى عن الله ويخفف على احتماله . فقال أأست تعلم أنك انما انتسبت الى الرضا وسميته صبرا لأن الأمر الذى نزل بك مكروه عليك وان هواك ونفسك ينازعانك الى غيره فاحتجت الى الصبر فتدبرت واعتبرت فصرت من

ذلك الى موضع رضاه ثم يتجاوز بك الامر حتى تصير الى موضع السرور حتى ترى لو صرف ذلك الامر عنك لصرت منه الى تقوية نفسك وعلمت أن ما صرف عنك عقوبة لبعض ما أحدثت من ذنوبك أو قصرت فيه عن شكر ما أنعم الله به عليك فصرت منه الى الدرجة الرفيعة ومنازل أهل الرضا وإنما يوصل الى ذلك بالمعرفة بالله وبمعرفة ينظر اليك فتعلم أنك لا نظرك من نفسك فترضى بما رضى به وترغب فيما رغبه وتزهد فيما زهده والزهد من الرضا . قال قد علمت فضل الرضا ووضح لي أمره فصف لي كيف يهون على أمر الصبر في الزهد وكيف مأخذه فقد أراني مع ما أصير اليه من الزهد مقبلا على الصبر وأزداد أيضا مع زهدي في الدنيا أمورا أحتاج فيها الى الصبر مخالفة لهوائى ورفضاً لشهوائى وما تازعنى نفسى من لذائق فقد أراني ازدت ثقلا وضجرا . قال أراك لا تقبل من الامور الا أصلحها ولا ترضى لنفسك الا بواضحها ولا تختار منها الا أرشدها وذلك من الامور التى أرجو لك بها القوة والنجاح لحاجتك والظفر بطلبك وبلوغك أقصى الغاية من ارادتك فافهم قولى وتدبر نصيحى فان الحاجة فى ذلك واضحة والأمر فيه بين ألت تعلم أن الدنيا كانت باقية فى قلبك وأن حبا غالب عليك وأن سرورها فرح لك وإن مكروها شديداً عليك فحملت نفسك على قطع ذلك مع حبك لها وإيثارك لها ونزلها منك مع طلبك الفضل من احتمال الصبر وحملت نفسك على المكروه من أمر دنياك وصبرت عليها لشدة منه عليك لأن مكروها عندك مكروه ولأن سرورها عندك سرور . فثقل عليك الصوم لقطعك الشهوة عن نفسك من الأكل والشرب . وثقلت عليك الصلاة والاشتغال بها لما تسره اليك نفسك من اللهو والحديث فى الباطل وثقلت عليك الزكاة والصدقة لما تحب أن تصرفه فيه من لذاتك . وثقل عليك التواضع لما ترى من تصغير شأنك ودناءة منزلتك عند أهل الدنيا . وثقل عليك

الأمور بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا يعاديك الناس أو يقطع رجاؤك منهم أو يسمعونك مما تكره فيدخل عليك التغيص في سرورك . وثقل عليك القنوع والرضا لعظيم موقع الدنيا من قلبك وحبك الاكثار منها وحرصك عليها وكرهيتك للموت ونعيم ما بعده مع أشياء كثيرة يطول وصفها . وكل ذلك انما صار شدته عليك لحب الدنيا وانما ثقل عليك الصبر وملته وضيق الشيطان عليك المذاهب من أجل ذلك لأن سلاحه الذي به يقوى وكيدته الذي يصل به الى أهل الدنيا الرغبة فيها وطلبها فاذا أنت زهدت في الدنيا ورفضتها ورغبت في الآخرة وطلبتها سهل عليك الأمر فأثرت الآخرة وطلبتها ورغبت فيها وأدبرت عنك الدنيا وثقلها وتولت عنك هاربة يلائها وأتتك بمنافعها وصرفت عنك ضرورها برغم منها وانقطع رجاء الشيطان وصغر كيد وولى وقل سلاحه فلا قوة له بك ونجوت بعصمة الله وتوفيقه من الضيق والتعسير والمهلكة وصرت الى النعمة والسرور والراحة وخرج حب الدنيا من قلبك فازمت الصيام وخف عليك لأنه لم تكن نفسك تنشرح الى الأكل والشرب وغيرهما من الشهوات ولزمت الصلاة واشتغلت بها لأن نفسك لم تكن تنازعك الى اللهو أو الخلو أو الى حديث في باطل وخفت عليك الزكاة والصدقة لأنك أعددت ما قدمته أمامك ولا تريد منه شيئا يبقى خلفك وخف عليك التواضع لأن الاياس قد خرج من قلبك وهان عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الناس قد استوا وعندك فلم ترج أحدا غير ربك ولم تحف شيئا غيره وخف عليك القنوع لأنك رضيت من الدين باليسير ولم تنازعك نفسك الى غير البلاغ والكفاية وخف عليك الجهاد لأن الدنيا قد أخرجتها من قلبك وكرهت البقاء فيها وأحببت الموت لما ترجو من النعيم والسرور والحياة الدائمة التي أمامك فالزهد في الدنيا راحة للقلب والبدن وهو جماع الخير وتسامه وليس شيء من أعمال البر الا وله ضد من

غيره فما قصر بك عنه فافرضه وازهد فيه يسلم لك عملك ويخف عليك ثقله فقال له صاحبه أوضحت فينت وأرشدت فهديت وكشفت فأريت فصف لي كيف الزهد وما حده والذي ينبغي لي العمل به فقد استبان لي فضله ووضح لي رشفه . فقال له صاحبه ان الزهد في الدنيا واجب عليك وهو الورع لا يجوز لك التقصير فيه ولا الرغبة عنه وهو اجتناب ما حرم الله عليك ونهاك عنه فهذا الأمر لازم لك لا عذر لك في التقصير عن الزهد والقرب الى ربك طلبا للفضل ونفيا لكل أمر قصر بك عنه من المسارعة في طاعته والمساابقة الى رضوانه فهذا ما ينبغي لك العمل به وإدارة صلاح نفسك عليه . فقال أما ما حرم الله علي ونهاى عنه فقد دلني عليه العلم لانه صار لا ينبغي لي المقام عليه ولا العمل به فزهدت فيه ورفضته فصف لي الزهد الذي أرجو أن أنال به كرامة سيدي وأن أبلغ من ذلك محبة وأن أدفع به عنى كيد الشيطان ومكره فقال له ذلك الزهد في فضول الدنيا والرضا منها بيسرها والاختذ منها بقدر البلاغ الى غيرها ورفض ما سوى ذلك من فضولها وأمورها باخراج الناس من قلبك فلا تخف أحدا في الله ولا ترد حمد أحد من الناس ويستوى الناس عندك فلا ترج أحدا غير الله ولا تطلب الا فضله وتنصح في الله في السر والعلانية ولا تخف لوم أحد من الناس ولا عدله وتحب في الله وتبغض في الله ولا تشغل قلبك بشيء غيره وتلزم التواضع والتذلل لربك وتحمل ذكرك وتغيب اسمك ولا ترد بذلك تعظيم أحد من الناس غير الله تبارك وتعالى وتحب الموت وتكون ممثلا له بين عينيك لرجاء ما بعده وتزهد في الحياة مخافة الفتنة والبلية فهذا أصل الزهد فاذا أنت وصلت الى ذلك نلت شرف الآخرة ونجوت بعون الله من بلية عاجلتك . فقال له صاحبه لقد ذكرت لي من أمر الزهد شيئا ضاق به ذرعى واشتد له غمى واعتصر له قلبى واستصعب به على أمرى وتفرق له رأى واشتدت على

المؤنة فيه وقد كان الصبر والاحتمال له أيسر على مؤنة منه وأخف على حمل من الزهد وخشيت أن لا أقوى على احتماله ولا تطيق نفسى العمل بكاله ولا تقدر على القيام بتمامه وأن تمله نفسى وترفضه وترجع منه الى غيره مما فيه هلاكها وعطيا وقد عرفت فضل الزهد وعظيم قدره فصف الى أمرأ أتقوى به على الزهد ويخففه على . فقال له صاحبه قد فهمت قولك ولقد صعب عليك الذلول واشتد عليك اليسير وثقل عليك الخفيف وعميت عليك المداخل ومألوك حيثما اشتد عليك من أمرك ما ذكرت حين لم تعلم الأمر الذى له فى الدنيا زهدت والذى به عليه قويت ولو علمته لكان عليك من أمرك الشديد وخف عليك الثقل وسهلت عليك مواده وسهلت عليك فيه المذاهب وخفت عليك فيه المؤنة فافهم قولى بعقل وتدبره بحكم وخذ فيه بقوة وجد . واعلم ان العباد زهدوا فى الدنيا ودعاهم الى الزهد فيها ورفضها خصال شتى بعضها أرفع وأعلى درجة من بعض وكلها داعية الى الزهد فيها . فأول درجات الزهد أن الله تبارك وتعالى خلق العباد فى الدنيا وجعل ما فيها زينة لها وزعمهم فيها وخلق الآخرة ونعيمها وندبهم اليها ورغبهم فيها وأعلمهم أنهم عن الدنيا مرتحلون وأنهم الى الآخرة صائرون فرغب العباد فى الباقي وزهدهم فى الفانى فآثر الآخرة واطلها وازهد فى الدنيا وارفضها لكيلا ينتقص من حظك فى الآخرة بما نلت من نعيم دنياك . وأما المنزلة الثانية من الزهد فى الدنيا فان الله عز وجل خلق العباد فى الدنيا فأوجب الموت عليهم وأعلمهم انهم ميتون وضرب لهم فيها أجلا فلم يعدوا فى أى الأوقات والساعات تأتيتهم منيتهم فتحول بينهم وبين دنياهم ونعيم عيشهم ومفارقة أحبائهم فلما استقر الموت فى قلوبهم أسهروا فى الليل أعينهم واشتغلوا بهمومهم عن أهلهم وأولادهم ودام حزنهم وبكاؤهم وزهدوا فى الدنيا وأهلها ونعيمها فصار الليل والنهار عندهم بمنزلة الضيفان وكان المقوى لهم على الزهد فى الدنيا ذكر الموت

وقصر الأمل فهذه الخصلة شريفة من خصال الزهد في الدنيا وأما الخصلة الثالثة في الزهد فتصديق العبد ربه فيما أخبره به من نعيم الآخرة وما خوفه به من عقاب النار وعذابها وما حذره منه من الدنيا والاعتزاز بها فزهد فيها وأحب بالموت مفارقتها والتباعد عنها والخروج منها الى داره وقراره تنصراً منه بالدنيا وحالها فهذه الخصلة من خصال الزهد أشرف مما قبلها. فقال له صاحبه ما تركزتلى الى الدنيا والركون اليها سيلا ولقد استبان لى من قولك البر والحق ووضح لى من وصفك الصدق وقويت بحمد الله وتوفيقه على الزهد فيها ورفضها فصف لى بصفتك الشافية ونعتك النافع دواء لداء قلبى تخبرنى فيه عن الامر الذى يدلنى على هذه الخصال ويقوينى عليها. فقال الامر الذى يدلك على هذه الخصال ويقويك عليها وينورها فى قلبك هو اليقين الذى لا يخالطه شك والتصديق بربك الذى لا يخالطه لبس فانه من صدق ربه أيقن ومن أيقن أبصر ومن أبصر زهدوا الزهد فى الدنيا شعبة من شعب اليقين وأفضل اليقين التوكل. قال فصف لى اليقين لأعرفه. فقال أن تعلم أن الله وحده لا شريك له وأنه الحق المبين وأنه كما وصف نفسه فى قدرته وسلطانه وخلقه وأن وعده حق وقوله صدق وكذا وعيده وكتبه ورسوله حتى تقر بذلك فى قلبك وتتبع كتاب ربك فهذا اليقين الذى لا يشك فيه. قال صف لى التوكل لأعرفه. فقال التوكل هو العمل بطاعته وتصديق اليقين دلالاته فمن أيقن وعلم أن الله خالق الأشياء والمقتدر عليها والمالك لها والمنفرد بها توكل عليه فى جميع أموره وقطع رجاءه عن سواه من خلقه ولم يثق باحد ولم يأنس الا به فانقطع الى الله وتوكل عليه فى جميع حالاتك فهذه صفة العمل والتوكل وما أخذه. قال ما الذى يدلنى على الفكرة ويقوينى عليها فانى كلما أردت الفكرة لم أصل اليها ولم أقدر عليها. فقال أجل لاتصل الى ما تريد من الفكرة مع الاشتغال

بغيرها فسيل الوصول الى الفكرة الصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير في الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فصل في السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز

فانظر رحمنا الله واياك الى ما قرر هذا السيد رحمه الله في كيفية السلوك والأخذ أولاً بالصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير في الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول فلم يكتف رحمه الله بالخلوة ليس الا حتى ذكر الاعتزال مع الخلوة فلو كانت خلوة دون اعتزال لقل أن يفتح له ولاجل ذلك احترز بقوله والاعتزال. فأين هذا الحال من حالنا اليوم اذا أن الغالب على من ينسب الى الحرقة في هذا الزمان انما شأنه كثرة الاجتماع وحضور السماع والرقص فيه حتى كأن ذلك مشروط في السلوك نسأل الله السلامة بمنه. فمن أراد الخير فليعتزل عن هذه صفته. والا فالفتح عليه بعيد أعنى الفتح الحقيقي الذي يقرب به من ربه عز وجل دون ادعاء والافبعض هؤلاء يدعون الأحوال ويزعمون أنه يفتح عليهم في حال رقصهم وتأخذهم الأحوال اذ ذاك ويخبرون بأشياء من أمر الغيب ولو وقع ذلك في بعض الأحيان لكان مصادقة ثم أنهم يولون ويعزلون في تلك الأحوال ويخبرون بمنازل أصحابهم فيقولون مثلاً فلان أحد السبعة وفلان أحد العشرة وفلان أحد السبعين وفلان أحد الثلاثمائة الى غير ذلك ولا شك أنها أحوال نفسانية أو شيطانية لأن الفتح من الله تعالى لا يكون مع ارتكاب المكروهات أو المحرمات. وهذا السماع على ما يعملونه محرم. قال الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره لما أن تكلم على سورة الكهف في قوله تعالى جراد قاموا

فقالوا ربنا رب السموات والأرض ﴿ هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته شكرا لما أولاهم من نعمته ثم هاموا على وجوههم منقطعين الى ربهم وخائفين من قومهم وهذه سنة الله في الرسل والانبياء والفضلاء الأولياء أين هذا من ضرب الأرض بالاقدام والرقص بالأكام خصوصا في هذا الزمان عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان هيات بينهما والله مثل ما بين السماء والأرض. ثم ان هذا حرام عند جماعة العلماء انتهى. وقد تقرر فيها مر أول الكتاب أن الفقير المنقطع لا يتصرف الا في واجب أو مندوب وأن المكروه عند هذه الطائفة كالحرم لاسيلا الى ذكره فضلا عن فعله. وقد اختلف العلماء رحمة الله عليهم في ضرب الطار على حدته هل يجوز أم لا. وكذلك اختلفوا في الشبابة على حدتها. وقاعدة أهل الطريق الخروج من الخلاف فكيف يقدمون على شيء قد اتفق الناس على منعه ذلك محال في حقهم. ثم مع ارتكاب بعضهم ما ذكر يدعون الأحوال الرفيعة ويشيرون الى مقامات ومنازلات تستعظم في الغالب على من هو متصف بالافتداء والاتباع فكيف يحصل لأهل التخليط وارتكاب مالا ينبغي ذلك محال. ومن أشد ما فيه من القبح ما أحدثوه في السجود للشيخ حين قيام الفقير للرقص وبعده. وقد نقل الشيخ الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتابه ما هذا لفظه. روى ابن ماجه في سننه والنسائي في صحيحه عن أبي واقد (قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا فقال يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقهم وأساقفتهم فرأيت أنك أولى بذلك فقال لا تفعل فاني لو أمرت أحدا يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها حتى لو سألها نفسها وهى على قتب لم تمنعه) هذا لفظ النسائي وفي بعض طرق حديث معاذ (ونهى

عن السجود للبشر وأمرنا بالمصاحفة) قلت وهذا السجود المنهى عنه قد اتخذته جهال المتصوفة عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم فترى الواحد منهم اذا أخذه الحال بزعمه يسجد للأقدام سواء كان للقبلة أو غيرها جهالة منه ضل سعيهم وخاب عملهم

(فصل) فانظر رحمتنا الله وإياك الى قصة معاذ المتقدمة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم أنك أولى بذلك يؤخذ منها من القوائد النفيسة التحرز عن مخالطة أهل الكتاب والبعدهم اذ أن النفوس تميل غالبا الى ما يكثر ترداده عليها . ومن ههنا والله أعلم كثرت الخيلط على بعض الناس في هذا الزمان لمجاورتهم ومخالطتهم لقبط التصارى مع قلة العلم والتعلم في الغالب فأنست نفوسهم بعوائد من خالطوه فنشأ من ذلك الفساد وهو أنهم وضعوا تلك العوائد التي أنست بها نفوسهم موضع السنن حتى أنك اذا قلت لبعضهم اليوم السنة كذا يكون جوابه لك على الفور عادة الناس كذا وطريقة المشايخ كذا فان طالبته بالدليل الشرعى لم يقدر على ذلك الا أنه يقول نشأت على هذا وكان والدى وجدى وشيخى وكل من أعرفه على هذا المنهاج ولا يمكن في حقهم أن يرتكبوا الباطل أو يخالفوا السنة فيشنع على من يأمره بالسنة ويقول له ما أنت أعرف بالسنة ممن أدركتهم من هذا الجمل الغفير . وقد تقدم انكار بعض العلماء على الامام مالك رحمه الله في أخذه بعمل علماء المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكيف يحتاج هذا المسكين بعمل أهل القرن السابع مع مخالطتهم اغيار جنس المسلمين من القبط والاعاجم وغيرهما نعوذ بالله من الضلال . مع ان السماع المعروف عند العرب هو رفع الصوت بالشعر ليس الا فاذا فعل أحد ذلك قالوا أهمل السماع وهو اليوم على ما يعبد ويعلم . ولأجل هذا المعنى قال الامام الشيخ رزين رحمه الله ما أتى على بعض العلماء المتأخرين الا لوضعهم الاسماء على غير مسميات

وها هو ذا بين ألا ترى السماع كان عندهم على ما تقدم ذكره وهو اليوم على ما نعاينه
وهما ضدان لا يجتمعان . ثم أنهم لم يكتفوا بما ار تكبوه حتى وقعوا
في حق السلف الماضين رضى الله عنهم ونسبوا اليهم اللعب واللغو في كونهم
يعتقدون أن السماع الذى يفعلونه اليوم هو الذى كان السلف رضوان
الله عليهم يفعلونه ومعاذ الله أن يظن بهم هذا ومن وقع له ذلك فيتعين عليه
أن يتوب ويرجع الى الله تعالى والا فهو هالك . ألا ترى أن الشيخ الامام
السرور دى رحمه الله لما أن تكلم على السماع قال فى أثناء كلامه ولا شك انك
اذا خيلت بين عينيك جلوس هؤلاء للسمع وما يفعلونه فيه فان نفسك تنزه
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم عن ذلك المجلس وعن حضوره
اتهى . ولقد أنصف فيما وصف وهذا هو الحق الذى يجب اعتقاده فى حق السلف
الماضين رضى الله عنهم . أجمعين . وقد قيل عن الجنيد رضى الله عنه أنه قال ان
السمع لا يرجع مباحا الا بعشرة شروط وهو أن يكون فى مكان لا يطلع عليهم
غيرهم لأنه لا يطلع عليهم الا ذو محرم أعنى أن يكون منهم وامكان واخوان
قال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله وأن يكون القوال هو الذى يمدم
قال الشيخ الامام الجنيد رحمه الله وأن يكون بغير أجرة وأن لا يكون بين أحد
من يحضره شأن وأن لا يحضره أحد من أبناء الدنيا وأن لا يحضره شاب
الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة وحيث كان مباحا بهذه الشروط فان اتفق اجتماعها
كان السماع المعروف عند العرب وهو انشاد الشعر برفع الصوت كما تقدم
ولاجل هذا المعنى ذكر الشيخ ابوطالب المكي رحمه الله فى كتابه عن بعض
السلف رضى الله عنهم انهم كانوا يدخلون الى خلواتهم فمن عجز منهم عن تمام
المدة التى دخل عليها خرج فحضر السماع ثم رجع الى خلوته نشطا لأن القوال
كان يمدم فى بواطنهم ثم مع ذلك ينشد لهم من درر الشعر ما يناسب حالهم

وتقوى به قلوبهم على السير الى المقامات العلية والنهوض اليها وترك التراخي والتسويق الشاغل عنها . ومثل ذلك كانوا يفعلون اذا عجز أحدكم عن تمام المدة التي دخل عليها الى الخلوة خرج الى مجالس عالم فخصره ثم يرجع الى خلوته قويا لأن حضور مجالس العلماء العاملين بعلمهم يحيي القلوب الميتة كما يحيي المطر الواابل النبات بل النظر اليهم تفتت به النفوس الآلية وينشرح صدرها ويحدث لها عند تلك الرؤية انزعاج وقوة باعثة على ما تؤمل من الخير كيف لا وهم أمناء الله في أرضه وخلقاؤه في خلقه وقد جعلهم الله عز وجل رحمة وكفا لمن ياوى اليهم ويستظل بظلهم نصيبهم هداة للمتحيرين ونورا للسالكين اللهم لا تحرمنا بركاتهم ولا تخالف بنا عن سنتهم فأنت ولي ذلك والقادر عليه . فاذا تقرر هذا من حالهم وعلم فلاشك أن ما يفعل اليوم من هذا السماع الموجود بين الناس مخالف لجماعتهم اذ أنه احتوى على أشياء محرمات وأحكامات أو هما معا وقد تقدمت الحكاية عن العلماء في ذلك اذ أنهم جمعوا فيه بين الدف والشبابه والتصفيق . وقد تقرر في الشرع أن التصفيق إنما هو للنساء دون الرجال فهو ممنوع كما منعت الآلات المتقدم ذكرها . وبعضهم ينسب جواز ذلك للشافعي رحمه الله . وقد سئل الشيخ الامام أبو ابراهيم المزني رحمه الله وكان من كبار أصحاب الامام الشافعي رحمه الله فقل له ما تقول في الرقص على الطار والشبابه فقال هذا لا يجوز في الدين فقالوا أما جوزه الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فأنشده رحمه الله تعالى

حاشا الامام الشافعي النيه أن يرتقى غير معاني نيه
أو يترك السنه في نسكه أو يبتدع في الدين ما ليس فيه
أو يبتدع طارا وشبابه لناسك في دينه يقتضيه
الضرب بالطارات في ليلة والرقص والتصفيق فعل السفه

هذا ابتداء وضلال في الورى وليس في التنزيل ما يقتضيه
ولا حديث عن نبي الهدى ولا صحابي ولا تابعيه
بل جاهل يلعب في دينه قد ضيع العمر بلهو وتيهه
وراح في اللهو على رسله وليس يخشى الموت اذ يعتريه
ان ولي الله لا يرتضى الا بما الله له يرتضيه
وليس يرضى الله هو الورى بل يمقت الله به فاعليه
بل بصيام وقيام في الدجى وآخر الليل مستغفريه
اياك تغتر بأفعال من لا يعرف العلم ولا يتغنيه
قد أكلوا الدنيا بدين لهم ولبسوا الأمر على جاهليه
جهل وطيش فعلهم كله وكل من دار به تزدريه
شبه نساء جمعوا مائما فقمنا في التدب على ميتيه
والضرب في الصدر كما قدرى ليس لهم غير النساء من شيه
انكر عليهم ان تكن قادرا فهم رجال ابليس لاشك فيه
ولا تخف في الله من لائم وفقك الله لما يرتضيه
وقد تقدم أن من ثبت عدالته لا ينسب اليه الا ما يليق بحاله وبطريقته من
الخصال الحميدة فمن ذكر عنه غير ما يناسبه كذب فيما ادعاه وأنكر عليه ألا ترى
أن المزن رحمه الله لما أن باشر الشافعي رحمه الله أنكر على من نسب اليه
جواز السماع بما تقدم ذكره

(فصل) وأشد من فعلهم السماع كون بعضهم يتعاطونه في المساجد
وقد تقدم توقيف السلف رضى الله عنهم للمساجد كيف لا يكون ذلك وقد كانوا
يكرهون رفع الصوت فيه ذكرأ كان أو غيره. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن رفع الصوت بالقراءة فيه. ومن ذلك ما ورد من انشاد الضالة في المسجد

لقوله عليه الصلاة والسلام (من نشد ضالة في المسجد فقولوا له لاردها الله عليك) ومن ذلك ماورد (من سال في المسجد فاحرموه) وروى أبو داود والترمذى والنسائى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشراء والبيع في المسجد وأن تنشد فيه ضالة وأن ينشد فيه شعر ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة . وبعض هؤلاء يفعلون السماع على ما هو عليه اليوم في المساجد ويرقصون فيها وعلى حصر الوقف التي فيها وكذلك يفعلون في الربط والمدارس . وقد ذكر أن بعض الناس عمل فتوى وكان ذلك في سنة احدى وستين وستائة ومشيى بها على الأربع مذاهب . ولفظها ماتقول السادة الفقهاء أئمة الدين وعلما المسلمين وفقهم الله لطاعته وأعانهم على مرضاته في جماعة من المسلمين وردوا الى بلد فقصدوا الى المسجد وشرعوا يصفقون ويغنون ويرقصون تارة بالكف وتارة بالدخوف والشبابة فهل يجوز ذلك في المساجد شرعا افتونا مأجورين برحمتك الله تعالى فقالت الشافعية السماع هو مكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله أعلم وقال المالكية يجب على ولاية الامور زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله أعلم . وقالت الحنابلة فاعل ذلك لا يصلى خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه وان كان حاكما وان عقد النكاح على يده فهو فاسد والله أعلم . وقالت الحنفية الحصر التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل والأرض التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى يحفر ترابها ويرى والله أعلم . وقد قال الشيخ الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره حين تكلم على قصة السامري في سورة طه سئل الامام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية حرس الله مدته أنه اجتمع جماعة من الرجال يكثرون من ذكر الله وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم أنهم يوقعون أشعارا مع الطقطقة بالقضيب

على شيء من الأديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يخر مغشياً عليه
ويحضرون شيئاً يأكلونه هل الحضور معهم جائز أم لا أفتونا برحمكم الله وهذا
القول الذي يذكرونه

ياشيخ كف عن الذنوب قبل التفرق والزلل

واعمل لنفسك صالحا مادام ينفعك العمل

أما الشباب فقد مضى ومشيب رأسك قد نزل

فأجاب بقوله يرحمكم الله مذهب هؤلاء بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام
الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وأما الرقص والتواجد
فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار
قاموا يرقصون حواله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل . وأما
القضيب فأول من أحدثه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما
كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كما تمنى على رموسهم الطير من الوقار
فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد
يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم . هذا مذهب مالك
وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق
وقال الشيخ الامام أبو بكر الطرطوشي أيضا رحمه الله في كتابه المسمى
بكتاب النهي عن الأغاني وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية اذا
واقعها ثم يستغفر الله ويتوب اليه منها ثم كثرا الجهل وقل العلم وتناقص الامر حتى
صار أحدهم يأتي المعصية جهارا ثم ازداد الامر ادبارا حتى بلغنا أن طائفة من
اخواننا المسلمين وفقنا الله واياهم استزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب
الأغاني واللهو وسماع الطقطقة واعتقدته من الدين الذي يقربهم من الله تعالى
وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت به سبيل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء

وحلة الدين ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ وقد سئل مالك رحمه الله عما رخص فيه أهل المدينة من الغناء . فقال إنما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغناء واستماعه . وأما أبو حنيفة رحمه الله فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب وكل ذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحامد وإبراهيم والشعبي لا اختلاف بينهم في ذلك ولا نعلم أيضا بين أهل البصرة خلافا في كراهية ذلك والمنع منه . وأما الشافعي رضي الله عنه فقال في كتاب أدب القضاء إن الغناء لم يكرهه ويشبه الباطل والمحال أما سماعه من المرأة التي ليست بمحرم له فإن أصحاب الشافعي يجمعون على أنه لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة قال الشافعي وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفية ترد شهادته وغلط القول فيه وقال هو ديانة فمن فعل ذلك كان ديوثا وكان الشافعي يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعت الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن . وأما العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه فاسق وقال صلى الله عليه وسلم (من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية) وهذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لأنهم جعلوا الغناء دينا وطاعة ورأت اعلانه في المساجد والجوامع وقد كان أولى الناس بالاحتياط لدينهم هذه الطائفة فانهم متلبسون بالدين ومدعون الورع والزهد حتى توافق بواطنهم ظواهرهم وقد قال الله تعالى ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾ والآية قال الحسن ومجاهد والنخعي هو الغناء . وقال ابن مسعود لهو الحديث الغناء والاستماع اليه . وقوله تعالى ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ قال مجاهد بالغناء والمزامير ﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ قال أكثر المفسرين كل راكب وماش في معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله ﴿وشاركهم في

الأموال والأولاد) قال قوم كل مال أصيب من حرام وأنفق في حرام . قال
الطرطوشي رحمه الله ويجوز أن يقال مشاركته لنا في الأموال والأولاد ما يزيه
لنا من الإيمان ثم يزين لنا الحث فيها فقطاً الفروج بعد الحث ونكتسب
الأموال بالإيمان الكاذبة . وقال تعالى ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون
ولا تبكون وأنتم سامدون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما سامدون هو الغناء
بلغة حمير . وقال مجاهد هو الغناء لقول أهل اليمن سمد فلان اذا غنى . وروى
أبو اسحاق ابن شعبان في كتابه الزاهى باسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال (لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن) زاد الترمذى ولا
تعلموهن وأكل أثمانهن حرام وفيهن نزلت ﴿ ومن الناس من يشتري لهو
الحديث ﴾ زاد غيره (والذى بعثى بالحق مافزع رجل عقيرته أى صوته بالغناء
الابعث الله عز وجل عند ذلك شيطانين يرتدقان على منكبيه لا يزالان يضربان
بأرجلهما على صدره وأشار النبي صلى الله عليه وسلم الى صدره حتى يكون هو
الذى يسكت) وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم (كان ابليس أول من ناح وأول من غنى) وروى أبوهريرة رضى الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يمسخ قوم من أمتى آخر الزمان قردة
وخنازير قالوا يا رسول الله مسلمون هم قال نعم يشهدون أن لا اله الا الله وأنى
رسول الله ويصلون ويصومون قالوا يا رسول الله فما بالهم قال اتخذوا المعازف
والقينات والدفوف وشربوا هذه الأشربة فباتوا على شرايبهم فأصبحوا وقد
مسخوا) وروى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا
والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وجفا أباه وبرصديقه
وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة

شره وشربت الخور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا (وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من أشراط الساعة أو القيامة اضاءة الصلوات واتباع الشهوات وتكون أمراء خونة ووزراء فسقة فقال سليمان رضى الله عنه بأبي وأمي يا رسول الله ان هذا كائن قال نعم يا سليمان عندها يكذب الصادق ويصدق الكاذب ويؤتمن الخائن ويخون المؤمن يا سليمان عند ذلك يكون الكذب ظرفا والزكاة مغرما ان أذل الناس يومئذ المؤمن يمشى بين أظهرهم بالخافة يذوب قلبه في جوفه كما يذوب الملح في الماء هما ولا يستطيع أن يغير عندها يا سليمان يكون المطر قيظا والولد غيظا والفقير مغرما والمال دولا يا سليمان عند ذلك يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب ذوات الفروج السروج فعليهم من أمتى لعنة الله يا سليمان عند ذلك يحفرو الرجل والديه ويبرصديقه ويحتقر السيئة قال أو يكون ذلك يا رسول الله قال نعم يا سليمان عند ذلك تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتطول المنابر وتكثر الصفوف والقلوب متباغضة والألسن مختلفة دين أحدهم لعنة على لسانه ان أعطى شكر وان منع كفر قال أو يكون ذلك يا رسول الله قال نعم يا سليمان عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية البكر ويخطب كما تخطب النساء قال أو يكون ذلك يا رسول الله قال نعم يا سليمان عند ذلك تحلى ذكور أمتى بالذهب والفضة عند ذلك يأتى من المشرق والمغرب قوم يلون أمتى فويل لضعيفهم من قويمهم وويل لهم من الله تعالى يا سليمان عند ذلك تحلى المصاحف بالذهب والفضة ويتخذون القرآن مزامير بأصواتهم وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم يا سليمان عند ذلك يكثر الربا ويظهر الزنا ويتهاون الناس بالدماء ولا يقام يومئذ بنصر الله يا سليمان تكثر القينات وتشارك المرأة زوجها في

التجارة عند ذلك يرفع الحج فلا حج تحج أمراء الناس تنزها ولهوأ وأواسطهم
 للتجارة وقرأوهم للرياء والسمعة وقرأوهم للسألة (١) وروى عن علي بن أبي طالب
 كرم الله وجهه أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (كسب المغنى والمغنية حرام
 وكسب الزانية سحت وحق على الله أن لا يدخل الجنة لخاصة من سحت) قال
 عطاء بن أبي رباح رحمه الله رأيت جابر بن عبد الله رضى الله عنه وجابر بن
 عمير يرتبان فلأحدهما مجلس فقال الآخر أجلسست سمعت النبي صلى الله
 عليه وسلم يقول (كل شئ ليس من ذكر الله تعالى فهو لهو وسهو الأربعة خصال
 مشى الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته زوجته وتعليمه السباحة)
 قال قتادة رحمه الله لما أهبط ابليس لعنه الله قال يارب لعنتنى فما على
 قال السحر قال فما قرأتى قال الشعر قال فما كتبتى قال الوشم قال فما طعامتى
 قال كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه قال فما شربى قال كل مسكر قال فأين
 مسكنى قال الأسواق قال فما صوتى قال المزامير قال فما مصائدنى قال النساء
 وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
 نهى عن ضرب الدف ولعب الطبل وصوت المزمار. وروى عن عمرو بن
 شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كبر مقتا عند الله
 الأكل من غير جوع والنوم من غير سهر والضحك من غير عجب والرنه عند
 المصيبة والمزمار) وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا شرب
 العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما ولعن الله يتأفیه دف
 أو طنبور أو عود وأخشى عليهم العقوبة ساعة بعد ساعة) وروى أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال (لست من دد ولا ددمنى) قال مالك رحمه الله الدد اللعب

(١) لا يخفى ما فى هذه الأحاديث من الأخبار بالمغيات فقد حدث جل ما فيها
 أن لم يكن كله فنسأل الله السلامة من هذه الفتن بمنه وكرمه

واللهو . وقال الخليل بن أحمد في كتاب العين الدنانقر بالأنامل في الأرض فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم تبرأ مما ينقر في الأرض بالأنامل فإياك بقطعة القضيب . قال الحسن رحمه الله ليس الدف من سنة المسلمين . وروى عبد الله ابن عمر قال سأل انسان القاسم بن محمد عن الغناء قال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر يا ابن أخي اذا ميز الله بين الحق والباطل من أيهما يحصل الغناء . وقال الشعبي رحمه الله لعن الله المغني والمغني له وقال الحكم بن عينة رحمه الله حب السماع يورث النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع . وقال الفضيل ابن عياض الغناء رقية الزنا . وقال الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب . وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فانه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن صوت المعازف واستماع الاغانى واللهو بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء . وقال يزيد بن الوليد ابني أمية اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فان كنتم لا بد فاعلن فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا . وقال ابن الكاتب اياك والغناء . وقال المحاسبي في رسالة الارشاد الغناء حرام كالهيئة وقال أبو حصين رحمه الله اختصم الى شريح في رجل كسر طنبورا فلم يقض فيه بشئ

(فصل) وأما من جهة الاستنباط فهو جاسوس القلب وسارق المروءة والعقول يتغلغل في مكان القلوب ويطلع على سرائر الأفتدة ويدب الى بيت التخييل فيثير كل ما غرس فيها من الهوى والشهوة والسخاطة والرعونة بينما ترى الرجل وعليه سميت الوقار وبها العقل وبهجة الايمان ووقار العلم كلامه حكمة وسكوته عبرة فاذا سمع اللهو نقص عقله وحياؤه وذهبت مروءته

وبهاؤه فيستحسن ما كان قبل السماع يستقيحه ويبدى من أسرارها ما كان يكتمه وينتقل من بهاء السكوت الى كثرة الكلام والكذب والازدهاء والفرقة بالأصابع ويميل رأسه ويهر منكيه ويدق الارض برجليه وهكذا تفعل الخمرة اذا مالت بشاربها . وقد روى أن أعراية دخلت الحاضرة فسقيت نبيذا فلما غامرها وصحت قالت أو يشرب هذا نسأؤكم قالوا نعم قالت لئن صدقتم فما يعرف أحدكم من أبوه . وقال محمد بن المنكدر رحمه الله اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للبلائكة أسمعوهم حمدي وثنائى وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وقال بعض الزهاد الغناء يورث العناد فى قوم ويورث التكذيب فى قوم ويورث الفساد فى قوم . واحتج بعضهم على إباحة الغناء بما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت (دخل على أبو بكر رضى الله عنه وعندى جارتان من جواري الأنصار تغنيان بما تفاءلت به الأنصار يوم بعث فقال أبو بكر رضى الله عنه أمزمار الشيطان فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا) والجواب عنه أن تعرف أولا حقيقة الغناء وذلك أن للفظ الغناء معنيين لغوى وعرفى فيحمل الحديث على اللغوى فقوله تغنيان أى ترفغان أصواتهما بانشاد الشعر ونحن لاندم انشاد الشعر ولا نحرمة وإنما يصير الشعر غناء مذموما اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وترعج القلب وهى الشهوة الطبيعية وليس كل من رفع صوته بالغناء لحن وألذ وأطرب فالممنوع والمكروه إنما هو اللذيق المطرب ولم يعقل من هذا الحديث أن صوتهما كان لذيقا مطربا وهذا هو سر المسألة فافهمه . وقد روى البخارى هذا الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت فى آخره وليستا بمغنيات فنفت الغناء عنهما والدليل على هذا

أنه ما نقل عنها بعد بلوغها الا ذم الغناء والمعاذف على ما بينا . وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد وهو أحد فقهاء المدينة السبعة يذم الغناء وقد أخذ العلم عنها وتأدب بها . فان قيل أنيس قد أشد الشعر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب أنا لا نتكر انشاد الشعر وانما نتكر اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وترعج القلب وهذا لا يمكن نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم . فان قيل أنيس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم (ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكا وان من القول عيالا) فالجواب أن صنعة بن صوحان وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذا الحديث فقال قوله ان من البيان سحرا هو الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فذهب بالحق وأما قوله وان من الشعر حكا فهي هذه المواعظ والأمثال التي يتعظ بها الناس وأما قوله وان من العلم جهلا فيتكلف العالم علم مالا يعلم فيجهل ذلك وأما قوله وان من القول عيالا فمرضك حديثك على من ليس من شأنه ولا يريد

(فصل) وقد قال بعضهم نحن لا نسمع الغناء بالطبع الذي يشترك فيه الخاص والعام وانما نسمع بحق فنسمع بالله وفي الله ولا تتصف بهذه الأحوال التي هي ممزوجة بحظوظ البشرية . قلنا ان زعمت أنك فارقت طبع البشرية وصرت مطبوعاً على العقل والبصيرة بمنزلة الملائكة فقد كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيبك وما وصفك به من حب الشهوات . وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فارق الفه وادعى العصمة فاجلدوه فانه مفتر كذاب وكان يجب أن لا تكون مجاهداً لنفسك ولا مخالفاً لهواك ولا يكون لك ثواب على ترك اللذات والشهوات . وكان يجب أن تكون أنت وأصحابك تسبحون الليل والنهار لا تفترون وتستغفرون لمن في الأرض . وكان يجب أن تبيع سماع العود

والظهور وسائر الملاحى بهذا الطبع الذى لا يشاركك فيه أحد من الناس
 ﴿فصل﴾ فان قيل أليس قد روى عن جماعة من الصالحين أنهم سمعوه
 قلنا ما بلغنا أن أحدا من السلف الصالح سمعه ولا فعله وهذه مصنفات أئمة
 الدين وعلما المسلمين مثل مصنف مالك بن أنس وصحيح البخارى ومسلم
 وسنن أبى داود وكتاب النسائى رضى الله عنهم الى غيرها خالية من دعواكم وهذه
 تصانيف فقهاء المسلمين الذى تدور عليهم الفتوى قديما وحديثا فى شرق
 البلاد وغربها فقد صنف المسلمون على مذهب مالك بن أنس تصانيف لا تحصى
 وكذلك مصنفات علماء المسلمين على مذهب أبى حنيفة والشافعى وأحمد بن
 حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين وكلها مشحونة بالذنب عن الغناء وتفسيق أهله
 فان كان فعله أحد من المتأخرين فقد أخطأ ولا يلزمنا الاقتداء بقوله وترك
 الاقتداء بالأئمة الراشدين . ومن هنا زل من لا بصيرة له . نحتج عليهم بالصحابة
 والتابعين وعلماء المسلمين ويحتجون علينا بالتأخرين سيما وكل من
 يرى هذا رأى الفاسد عار من الفقه عاقل من العلم لا يعرف مأخذ
 الأحكام ولا يفصل الحلال من الحرام ولا يدرس العلم ولا يصحب أهله ولا يقرأ
 مصنفاته ودواوينه . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا
 يفقهه فى الدين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ما استدزل الله عبدا الا حذر
 عليه العلم) فمن هجر أهل الفقه والحكمة وانقضى عمره فى مخالطة أهل اللهو
 والبطالة كيف يؤمن على هذه المسئلة وغيرها ﴿وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا
 الله﴾ فإيمان رضى لدينه ودينه وتوثق لآخرته ومثواه باختيار مالك بن أنس
 وفتواه ان كنت على مذهبه وباختيار أبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل
 ان كنت ترى رأيهم كيف هجرت اختيارهم فى هذه المسألة وجعلت امامك فيها
 شهواتك وبلوغ أوطارك وإذاتك ﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾

(فصل) وقد روى عن بعض شيوخ الصوفية قال رأيت في المنام أن الحق أوقفني بين يديه وقال يا أحمد حملت وصني على ليلي وسعدى لولا أنى نظرت اليك في مقام واحد أردتني خالصا لعذبتك قال فأقامنى من وراء حجاب الخوف فأرعدت وفزعت ماشاء الله ثم أقامنى من وراء حجاب الرضا فقلت ياسيدى لم أجد من يحملنى غيرك فطرحت نفسى عليك فقال صدقت من أين تجدد من يحملك غيرى وأمر بى الى الجنة . وقال الجنيد رحمه الله رأيت ابليس فى النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشئ أو تنال منهم نصيبا فقال انه ليسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئا الا فى وقتين وقت السماع وعند النظر فانى أنال منهم فتنة وأدخل عليهم به . وسئل أبو على الروذبارى عن السماع وكان من شيوخ الصوفية فقال ليتنا نخلصنا منه رأسا برأس . وقال أبو الجنيد اذا رأيت المرید يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة . وقال أبو الحارث الاولاسى وكان من الصوفية رأيت ابليس فى المنام وكان على بعض سطوح أو لاس وعن يمينه جماعة وعن يساره جماعة وعليهم ثياب نظيفة فقال لطائفة منهم قوموا وغنوا فقاموا وغنوا فاستفز عنى طيه حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا بأطيب مايكون ثم قال يا أبا الحارث ما أصيب شيئا أدخل به عليكم الا هذا . وقال الجريرى رأيت الجنيد رحمه الله فى النوم فقلت كيف حالك يا أبا القاسم فقال طاحت تلك الاشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا الا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات . فأين هذا يرحمك الله بما وصف الله به العلماء فقال تران الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يكونون ويزيدهم خشوعا

(فصل) وقد استدل عظيم من شيوخهم على اباحة الغناء فقال ان

الطفل يسكن الى الصوت العليل والجل يقاسى تعب السير ومشقة الحول اذا سمع الحداء . قال وقد روى أن بعض ملوك العجم مات وخلف ابنا صغيرا فأرادوا أن يبايعوه فقالوا كيف نصل الى عقله وذكائه فاتفقوا على أن يأتوا بقوال فإن أحسن الاصغاء علموا كياسته فلما أسمعوه القوال ضحك الرضيع فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه . فالجواب انظروا ياذوى الألباب كيف قادم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة الى هذه السخافة وحسبك من مذهب امامهم فيه الأنعام والصيان في المهد . وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل وحسبك من عقول لا تقتدى بأخبار المسلمين وعلمائهم وتقتدى بالابل فأن كان كل ما طربت به البهائم مندوبا أو مباحا فانا نرى البهيمة تدور على أمها وأختها وتركب بنتها فيلزم الاقتداء بالبهيمة في مثل هذا

(فصل) فان سألوا عن معنى قراءة القرآن بالألحان . فالجواب أن مالكا قال ولا تعجبنى القراءة بالألحان ولا أحبه في رمضان ولا غيره لانه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن فيقال فلان أقرأ من فلان . قال وبلغنى أن الجواى يعلن ذلك كما يعلن الغناء . أين هذا من القراءة التى كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها . قال ولا يعجبنى النبر والهمز يقول لا يرجع فى القرآن ولا يقطع بالألحان لان ذلك لا يتم الا بزيادة همزات فى القرآن والزيادة فى القرآن لا تجوز . وقيل لمالك هل يقرأ الرجل فى الطرقات قال لا الا الشىء اليسير وأما الذى يديم ذلك فلا يجوز . قيل له فالرجل يخرج الى السوق أيقرا فى نفسه ماشيا فقال أكره أن يقرأ فى السوق . وسئل عن القراءة فى الحمام قال ليس موضع قراءة وان قرأ الانسان الآية فلا بأس بذلك . قيل له فالرجل يخرج الى قريته فيقرأ ماشيا قال نعم . قال سحنون لا بأس أن يقرأ الراكب والمضطجع وسئل عن الرجل يختم القرآن فى ليلة قال ما أجود ذلك لمن أطاقه . قال مالك

ولم تكن القراءة في المصحف في المسجد من أمر الناس القديم وأول من أحدثه
 الحجاج . قال وأكره أن يقرأ في المصحف في المسجد . فان سألوا عن معنى
 قول النبي صلى الله عليه وسلم (ما أذن الله لشيء كاذنه لني يتغن بالقرآن يحجر به) .
 فالمعنى ما استمع الله لشيء كاستماعه لني يحجر بالقرآن لان أصل الغناء رفع
 الصوت على ماينا وبهذا فسر في آخر الخبر فقال يحجر به . قال بجاهد في
 قوله تعالى ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ أى سمعت . قال أبو عبيد وجماعة من العلماء
 لا يجوز تلحين القرآن وانما معنى الحديث التحجير والتحزين . قال عيسى
 الغفارى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أشرط الساعة فقال (بيع الحكم وقطيعة
 الرحم والاستخفاف بالذم وكثرة الشرط وأن يتخذ القرآن مزامير يقدمون
 أحدهم ليس بأقرئهم ولا بأفضلهم الا ليغنيهم غناء) فان سألوا عن معنى قوله
 صلى الله عليه وسلم (زينوا القرآن بأصواتكم) فان معناه التحزين . قال شعبة
 نهاني أيوب أن أتحدث بهذا الحديث مخافة أن يتأول على غير وجهه . وهذا
 الجواب عما رواه عبد الله بن مغفل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ
 سورة الفتح فقال لولا أن يجتمع الناس علينا لحكيت تلك القراءة وقد رجع . وان
 سألوا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)
 قال سفيان بن عيينة معناه ليس منا من لم يستغن به يعنى بالقرآن وهكذا فسر
 أبو عبيد فقال معنى الحديث لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدا (من أهل
 الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا كلها . وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
 القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم صغيراً أو صغر عظيماً) .
 وقال ابن مسعود نعم كنز الصلوك آل عمران يقوم بها من آخر الليل
 والدليل على أن التغنى بمعنى الاستغناء دون الصوت قول الأعشى
 وكنت امرأ زمتا بالعراق عفيف المنام طويل التغنى

قال أبو عبيد يزيد الاستغناء . والعرب تقول تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا
بمعنى استغنيت قال بعض العرب يعاتب أخاه

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وقال الكسائي مررت على عجوز من العرب قد اعتقلت شاة في بيتها فقلت لها
ما تريدن بهذه الشاة قالت تغنى بها يا هذا تريدن تستغنى . وقال بعض الصالحين
من تلذذ بالحنان القرآن حرم فهم القرآن . وقال أبو هريرة أتم أقرأ السنة ونحن
أقرأ قلوبنا . وقال ابن مسعود نحن قوم ثقلت علينا قراءة القرآن وخف علينا
العمل به وسيجيء قوم يخف عليهم قراءة القرآن ويثقل عليهم العمل به . وقال
كعب الأحبار ليقرأ رجال القرآن هم أحسن أصواتنا من المعازف ومن حداة
الابل لا ينظر الله اليهم يوم القيامة . وقد أمعن وأجاد الشيخ الامام الحافظ
الجليل أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في هذا الموضوع وبينه أتم بيان
وأحسنه في كتاب التفسير له فمن أراداه فليقف عليه هناك اذ أن هذا الكتاب
يضيق عما أتى به وما ذكر انما هو اشارة لأولى الألباب والله الموفق للصواب
(فصل) ثم قال الطرطوشي رحمه الله وعما اشتهرت به هذه الطائفة

اتباع الشهوات والتنافس في ألوان الأطعمة . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
(ماملأ ابن آدم وعاء شرامن بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان
لا محالة فثلك للطعام وثلك للشراب وثلك للنفس) قال أبو جحيفة أكلت ثريدا
بلحم سمين فتجشيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اكفف عنا جشاءك
فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا . وروى أن فاطمة
رضي الله عنها جاءت بكسرة خبز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه
الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما
انه أول طعام دخل فم أهلك منذ ثلاثة أيام . وقال يحيى بن معاذ لو أن الجوع

يباع في الأسواق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة أن يشتروا غيره. وقال الشافعي رحمه الله ما شبت منذ خمسة عشر عاما الا شبعة فطرحتها لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة. وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله لما خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا جعل في الشبع القسوة والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة. وقال بشر بن الحارث رحمه الله الجوع يصفى الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق. وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الجوع للمريدن رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة. وسئل الجنيد رحمه الله عن صفة الصوفية فقال طعامهم طعام المرضى ونومهم نوم الغرقى. وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله نعوذ بالله من زاهد خدأ فسدت معدته ألوان الأغنياء. وقال رجل لبعض المشايخ رحمهم الله انى جائع فقال كذبت قال ومن أين علمت قال لأن الجوع في خزائنه الوثيقة لا يطلع عليها من يفشى سره ولا يعطاه من لا يشكره. وروى أن بعض الفقراء اشتكى الى شيخه الجوع ثم ذهب فرأى درهمًا مطروحا مكتوبا عليه أما كان الله عالمًا بجوعك حتى قلت انى جائع. وقال فتح الموصلى رحمه الله أوصانى ثلاثون شيخا عند فراقهم بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل. ويروى عن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على ابن عون في الحبس وإذا عمال بنى أمية مقيدون في الحديد فحضر غداؤهم فجعل الخدم ينقلون الألوان فقالوا هلم يا أبا يحيى فقال ما أحب أن آكل مثل هذا الطعام وأن يوضع في رجلى مثل هذا الحديد. وقال أبو هريرة رضى الله عنه خرج النبي صلى الله عليه وسلم فلقبه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ما أخرجكما فقالا الجوع فقال وأنا والذي بعثنى بالحق ما أخرجنى الا الذى أخرجكما قوموا فأتوا بيتا من الأنصار وإذا الرجل غائب فقالت امرأته مرحبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابن فلان قالت خرج يستعذب لنا من الماء وإذا بالرجل وعليه

قربة ماء فلما نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أجد من الناس اليوم أكرم
أخيا فإني فأتاهم بعنق من رطب وبسر وتمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا اجتنيته فقال يا رسول الله تخيروا على أعينكم ثم أخذ المدينة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم إياك والحلوب فذبح لهم شاة فأكلوا وشربوا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لتسألن عن نعمي هذا اليوم وفي لفظ عن هذا النعيم
﴿فصل﴾ ويقال أن هذه الطائفة تضيف الى ما هي فيه من الباطل
استحضار المرد في مجالسهم والنظر في وجوههم وربما زينوهم بالخل والمصبغات
من الثياب وتزعم أنها تقصد بذلك الاستدلال بالصنعة على الصانع . قال الأستاذ
القشيري رحمه الله وهو من رؤساء طائفتهم قولا عظيما في الرد عليهم وكشف
فضائحهم . من ابتلاه الله بشيء من ذلك فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف
عورته وأبدى سوائه في العاجل وله عند الله سوء المنقلب في الآجل . وروى
أبو داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من خيب زوجة امرئ
أو مملوكه فليس منا) خيب أي أفسد وخدع وأصله من الخب وهو الخدع ويقال
فلان خب هب إذا كان فاسدا مفسدا . قال الواسطي رحمه الله وهو من كبار
الصوفية إذا أراد الله هوان عبد ألقاه الى هؤلاء الأتاتان الجيف أو لم تسمعوا
الى قول الله تعالى ﴿قل للؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك
أزكى لهم﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه (لا تتبع النظرة
النظرة فأنما لك الأولى وليست لك الآخرة) وقال بقية ابن الوليد رحمه الله
قال بعض التابعين رضي الله عنه كانوا يكرهون أن يحدق الرجل النظر الى الغلام
الأمرد الجميل الوجه . قال ابن عباس رضي الله عنهما للشيطان من الرجل ثلاثة
منازل في نظره وقلبه وذكره . وقال عطاء رحمه الله كل نظرة يهواها القلب
لاخير فيها . وقال سفيان الثوري رحمه الله لو أن رجلا عبث بغلام بين أصابع

رجليه يريد الشهوة لكان لواطاً. وقال الحسن بن ذكوان رحمه الله لا تجالسوا أبناء الأغنياء فإن لهم صورا كصو النساء وهم أشد فتنة من العذارى. وقال بعض التابعين ما أخاف على الشاب الناسك في عبادته من سبع ضار كخوفى عليه من الغلام الامرء يقعد اليه. وقال بعض التابعين رضى الله عنهم اللوطية على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل وروى أن أحمد بن حنبل رحمه الله جاء اليه رجل ومعه ابن له حسن الوجه فقال لا تجئنى به مرة أخرى فقليل له انه ابنه وهما مستوران فقال علمت ولكن على رأى أسيأخنا. وكان محمد بن الحسن صاحب يحيى بن معين لم يرفع رأسه الى السماء أربعين سنة فجاءه غلام حدث ليجلس اليه فأجلسه من خلفه. فأما إتيان الذكور فى الفاحشة العظمى وهو محرم منظر التحريم. قال الله تعالى ﴿أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ قال مالك ويرجم الفاعل والمفعول به أحصنا أولم يحصنا وبه قال ربيعة وأحمد ابن حنبل وإسحاق. وقال الحسن البصرى وعطاء والنخعي وقادة والأوزاعي وأبو يوسف ومحمد هو كالزنا إن كان بكر أو يحدوان كان ثيبا يبرجم ولا فرق بين أن يفعله مع غلام أو امرأة أجنبية والحجة لمالك أن النبي صلى الله عليه وسلم (قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) وأيضا فإن الله تعالى رجمهم بالحجارة قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ﴾ الآية وروى أن أبا بكر استشار الصحابة رضوان الله عليهم في رجل كان ينكح كما تنكح المرأة فقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه أرى أن يحرق فكتب أبو بكر رضى الله عنه الى خالد بن الوليد رضى الله عنه فأحرقه بالنار. وروى عنه أيضا أنه قال يبرجم اللوطى. وقال ابن عباس رضى الله عنهما يرمى من شامق جبل أعلى مافى البلد متكسأ ثم يتبع بالحجارة. وروى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه

أنه قال يهدم عليه البيت . وقال عثمان رضى الله عنه يقتل . وروى أن قوم لوط كانت فيهم عشر خصال أهلهم الله تعالى بها كانوا يتغوطون في الطرقات وتحت الأشجار المثمرة وفي الأنهار الجارية وفي شطوط الأنهار وكانوا يحذفون الناس بالحصباء فيعورونهم وإذا اجتمعوا في المجالس أظهروا المنكر وأخرج الريح منهم والطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى . وهي اللواط . قال الله تعالى ﴿ أنتم لتأتون الرجال وتقطعون السيل وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ والنادى المجالس والمحافل . ومن ارتقى في هذا الباب عن حالة الفسوق وأشار إلى أن ذلك من باب بلاء الزواج وأنه لا يضر فهذه وساوس الشيطان وادعاء العصمة وهو الكفر ونظير الشرك فاحذر مجالستهم فإن اليسير منه فتح باب الخذلان وادخال الهجران بينك وبين الحق ثم يقال وهبك أيها المغرور قد بلغت رتبة الشهداء أليس قد شغلت ذلك القلب بمخلوق . وفي الحديث (يقر الله تعالى حرام على قلب سكنه حب غيري أن أسكنه حي) وأما قولهم انهم يستدلون بالصنعة على الصانع فنهاية في سعاية الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم . قال الله تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما الهوى شر الله يعبد من دون الله . قال الله تعالى في باب الاعتبار ﴿ أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ . وقال تعالى ﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن ﴾ وقال جل وعلا ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمدرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه

بقوله ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ الآية
 ﴿فصل﴾ وأما الدف والرقص بالرجل وكشف الرأس وتخريق الثياب
 فلا يخفى على ذى لب انه لعب وسخف ونبد للرومة والوقار ولما كان عليه
 الأنبياء والصالحون . روى أهل التفسير عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال
 كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع
 فيه الأصوات ولا تؤن (١) فيه الحرم يتواصون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون
 فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويوثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب . قال
 وكان النبي صلى الله عليه وسلم لين الجانب سهل الخلق دائم البشر ليس بفظ
 ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا خاش ولا عياب ولا مزاح يتعاقل عما
 لا يشتهى قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من
 ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجائوا به
 واذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون
 عنده الحديث ومن تكلم انصتوا له حتى يفرغ يعنى يسكتون ويغضون أبصارهم
 والطير لا يسقط الاعلى ساكن انتهى كلامه . ولولم يكن فى السماع والرقص شئ يذم
 الا أنه أول من أحدثه بنو اسرائيل حين اتخذوا العجل الها من دون الله تعالى
 فجعلوا يغنون بين يديه ويصفقون ويرقصون فبقي حالهم كذلك الى أن جاءهم
 موسى عليه الصلاة والسلام ووقع من قصتهم ما قد ذكره الله تعالى فى كتابه
 فهم أصل لما ذكر وما كان هذا أصله فينبغى بل يتعين على كل عاقل أن يهرب
 منه ويولى الظاهر عنه ان كان عاجزا عن تغييره وأما ان كان له قدرة على ذلك
 فيتعين عليه والله الموفق . وقد قال عليه الصلاة والسلام (جب الى من دنياكم
 ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني فى الصلاة) قال الامام الطرطوشى رحمه

(١) لا تؤن فيه الحرم أى لا تذكر بما لا ينبغى

الله هؤلاء زعموا أن قرّة أعينهم في الغناء واللهم والنظر في وجوه المرء
(فصل) وقال رحمه الله وأما تمزيق الثياب فهو يجمع إلى ما فيه من
 السخافة افساد المال. روى أن النبي صلى الله عليه وسلم (نهى عن قيل وقال
 واضاعة المال وكثرة السؤال). وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه (مر النبي
 صلى الله عليه وسلم بشاة ميتة أعطيتها مولاة ليمونة من الصدقة فقال هلا انتفعتم
 باهابها فقالوا أنها ميتة قال إنما حرم أكلها). قال العلاء ويحجر على السفهاء
 وهم المبندرون لأموالهم وما في السفه أعظم من تمزيق الثياب. وقال أنس رأيت
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبئيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة
 رقعة واحدة منها من أديم أحمر. وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انقطع
 شسع نعله فقال أنا لله وأنا إليه راجعون. ومن أمثالهم من أصلح ماله فقد صان
 الأكرمين دينه وعرضه وتمزيق الثياب داخل في قوله تعالى لا بليس ﴿وشاركهم
 في الأموال والأولاد﴾ وإذا كان الكسب خيثا كان مآله إلى مثله انتهى كلام
 الطرطوشي رحمه الله

(فصل) وقال الشيخ أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره في
 قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ سئل عبد الله بن مسعود عن
 قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث فقال الغناء والله الذي لا إله إلا هو
 يرددها ثلاث مرات وعن ابن عمر هو الغناء. وكذلك قال عكرمة وميمون بن
 مهران ومكحول. وروى شعبة وسفيان عن الحكم وخماد عن إبراهيم قال قال
 عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب. وقال مجاهد وزاد أن لهو الحديث
 المعازف والغناء. وقال القاسم بن محمد الغناء باطل والباطل في النار. وقال ابن
 القاسم سألت عنه مالكا فقال قال الله تعالى ﴿فإذا بعد الحق الضلال﴾ أحق
 هو. وروى الترمذي وغيره من حديث أنس وغيره عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال صوتان ملعونان فاجران أنهى عنهما صوت مزمار ورنه شيطان عند نعمة وفرح ورنه عند مصيبة لطم حدود وشق جيوب . وروى جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعثت بكسر المزامير) أخرجه أبو طالب الغيلاني . وخرج ابن بشار عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بعثت بهدم المزامير والطبل) . وروى ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من جلس الى قينة يسمع منها صب في أذنيه الآنك (١) يوم القيامة) . وقد روى مرفوعا من حديث أبي موسى الأشعري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من استمع الى صوت غناء لم يؤذنه أن يسمع الروحانيين فليل وما الروحانيون يا رسول الله قال قراء أهل الجنة) أخرجه الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول . ومن رواية مكحول عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه) . ولهذه الآثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والنزل والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع اذا كان في شعر يشب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمر والمحرمات لا يختلف في تحريمه لأنه اللهو والغناء المذموم باتفاق فأما من سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح كالعرس والعيد وعند النشاط على الأعمال الشاقة كما كان في حفر الخندق . فأما ما ابتدعه الصوفية اليوم من الإدمان على سماع الاغاني بالآلات المطربة من الشبابة والطار والمعازف والايوتار غرام . قال ابن العربي فأما طبل الحرب فلا حرج فيه لأنه يقيم النفوس ويرهب العدو . وذكر أبو الطيب طاهر

(١) الآنك بالمد وضم النون خالص الرصاص

ابن عبد الله الطبري قال أما مالك ابن أنس فإنه نهى الغناء وعن استماعه وقال إذا اشترى جارية ووجدها مغنية كأنه ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة . قال النحاس وهو ممنوع بالكتاب والسنة . قال الطبري وقد أجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه . قال أبو الفرج بن الجوزي وقد قال القفال من أصحابنا لا تقبل شهادة المغني والرقاص . قال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله وإذا ثبت أن هذا الأمر لا يجوز فأخذ الاجرة عليه لا يجوز . وقد ادعى أبو عمر بن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على ذلك . وذكر القرطبي أيضا في سورة سبحان في قوله تعالى ﴿ ولا تمس في الأرض مرحا ﴾ قال استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه . قال الامام أبو الوفاء بن عقيل قد نص القرآن على النهي عن الرقص فقال ﴿ ولا تمس في الأرض مرحا ﴾ وذم المختال والراقص أشد والمرح الفرع أولسنا قسنا النيد على الخمر لا تقاكما في الطرب والسكر فما بالنا لا نقيس القضب وتلحين الشعر معه على الطنبور والطلل لاجتماعهما فما أقبح ذالحية سيما إذا كان ذا شية يرقص ويصفق على توقيع الألحان والقضبان خصوصا إذا كانت أصوات نسوان وولدان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم مآله الى احدى الدارين يشمس بالرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ في عمرى ما بان لهم سن من التبسم فضلا عن الضحك مع ادمان مخالطتي لهم . وقال أبو الفرج بن الجوزي ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي أنه قال حماقة لا تزول الا باللعب . وذكر القرطبي أيضا في قوله تعالى ﴿ واستغفر من استطعت منهم بصوتك ﴾ قال في الآية ما يدل على تحريم المزامير والغناء واللهو لقوله تعالى واستغفر من استطعت منهم بصوتك على قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان أو فعله وما يستحسنه فواجب التنزه عنه

(فصل) وقد حكى عن امام هذه الطريقة وهو الشيخ الجليل رحمه الله

أنه سئل لحضور السماع فأبى ثم سئل فأبى فقيل له أنت كنت تحضره قال مع من
 ومن وقد حكى عن غيره من الأكابر أنه سئل لحضور السماع فأبى فقيل له أنتكر
 السماع قال ومثلي ينكره وقد فعله من هو خير مني ومنكم عبد الله بن جعفر الطيار
 وإنما أنكر ما أحدث فيه . وهذا كما قد سبق من أن الغناء هو رفع الصوت بالشعر
 فحضره هذا السيد لما أن كان كذلك فلما أن حدث فيه ما حدث تركه . وهذا أيضا
 موافق لكلام الجنيد في قوله مع من . ومن لما تقدم عنه رحمه الله أن القوال هو
 شيخ الجماعة الذي منه يستمدون وبه يقتدون ولا شك أن هذه الصفة بعيدة
 من سماع هذا الزمان لما احتوى عليه مما لا ينبغي كما هو مشاهد مرئي وقد
 وقعت الإشارة لبعضه . وهذا مع ما فيه مما تقدم ذكره قل أن يسلم من حضور
 النساء في المواضع المشرفة عليه من سطح أو غيره وسماعن الأشعار المهيجة للفتنة
 والشهوات والملاذبات فإن ذلك يحرك عليهن ساكنا لما تقدم من أن الغناء
 رقة الرثا وهن ناقصات عقل ودين سيما إذا انضاف إلى ذلك أن يكون لمن طريق
 إلى التوصل إلى الرجال أو الرجال اليهن فأعظم فتنة وبلية سيما إذا انضاف إليه أن
 يكون المغنى شابا حسن الصورة والصوت ويسلك مسلك المغنيات في تكسيرهم
 وسوء تقلباتهم في تلك الحركات المذمومة مع ما هو عليه من الزينة بلباس الحرير
 والرفيع من غيره وبعضهم يبالغ في أسباب الفتنة فيتقلد بالعنبرين ثيابه لتشم
 رائحته منه ويجعل على رأسه فوطه من حرير لها حواش عربية ملونة يصففها
 على جبهته ولهم في استجلاب الفتن بمثل هذا أمور يطول ذكرها . ثم العجب
 من هذا المسكين الذي عمل السماع لهم وجمعهم له كيف يطيب خاطره أو يسكن
 باطنه برؤية أهله لما ذكر إذ أن ذلك كله فتنة عظيمة قل من يسلم عند
 سماعها أو رؤيتها فانا لله وانا إليه راجعون أين غيرة الإسلام أين نجدة الرجال
 السادة الكرام أين المهمم العالية العفيفة عن الحرام أين اتباع السلف الاعلام

فتحصل مما تقدم ذكره أن كل من حضر السباع من الرجال والشبان ومن اطلع عليه من النساء أو سمعهم افتتن وقل أن يرضى بما عنده من الحلال غالبا فتشوف نفوسهم الى ارتكاب المحرمات فمنهم من يصل الى غرضه الخسيس وهي البلية العظمى ومنهم من لا يقدر على ذلك لقلّة ذات يده أو غيره من العوائق المانعة له فيكون آثما في قصده ولو وقف الأمر على ما ذكر لرجيت لهم التوبة والا قلاع والاقالة مما وقعوا فيه لكن البلية العظمى ان كثيرا منهم يتدينون بذلك ويعتقدون به القرية الى الله عز وجل سيما ان عملوه بسبب المولد فهو أعظم في الفتنة لأنهم يعتقدون أنهم في أكبر الطاعات واطهار شعائر الدين وتعطى هذه القاعدة التي اتحلوها أنهم أعرف بالشعائر من سلفهم نعوذ بالله من المحن والفتن ومن الابتداع وترك الاتباع . وبالجملة ففتنته أكثر من أن تحصر وهذا مع ما فيه من اضاعه المال والرياء والسمعة لوقيل لاحدهم تصدق ببعض ما تنفقه فيه على المضطرين المحتاجين سرى الشح بذلك وبخل وما ذلك الا لوجوه . الوجه الأول خيبت الكسب غالبا لان المال الذي يتحصل من وجه خيبت لا يخرج الا في وجه خيبت مثله بذلك جرت الحكمة . الثاني اثار الشهوات والملذات . الثالث الرياء والسمعة . الرابع محبة الثناء والمحمدة والقبيل والقال كما تقدم . الخامس محبة النفوس في الظهور على الأقران . السادسة ان صدقة السر خالصة للرب عز وجل فلا يقدر عليها الا ذو حزم ومروءة واخلاص فالسعيد السعيد من تمسك بنور الشريعة وسلك منهاجها وشديده عليها وترك كل ما أحدثه المحدثون وعمل على خلاص مهجته وأهله وولده ولا خلاص الا بالاتباع وترك الابتداع سلك الله بنا الطريق الارشاد انه ولي ذلك والقادر عليه بمحمد وآله (فصل) وقد تقدم في أول الكتاب أن تصرف المكاف لم يبق الا في قسمين وهما الوجوب والتدب فاذا كان هذا في حق غير الفقير المنقطع فما

بالك بالفقير المنقطع المتوجه الى ربه الذى ترك الدنيا وشهواتها وملذذاتها
خلف ظهره فهو أولى وأوجب بالمطالبة بالاتباع وترك الابتداع أكثر من غيره
وإذا كان ذلك كذلك فالسمع اذا سلم مما تقدم ذكره لم يدخل فى باب الواجب
والمندوب بدليل ما تقدم عن الجند رحمه الله حيث قال لا يصير السمع مباحا الا
بعشرة شروط وقد تقدم أكثرها والفقير أولى بل أوجب أن يحتاط لنفسه
ويتقى مواضع الريب ويسد عن نفسه أبواب المفاسد كلها فانه شبيه بالعالم فى
الافتداء به فصلاحه يتعدى لغيره وفساده كذلك فيتعين عليه أن يحفظ مهجته
ومهجة غيره من المسلمين بالنهوض الى ما يجب عليه أو يندب اليه ويترك
ما عدا ذلك ويعرض عنه والله المستعان

(فصل) وينبغى له أن يصون حرمة الخرقه التى ينسب اليها بترك
الوقوف على أبواب أبناء الدنيا ومخالطتهم والتعرف بهم وقد تقدم قبح ذلك
فى حق العالم فى حق الفقير أولى وأحرى اذ أنه أقبل على طريق الآخرة وترك
الدنيا وأهلها فوقوفه على أبواب من تقدم ذكرهم نقيض طريقه ومقصده بل
ينقطع عنهم ظاهراً وباطناً أعنى أنه لا ينقطع فى خلوته وقلبه متعلق بغير ما هو
فيه فإن تعاقب خاطره بشئ من ذلك فهو منهم وإن كان لم يدخل معهم فى الظاهر
ولم يكثروا . ألا ترى أنهم قد قالوا اذا رأيت الأمير على باب الفقير فاتهم
الفقير لانه ما جاءه الا النسبة حصلت فى الفقير من أجل ما يتعاطونه من أمور
الدنيا ولاجل ذلك جاء الأمير لحصول الجنسية أو كما قالوا . وقد يكون الفقير
لا يشعر بما أوجب ذلك فى حقه . حتى لقد حكى عن بعضهم أنه كان لا يمر
له خاطر فى الدنيا ثم حصل له فى بعض الأيام التفات اليها واذا بمجندى يندق
الباب فدخل اليه وجلس يتحدث معه فى الدنيا فرجع الشيخ الى نفسه وقال
هذه عقوبة من الله من أين أتيت واذا هو قد ذكر الخاطر الذى مر به فتاب

الى تعالى وأطلع عنه واذا بالجندى قد قام وخرج من حينه فنهذه كانت أحوالهم وسيرتهم الحسنة وهم قدوة لمن بعدهم ممن يتمسك بطريقهم أسأل الله أن لا يخالف بنا عن حالهم. ومع وهذا فلا تنكر الاجتماع بهم أعنى اذا جاءوا الى الفقير راغبين فقد وردت السنة بحسن البشاشة عند اللقاء والاخذ مع المضطرين والمساكين فيما نزل بهم ولا شك أن احتياج أبناء الدنيا للمريد وخطره أعظم من احتياج غيرهم من الفقراء والمساكين الى المريد المنقطع الى ربه عز وجل لأن الفقير المسكين أقرب الى ربه سبحانه وتعالى اذ هو في حالة الاضطراب والمسكنة عليه ظاهرة بخلاف أبناء الدنيا لأن الغالب عليهم الشرود عن باب ربهم لأجل تعلقهم بمن هو فوقهم أو من هو مثلهم من أبناء الدنيا فيحتاج المريد اذا أتوا اليه أن يياسطهم لكي يتوصل بذلك الى موعظتهم وسياسة اخلاقهم ليسرق طباعهم بالرفق والتيسير وعدم التنفير قاصدا بذلك وقوفهم بباب ربهم وإرشادهم اليه لالغرض دينوى لأن نجاة هؤلاء من باب خرق العادة بخلاف الفقير والمسكين فاذا خلص واحدا من هذه صفته فلا شك أنه من الجهاد وفي الجهاد من الفضيلة ما فيه فيحتاج أن يقتسم ماسيق اليه من هذا الخير العظيم ويشد يده عليه بشرط أن يتحفظ على مقامه الذي هو فيه من تدنيسه بالتشوف الى ما في أيديهم أو التعزز بعزم القانى أو الركون الى شيء من أحوالهم الزائلة فاذا سلم من ذلك فلا ينافى قضاء حوائج المضطرين من المسلمين على أيديهم لأن له بذلك المنة عليهم لأنه ساق اليهم خيرا عظيما ومعروفا جسيما لكن بشرط يشترط فيه وهو أن يريهم أن الحظ والمنفعة والحاجة الكبرى لهم فى استقضاء حوائج المسلمين منهم بعد أن يحقق عنهم أنهم مضطرون الى ذلك أكثر من أرباب الحاجات اليهم وأن ذلك متعين عليهم من غير أمره لهم بذلك فكيف مع اطلاعه واطلاعه وهذا باب كبير متسع فيكنى التنبيه عليه وبالجملة فالفقراء السالكون من مضى

منهم نفعنا الله بهم قد انقسموا في هذا الباب على ثلاثة أقسام . فمنهم من كان لا يخالط أحدا من غير جنسه فان وقع لأحدهم شيء من ذلك استعمل التحيل في التخلص منه . كما حكى عن سفيان الثوري أنه لما أن تولى الخلافة من يعقده ويرجع اليه هرب منه الى البلاد وسافر الى مواضع لا يعرف فيها فبقى الخليفة يسأل عنه ويبحث عن أمره الى أن اجتمع به بعض من يعرفه فتكلم معه في أن اجتماعه بالخليفة فيه خير كثير للمسلمين فكان جوابه أن قال يصلح ما يعلم فساده فاذا فرغ من ذلك أتيت به وجلست معه وعلمته ما لم يعلمه أو كما قال . وقد حكى عن بعضهم أنه أظهر التوله حين اتيان السلطان اليه بأن جعل على بابه أحمالا من الخبز فوضعها وجلس هناك فلما أن رأى السلطان مقبلا أخذ رغيفا وجعل يضع فيه ويأكل بنهمة فجاء السلطان فسأل عنه فقيل له هوذا فسلم عليه فرد عليه السلام فكلمه فأبى عن جوابه فسأله لم لا ترد على الجواب فقال أخاف أن تشغلني عن أكلى أو أن تأكل معي فيذهب هذا الخبز وأنا لا أشبع أو كما قال فرجع السلطان عنه وهذا باب السلامة ولا يعدل بالسلامة شيء . القسم الثاني أنهم يجتمعون بهم اذا أتوا اليهم بالشروط المتقدم ذكرها . القسم الثالث الاتيان اليهم وفيه خطر من أجل مخالطتهم والوقوف على أبوابهم لقضاء حوائج المسلمين اذا ن ذلك جمع بين أمرين متضادين أحدهما حسن وهو قضاء حوائج المسلمين والتفريح عنهم والثاني ضده وهو اهانة خرقه الفقير بالوقوف على أبواب من لا ينبغي . وقد قال بعضهم ما أقبح أن يسأل عن العالم فيقال هو يباب الأمير فاذا كان هذا القبح في حق العالم فما بالك به في المرید الذي خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة يطلبها وتوجه الى الله عز وجل بالانقطاع اليه ولولم يكن فيه من القبح الا أنا مأمورون بالتغيير عليهم في بعض أحوالهم والوقوف بابهم ينافي ذلك . وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله يختار الطريقة الوسطى لاشرقية ولا غربية لا يقف

نياهم ولا ينفر منهم بل يستقضى حوائج الضعفاء والمساكين منهم اذا أتوا اليه
 وأما من لم يأت منهم اليه فانه كان لا يرسل اليه أصلا ومن نزلت به ضرورة وآتى
 اليه يحمله على الصدقة والتوبة مما جنى وأما الارسال اليهم فكان لا يرسل لمن
 يعرف ولا لمن لم يعرف فمن كان يعرفه منهم اذا جاء ذكر له ما اطلع عليه من
 ضرورات المسلمين فأزالها وهذا الذى درج عليه هو حال أكثر السلف أعنى
 الطريقة الوسطى المتقدم ذكرها والله الموفق هذا حاله مع زيارة من ينسب
 الى الدنيا . وبالجملة فمن يأتى الى زيارة المريد ينقسمون على ثلاثة أقسام . الأول
 اتيان أبناء الدنيا له . والثانى زيارة المريدين والصلحاء . والثالث زيارة من شاركه
 فى الخلة من جهة شيخه أو من جهة العالم الذى اهتدى بهديه فالقسم الأول قد
 تقدم ذكره وأما القسم الثانى فيتعين عليه أن يلقى من أتاه برحب وسعة صدر
 وأن يكثرتواضع لهم ويرى الفضل لهم عليه فيما فعلوه ويرى نفسه أنهم مقصرة
 فى حقهم اذ أنه قد عن زيارتهم حتى احتاجوا الى زيارته فيعوض لهم عن ذلك
 كثرة الانس واظهار الود بشرط أن يكون ذلك منه باطنا كما فعله ظاهرا والمقصود
 أن يبالغ فى الادب معهم بتوقير كبيرهم واحترامه والطف بصغيرهم فى ارشاده
 وتهذيب أخلاقه وتبليغ أمره للسلوك والترقى وان استطاع أن لا يخرج عنه أحدا
 من هذه الطائفة الا عن أكل فليفعل لأنه قد ورد عن السلف رضى الله عنهم
 أنهم كانوا لا ينصرفون الا عن ذواق فان لم يمكنه ذلك الا بتكلف مثل أخذدين
 أو ما يقاربه فالترك أولى به . وقد حكى عن بعضهم انه جاءه أضياف فقدم لهم خبزا
 وملحا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفتم لكم لكن يعوضهم عن ذلك
 أمدادهم فى بواطنهم أن كان من أهل ذلك فان لم يكن من أهل الامداد فيدعوهم
 بظاهر الغيب ولعل أن يكون فيهم وهو الغالب من هو أرفع منه قدرا وأعظم
 شأننا فيكون دعاؤه اذ ذاك يعود عليه بركته . لما ورد أن المرء اذا دعا لأخيه

في ظهر الغيب فان الملك يقول له ولك مثل ذلك أو كما ورد . وقد قال بعض السلف كل حاجة أحاجها وأريد أن أدعو بها لنفسي أدعو بها لأخي في ظهر الغيب لأنى اذا دعوت لنفسي كان الأمر محتملا للقبول أو ضده واذا دعوت لأخي في ظهر الغيب فالملك يقول ولك مثل ذلك ودعاء الملك مستجاب . وقد حكى عن بعضهم أنه جاء الى زيارة أخيه فقال له المزور يا أخى أما كان لك شغل بالله عن زيارتي فقال له الزائر شغلي بالله أخرجني الى زيارتك . وقد حكى عن بعضهم أيضا انه كان اذا سأله أحد من اخوانه في حاجة يبكي ثم بعد ذلك يقضى حاجته فسئل عن موجب بكائه فقال أبكى لغفلى عن حاجة أخى حتى أحاج أن يديها الى وهذا الذى ذكر هو جار على جادة غالب حال الناس وبعض الأكابر يعوض عن ذلك ما هو فى الاثارة أكثر وأعم وله فى ذلك اقتداء حسن صحيح . كما حكى لى من أتق به ان الفقيه الامام المعروف بابن الجيزى جاء الى زيارة الفقيه الامام المحدث المعروف بالظهير التزمنى وكان اذا ذاك منبسطا مع من حضره فلما أخبر بمجيء الفقيه ابن الجيزى الى زيارته انقبض عن ذلك وزال بسطه فدخل عليه وهو منقبض فلم عليه فرد عليه السلام ولم يرد عليه شيئا ولم يكن كلامه له الاجوابا فلما ان خرج رجع الى ما كان عليه من البسط مع من حضره فسئل عن موجب ذلك فقال استصغرت نفسى أن يكون مثل هذا السيد يزور مثلى فأردت أن أكاثته ببعض ما يستحقه فوجدت نفسى عاجزة عن مكافأته فأثرته بالأجر كله حتى يكون فى صحيفته دونى لما ورد اذا التقى المسلمان فأكثرهما ثوابا أبشهما لصاحبه فأثرته بذلك أو كلاماً هذا معناه . وهذا له أصل فى الاتباع السنة المطهرة وهو ما روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كنت اذا لقيت عليا ابتدأتنى بالسلام فلقيته اليوم فلم يسلم على حتى ابتدأته بالسلام

فقال له اجلس فجلس واذا بعلي بن أبي طالب قد جاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم لم تبتدي ابا بكر اليوم بالسلام فقال يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم قصرا في الجنة لم ارمثله فقلت لمن هذا القصر فقيل لمن يبتدي اخاه بالسلام فأردت أن أوثر اليوم ابا بكر على نفسي أو كما قال . وهذا أعظم في الاكرام وأبر في الاحترام فمن كانت له استطاعة على مثل هذا الايثار فهو أولى به لكن يخاف على فاعل ذلك في هذا الزمان أن ينفر الناس غالبا عن باب ربهم ويوقعهم فيما لا ينبغي فارتكاب الطريقة المتقدمة والحالة هذه أولى بل أوجب اللهم الا أن يقع ذلك مع من له رسوخ في السلوك كما تقدم وصف من وقع له ذلك والله الموفق

(فصل) اعلم رحمنا الله واياك أن لقبول الدعاء مواضع عديدة ينبغي الاعتناء بها ليعرف المكلف أماكنها فيتعرض لها لقوله عليه الصلاة والسلام (أن لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله) فمن جملة النفحات ما تقدم ذكره من دعاء المؤمن لأخيه في ظهر الغيب . والثاني المضطر وهو الأصل لعمومه قال الله تعالى (ومن يجب المضطر اذا دعاه) وهذا لفظ عام دون الاتصاف بصفة دون أخرى وكثير من يقع له الغلط والوهم في هذا القسم فيرى أنه مضطر فيدعو فلا يستجاب له فيقول أني هذا فيقع له الجواب بلسان الحال (قل هو من عند أنفسكم) إذ أنه لو حصلت له حالة الاضطراب ما راد وما خيب لأن الله سبحانه وتعالى لا يتخلف الميعاد . ومثال ذلك في الحسن ما كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول مثله مثل من ركب في السفينة فهو مضطر الى ريح يمشی بها والى بحر هاد قليل الآفات لكنهم مطمئنون بسفينتهم راكئون اليها وفي هذا السكون من عدم الاضطراب ما فيه فلو جاء الريح العاصف وتحرك عليهم هول البحر لكان اضطرابهم أكثر من الأول لكنهم عندهم قوة في أنفسهم بالسفينة التي هي سبب السلامة غالبا فلو انكسرت السفينة مثلا وبقي كل واحد منهم أوجاعة على لوح

لاشد اضطرارهم أكثر من الثاني لكنهم يرجون السلامة لما تحتم من الألواح وذلك قدح في حقيقة اضطرارهم فلو ذهبت الألواح وبقوا بعد ذلك في لجم البحار لا يرى ولا جهة تقصد ولا لوح يرام أن يصعد عليه فهذه الصفة هي حقيقة الاضطرار أو كما قال . فمن اتصف بهذه الصفة وهو في حالة الاتساع من أمره كان مضطرا حقيقة فلا يشك ولا يرتاب في اجابته ومواقع الغلط الا في صفة التحصيل لهذه الصفة الجميلة التي أخبرنا الله تعالى بها في كتابه العزيز الثالث من مواطن الاجابة عند نزول الغيث . الرابع عند الأذان . الخامس عند اصطفاف الناس للصلاة . السادس عند اصطفافهم للجهاد . السابع اثناء الاخير من الليل في كل ليلة الى طلوع الفجر . الثامن الدعاء عند المحتضر فان الملائكة حضور يؤمنون على دعاء الداعي . التاسع الدعاء من الصائم عند افطاره . العاشر الدعاء من المسافر عند سفره . الحادي عشر وهو آكد الساعة التي وردت في يوم الجمعة وقد تقدم بيانها . الثاني عشر يوم الاثنين وليته وقد تقدم بيانه الثالث عشر ليلة القدر وهي أم الباب وخلاف العلماء فيها مشهور معروف الرابع عشر الدعاء من الوالدين لولدهما . الخامس عشر الدعاء عند حدوث الخشوع واقشعرار الجلد والخوف والقلق وغلبة الرجاء فان هذه المواطن كلها محل للاجابة . السادس عشر وهو أعظمها وأولاها الدعاء باسم الله الأعظم وقد اختلف الناس في تعيينه اختلافا كثيرا حتى قال بعضهم ان ذلك راجع الى الاتصاف بحالة الاضطرار كما تقدم ومنهم من قال انه قوله تعالى ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ومنهم من قال - **الله لا اله الا هو الحي القيوم** - و﴿ **الم الله لا اله الا هو الحي القيوم** . وعت الوجوه للحي القيوم - ومنهم من قال - **لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين** - ومنهم من قال آخر سورة الحشر الى غير ذلك وهو كثير . السابع عشر يوم عرفة . الثامن عشر شهر رمضان . التاسع عشر

في السجود . وبالجملة فاللعمالة أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فان صادف أركانه قوى وان صادف أجنحته طار في السماء وان صادف أسبابه نجح وان صادف أوقاته فاز فن أركانه الاضطرار وقد تقدم . وأجنحته قوة الصدق مع المولى سبحانه وتعالى فيما يرجوه ويؤمله منه ويخافه . وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وأوقاته الاسجار . وما تقدم ذكره انما هو فيمن هو على جادة التكليف . وأما من هو في مقام الرضى أو ما يقاربه فقد يكون السؤال في حقه ذنبا يتعين عليه التوبة والاستغفار منه . كما قد حكى عن بعض السلف أنه قال تجاسرت البارحة وسألت ربى المعافاة من النار وكما حكى الشيخ الامام أبو طالب المكي رحمه الله عن بعضهم أنه قال كل المقامات نلت منها شيئا الا هذا الرضا فاني مانلت منه الامقدار سم الخياط . ومع ذلك لو أخرج أهل جهنم أجمعين وأدخله جهنم وملاها بحجسه وعذبه بعذابهم أجمعين لكان راضيا بذلك وقد تقدم ماجرى للكليم عليه الصلاة والسلام مع العابد . وبالجملة فالامر راجع الى حال من وقع له ذلك وفي أى وقت يقع له ذلك وقد يكون في بعض الأحيان المرضا في حقه أولى وأفضل بالنسبة الى حاله وما اختص به في وقته ذلك وقد يكون في وقت آخر الدعاء والتعلق واظهار الفاقة والاضطرار والحاجة أولى وأفضل وكل ذلك مأخوذ من السنة المطهرة وعن السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين . ثم نرجع الى ما كنا بسيله من أقسام الزائر والمزور . القسم الثالث الاشتراك في الرضاغة في مجالس العلم ومجالس الشيوخ فن جاء من هذا القسم فهو من الخاصة فان استطاع أن يكون لهم أرضا فليفعل اذ أن احترامهم احترام لشيخه الذى أخذ عنه . وآداب المريد مع شيخه لا تنحصر ولا ترجع الى قانون ولا يقدر المريد أن يقوم بحقه في الغالب اذ أن حقيقة أمر الشيخ أنه وجده في بحار الذنوب والغفلات فأخرجه من كل ذلك وأدخله الجنة وهو أمر

لا يقدر أحد أن يجازى عليه إلا الله تعالى

(فصل) وينبغي له أن يكون أهم الأمور عنده وآكدها الخلوة عن الناس والانفراد بنفسه دونهم كما تقدم لأن الخلوة سبب للفتح غالباً . ويحذر أن يقبل ما تلقى إليه نفسه أو الشيطان من حبة الاجتماع بالآخوان أو الميل إليهم أو الميل إلى رؤيتهم فإن النفس مجولة غالباً على حب الراحة والبطالة وهي لا تجد لذلك سبيلاً مع دؤوب الخلوة ولا تجد السبيل إلى أن تسرقه أو تمل به عما هو بسبيله إلا بسبب الاجتماع بالآخوان غالباً إذاً الاجتماع بهم تجد السبيل إلى الزيادة والنقصان فيما يريد ويختاره وفيه من الخطر ما فيه أو عكسه وهو الداء الذي ليس له دواء في الغالب إلا التوبة والإقلاع والتحلل وكان في غية عن ذلك كله وهذه دسيسة قل من يشعر بها إلا من نور الله بصيرته . وقد قال الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله في كتاب الدلالات عن بعض شيوخه أنه قال كنت أخلو لأسلم من ضررى للناس فصرت أخلو لأغنم فصرت أخلو لأفهم فصرت أخلو لأعلم فصرت أخلو لأتعم . فانظر رحمنا الله وإياك إلى هذه المقامات الجليلة التي انتقل منها وإليها واحدة بعد واحدة . فاولها طلب سلامة الناس منه كما تقدم إذ أن طلب السلامة من الناس فيه تزكية للنفس ووقوع في حق آخوانه المسلمين فإذا خلا بنفسه لكي يسلم الناس من لسانه وبصره وسمعه وبطشه وسعيه وحسده إلى غير ذلك مما يعتوره في خلطته لم يحصل بسبب ذلك في القسم الذي شهد له صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه بالإسلام حيث يقول عليه الصلاة والسلام (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك كله . فلما أن حصل هذا المقام السنى ترقى بعده إلى ما هو أسنى منه وهو حصول الغنمة فهو في أعمال الآخرة يتبها إذاً الخلوة التي هو فيها أعانتها على افتراس ذلك والنهوض إليه لعدم العائق . ثم بعد حصول

هذا المقام السنى ترقى الى ماهو أسنى منه وهو الفهم عن الله تعالى في آياته وفي أحكامه وفي تدبيره في خلقه وإحسانه الى أوليائه وقربه منهم وعلمه بحالهم اذ هو سبحانه وتعالى الكريم الذى من بذلك وسهل الأمر عليه فيه والفهم عن الله أعم من هذا كله وانما هو إشارة الى ما عدا ما ذكر . ثم انتقل بعد هذا المقام السنى الى ماهو أسنى منه وهو العلم لانه نتيجة الفهم اذ أنه اذا فهم علم وهذا العلم عام في العلم بالله تعالى والعلم بأحكام الله اذ أنه لا يوجد جاهل بأحكام الله عليه عالم بالله والعلم بالله ليس له حديثتهى اليه بخلاف العلوم الشرعية فان لها نهاية على ما قد علم فلما أن حصل هذه الدرجة السنية انتقل منها الى ماهو أسنى منها وهو التمتع في خلوته والتلذذ بالطاعات التى يحاولها اذ أنه عبد قد خلعت عليه خلع القرب فاتصف بالمقامات السنية التى لا يستحقها ولا بعضها الا بفضل المولى سبحانه وتعالى وكرمه وامتنانه اذ لا فرق بينه وبين اخوانه من المسلمين فكونه خلع عليه دونهم هذا فضل عظيم لا يقدر أن يقوم بشكر بعضه اللهم لا تحرمنا ذلك فانك وليه والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم . فاذا حصل في هذه الدرجة انتفع بنفسه وانتفع به من عرفه ومن لم يعرفه . فاذا حصل في هذا المقام السنى جائته الالطاف ترى اذ أنه تشبه فيه بالملائكة الكرام الذين لا يأكلون ولا يشربون وبذكر ربهم يتنعمون اذ أن الذكر لهم كالنفس لنا ومن هذا حاله تكون العبادة له كالغذاء لان الغذاء جمع أشياء منها شهوة النفس للأكل والشرب وقوام البدن والاعانة على فعل الطاعات . ومن حصل في هذا المقام الذى تقدم ذكره فقد تم له النعيم . ألا ترى أن بعضهم كان يأكل أكلة في الشهر وبعضهم في ثلاثة أشهر وبعضهم في ستة أشهر وبعضهم لا هذا ولا هذا كل ذلك راجع الى حال التمتع في الخلوة كما تقدم . ومن هذا الباب انقطع كثير من المريدين لانهم لم يحكموا الآداب فى الوصول الى هذا المقام فيريدون أن يتشبهوا بمن هو فيه

فينقطعون وماذا لك الا أن هذا غذاؤه بالتنعم الذى هو فيه وقدمت حكمة الحكيم سبحانه وتعالى أن هذا البدن لا قوام له الا بقوت فالقوت المعنوى الذى حصله هذا الذى تقدم ذكره أغناه عن القوت الحسى وهم لم يحكموه وتركوا القوت الحسى . وقد قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله اعلم أن الله عز وجل قد تكفل لهذا الهيكل برزق لا قوام له الا به قال وهذا الرزق الذى تكفل به ليس من شرطه أن يكون محسوسا فتارة يكون محسوسا وتارة يكون معنويا أو كما قال ولاجل الجهل بتحصيل هذا القوت المعنوى حصل لبعض من يتعانى كثرة المجاهدة أشياء رديئة مثل العريضة أو الجنون أو النشاف (١) الى غير ذلك فمن تأدب بهذه الآداب المذكورة فى الخلوة يغلب الرجاء أنه من الناجين والحمد لله رب العالمين . وقد سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول انه قد كان دخل فى مجاهدة بنية أمد معلوم فلم تقدر نفسه على اتمام المدة وضاق ذرعه بذلك قال فأردت ان أفطر ثم حصلت لى عزيمة على ترك ذلك فلما أن شعرت نفسى بهذه العزيمة غشى عليها فرأيت فى تلك العشوة كأن انسانا يطعمنى فأكلت حتى شبعتم ثم سقانى فشربت حتى رويت ثم استفقت وأنا شبعان ريان فقامت أغتيم الطاعة مبتدرا بقوة ونشاط ففرغت المدة وأنا على ذلك الحال ثم بقيت بعد مدة أخرى كذلك ولو بقيت على ذلك بقية العمر لرأيت أنى لأحتاج الى غذاء بعدها لكن رجعت الى الغذاء خوفا منى على ترك السنة اذ أن السنة وردت بالغذاء . هذا الوجه الذى ذكره رحمه الله . وفيه وجه آخر وهو أنه لو تمالى على ذلك الحال لاشتهر أمره وعرفه الناس بذلك وهذا فيه مافيه . وبالجملة فبركة الخلوة لا تنحصر ولا تقف على حد ينتهى اليه كل

(١) النشاف بالتشديد كشداد من يأخذ حرف الرغيف فيغمسه فى رأس القدر ويأكله دون أصحابه اه قاموس

على قدر حاله ومرتبته وأقل فوائدها بل أعظمها وزيدتها ما يحمده الله عز وجل عند ذلك من الخشوع وتصاغر النفس والاحتقار بها وذاتها والاطلاع على مسكنتها وقلة حيلتها وقررها واضطرارها الى سيدها ومديرها . وقد سأل سفيان الثوري الأعمش رحمهما الله تعالى عن الخشوع فقال يا ثوري أنت تريد أن تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع سألت ابراهيم النخعي عن الخشوع فقال يا أعمش تريد أن تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع بأكل الجشيم ولا بلبس الخشن وتطأطئ الرأس لكن الخشوع أن ترى الشريف والذنى سواء وأن تخضع لله فى كل فرض افترض عليك . والغالب أن هنا قل أن يحصل الا مع كثرة الخلوات فالخلوة نور ذلك كله وبهاؤه وعليها تقرر الأحوال السنية والمراتب العالية فليشد المريد يده ليحصل ما يترتب عليها من البركات والله الموفق للصواب

(فصل) وأكد ما عليه فى خلوته النظر فى الجهة التى يقف منها فليتحفظ على نفسه من الشبهات التى تطرأ عليه فيها اذ أن ذلك لا يخلو من وجوه اما أن يكون يعرف أصلها مثل أن يكون من كسب يده أو ميراث أو غيرها من وجوه الحل فهذا قد لطف الله به اذ يسر له ذلك من وجه حل وانقطع بسببه الى الخلوات وبركاتها واما أن يكون ذلك من جهة ما يفتح الله تعالى به من الغيب فذلك على وجهين أحدهما أن يكون بغير واسطة والآخر بواسطة فان كان الأول فهو مثل القسم الذى قبله ملطوف به الا أنه قد يخشى على بعض من يقع له ذلك من الدسائس الواردة على النفوس وهى كثيرة لا تنحصر . وأما القسم الثانى وهو أن يكون تيسير ذلك على يد مخلوق فهنا يحتاج الى تفصيل . سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول ان ذلك ينقسم على أربعة أقسام . القسم الأول يسر ويضر . القسم الثانى عكسه لا يسر ولا يضر . القسم الثالث يسر ولا يضر

القسم الرابع عكسه يضر ولايسر . فالقسم الاول وهو الذى يسر ويضر هو الفتوح الذى يأتى من جهة فقير محتاج معتقد فان أنت قبلته منه سر بذلك ويتضرر في نفسه لأجل فقره فهذا ينبغي للمريد أن لا يرزأه في شيء ويرده عليه بسياسة حتى لا ينكسر خاطره أو يقبله منه ويكافئه عليه بما تيسر وليحذر أن يشوش عليه بدفع العوض له بل يعوضه دون اشعاره بذلك . وأما القسم الثاني وهو عكس الاول وهو الذى لايسر ولايضر فهو الفتوح الذى يأتى من عند منزله جدة واتساع وهو مستور بلسان العلم وصاحبه ليس بمعتقد فان هو أخذه منه لم يسر بذلك ولم يضره أخذه منه فالمريد في هذا القسم مخير ان شاء أخذ وان شاء ترك وذلك راجع الى حسب حاله في الوقت ولو قدر على أن لا يأخذ منه شيئاً لكان أولى به وأرفع لمقامه لأن هذه الطائفة ينبغي أن تكون يدهم هي العليا . كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (اليد العليا خير من اليد السفلى) وقد فسر في الحديث فقال اليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة . وقد اختلف الناس في هذا . وكان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ان المراد بالعليا والسفلى السائلة والمسئولة فان كنت سائلاً في قبول معروفك فيدك سفلى وان كنت مسئولاً فيدك هي العليا . وكان رحمه الله يستدل على ذلك بما ورد أن المكلف لا يخرج صدقة حتى يفك فيها لحيي سبعين شيطاناً فاذا هم المكلف باعطاء صدقة واعتورته هذه الشياطين وغلبهم وأتاك بمعرفه فان أنت رددته عليه فقد أعنت الشياطين عليه وقد لا تسمح نفسه بعد ذلك أن يعطيها لغيرك فيحرم من هذا الخير العظيم وتجد الشياطين السيل الى تقصير يده عن الصدقة وان أنت قبلت منه ذلك فقد أعنته عليهم ويئسوا منه فقد حصل لك بذلك الثواب الجزيل . واذا كان كذلك فيد الآخذ هي العليا والحالة هذه . ثم مع ما تقدم يحصل لأخيك المؤمن من الثواب في الدار الآخرة

فأعجز عن وصفه . يشهد لذلك ما حكى أن شابا جاء الى شيخ هذه الطائفة وأمامها الجنيد رحمه الله تعالى فقال له أنا جائع فهل من يطعمني فقام انسان بمنزله اتساع فقال عندي فأخذ الشاب ومضى معه الى بيته وقدم له طعاما كان الشاب يشبهه فد يده فرفع لقمة وبقي بها في يده لحظة فقال له صاحب المنزل كل فاللقمة اذا أكلتها عندي خير من الدنيا وما فيها فوضع الفقير اللقمة من يده وخرج ولم يأكل عنده شيئا وأتى الى الجنيد فقال مثل مقالته الأولى فقام فقير فقال عندي فذهب معه فقدم له خبزاً وبصلاً فأكل حتى شبع ثم رجع فجاء الأول الى الجنيد فأخبره بما جرى فقال له اجلس فلما أن جاء الشاب سأله الجنيد هل أكلت قال نعم قال له وما أكلت قال خبزاً وبصلاً فقال له وما قدم لك هذا قال له قدم لي طعاماً مفتخراً فقال له ما منعك من أكله فقال له كنت جائعاً فرفعت اللقمة وأنا أتخير أى قصر آخذه في الجنة فينما أنا كذلك واذا هو قد قال اللقمة اذا أكلتها عندي خير من الدنيا وما فيها فاستحييت من الله تعالى أن أكل طعام رجل خسيس الهمة ليس له همة الا في الدنيا فتركته ومضيت وأما هذا فنيته أن لو كانت له الدنيا بحذافيرها فهو يستقبلها تقديماً أو كما قال . فهذه الحكاية تشعرك بأن الآخذ من هذه الطائفة يده هي العليا اذ أنه في حقيقة الأمر يعطى ما يبقى ويأخذ ما يفتنى فتأمل ذلك تجده صواباً وذلك محمول على أنه مستور بلسان العلم وأما لسان الورع فهو أمر آخر وهو متعذر في هذا الزمان غالباً فمن وقع له الحال على ذلك فالأولى له أنه لا يخاطب الناس ويقيم في البراري والقفار أو يكون خرق الله تعالى له العادة فلا يتكلم عليها . وأما القسم الثالث وهو الذى يسر ولا يضرب فهو الفتوح الذى يأتي على يد بعض الاخوان المعتقدين الذى يعرف سبيلهم وهم من أهل اليسار فان أخذت منهم دخل عليهم السرور بذلك ولا يتضررون به . فهذا أحسن الأقسام كلها وأسلمها من الآفات المتوقعة

وأما القسم الرابع وهو الذى يضر ولا يسر فهو ما كان من بعض الناس وهو متصف بوصفين أحدهما أن يكون محتاجا لما يعطيه والثاني عدم اعتقاد الدافع للدفع له فإن أنت قبلت منه ما أتاك به تضرر بذلك لحاجته اليه ولا تدخل عليه سرورا لعدم اعتقاده لك . وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله التزم فى نفسه طريقة غريبة قل من يقدر عليها من أصحابه وغيرهم إلا من وفقه الله تعالى وقليل ما هم . وذلك أنه كان لا يقبل صدقة واجبة كانت أو تطوعا ولا يقبل شئاً من أرباب الخدم وإن كان معتقداً وإن قلت خدمته وإن تحرز ما أمكنه ومن أهدى له من الإخوان المعتقدين فيختلف حاله فى ذلك فبعضهم يرد عليه ما أتى به وبعضهم يقبل منه ثم يعرض له عن ذلك بلطف وسياسة وما أتاه من جهة الإخوان المتسيبين المعتقدين نظر الى اكتسابهم فإن كان مستورا بلسان العلم نظر فى حال صاحبه هل يدخل عليه سرور بالأخذ منه أم لا فإن ظهر له منه أنه سواء عنده أخذ منه أو رد عليه لم يأخذ منه شيئاً وإن ظهر له أنه يتكسر خاطره عند الرد عليه وينجبر خاطره ويدخل عليه السرور حين الأخذ منه أخذ منه فمن اتصف بهذه الصفة فهو الذى يقبل منه . وهذه طريقة غريبة عزيزة لا يقدر عليها إلا من كان مثله أو يقاربه لا جرم أنه كان هو وأهله ومن يلذبه من شطف العيش بحيث انتهى فلقد كان يأخذ بفلس ليونا فيأتم به غدوة وعشية هو وأهله وقد بقى أهله فى بعض الأيام لاشئ عندهم يتقوتون به فأخذ ثوبا ودخل به الى البلد ليبيعه فلم يدفع أحد فيه شيئاً لأنه كان من زى المغاربة فرده وجاء الى المسجد ولم يدخل البيت خشية من الأولاد أن يتقطع رجاؤهم من القوت اذ ذاك فيزيد قلقهم فجلس فى المسجد حتى صلى العشاء الأخيرة رجاء أن يكون الأولاد قد ناموا فلما أن دخل عليهم وجدهم وهم مسرورون يكثر من شرب الماء فسألهم عن ذلك فقالوا كأن كل واحدنا أكل خروفا وهم فى الشبع بحيث لا يحتاجون

الى زيادة على ما هم فيه وبقي أمرهم كذلك مدة حتى فرج الله عنهم . وأنواع هذا كثيرة وهو باب لا يقدر عليه الا الأفراد من الأولياء لأنه وان صبر في نفسه فالأهل والأولاد لا يصبرون في الغالب فان وجد ذلك فهو من باب الكرامات ولاجل هذا المعنى قال سيدى أبو مدين رحمه الله العارف من أخذ نفسه بالورع وأطلق غيره في ميدان العلم وما تقدم وصفه فهو من هذا القسم نفعنا الله بهم وورزقنا التصديق بأحوالهم اذ لم تكن أهلا للاقتداء بهم . اللهم لاتحرمنا من بركاتهم بمنك بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

(فصل) في ذكر ما ابتلى به بعض من ينسب الى طريق القوم وغيرهم ممن تعلقت خواطرهم بفعل الكيمياء واستخراج ما في الأرض من الاموال المدفونة فيها وهي التي اصطالحوا على تسميتها بالمطالب . ويحذر مما يفعله بعض الناس في هذا الزمان من تعانيم استخراج ما في الأرض مما تقدم ذكره وهذا قبيح لوفعله بعض العوام فهو في حق المرید أقبح وأشنع اذ أنه خاف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بكلية لا مطلب له سواها وتعلق خاطره بما تقدم ذكره يشهد بكذبه في طريقه من دعواه الانقطاع الى الله تعالى . والتوجه اليه مع أن من تعلق خاطره بهذا فالغالب عليه فيما يظهر الفقر المدقع والديون الكثيرة ومخالطة من لا يرضى حاله في دينه ودنياه وذلك سبب كبير الى وقوع الناس في عرض من اتصف بذلك بسبب تعاطيه ما يوقع الناس فيه فيكون شريكهم في اثم وقيعتهم فيه وقد يؤول أمر فاعل ذلك الى الحبس والاهانة وغير ذلك مما هو معلوم من العوائد الجارية في ذلك كله ولولم يكن فيه من الدم إلا أن من تعلق خاطره بذلك فهو متصف بحب الدنيا ومن أحب الدنيا فهو قال للآخرة اذ أنهما ضرطان متافرتان فهما أقبل الانسان على احدهما بأضر بالأخرى ولو لم يكن فيه من الدم إلا ماورد (من أحب الدنيا ينادى عليه

يوم القيامة هذا أحب ما أبغض الله) وقد تقدم فعل السلف رضى الله عنهم في هربهم من الدنيا خيفة منهم على أنفسهم منها ومن طلب شيئاً مما تقدم ذكره فهو مستشرف لطلبها وذلك مذموم يذهب بجميع خاطره واشتغاله عن أمر دينه ودنياه بل كانوا يعدون الدنيا اذا أقبلت عليهم عقوبة نزلت بهم وقد مضت حكاية أبى الدرداء رضى الله عنه فيما جرى له في العطاء الذى أتاه وعلى هذا درج فعل السلف والخلف رضى الله عنهم. وقد حكى في الاسرائيليات أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر في سياحته ومعه الحواريون بموضع فيه ذهب كثير فنظر عيسى عليه الصلاة والسلام اليه وقال لمن معه من الحواريين انظروا الى هذا القاتول ومر في سياحته فتخلف ثلاثة منهم وقالوا الى أين هذا المقصود أو كما قالوا فقسموا ذلك أثلاثاً فجلس اثنان يحرسان ذلك وأرسلا ثالثهما الى البلد ليسأق بالدواب والأعدال وما يأكونه فلما أن مضى لذلك تحدث الاثنان فيما بينهما فقالا لو كان هذا المال بيننا لكان أولى ثم قالوا وكيف الحيلة فاتفقا على أنه اذا جاء يقومان اليه ويقتلانه ويبقى المال بينهما نصفين وقال الثالث الذى ذهب الى قضاء الحاجة مثل قولهما فقال لو كان ذلك المال كله لى لكان أولى ثم قال وكيف الحيلة فخطر له أن يعمل سماً في الغذاء الذى يأتي به فيأكلانه فيموتا فيأخذ المال كله لنفسه ففعل فلما أن أقبل على صاحبيه وثبا اليه فقتلاه ثم أكل ما أتى به من الغذاء فماتا فبقى الثلاثة هناك مطروحين فلما أن رجع عيسى عليه الصلاة والسلام من سياحته ومر بهم فوجدهم هناك طرعى فقال للحواريين ألم أقل لكم هذا القاتول وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام (ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه) ولا شك أن من اتصف بما تقدم ذكره يربو على المستشرف فيرتفع البركة

منه فطلب المريد وغيره لهذه الاشياء على تقدير حصولها يذهب البركة منها والمقصود حصول البركة وانها اذا عدت من الشيء لو كان ملء الارض ما أغنى صاحبه لعدمها منه . وقد حكى الامام الجليل الحافظ أبو نعيم الاصفهاني رحمه الله في كتاب الحلية له في ترجمة طاوس بن كيسان رحمه الله باسناده الى ابن طاوس عن أبيه قال كان رجل له أربع بنين فرض فقال أحدهم اما أن تمرضوه وليس لكم في ميراثه شيء واما أن أمرضه وليس لي في ميراثه شيء قالوا مرضه وليس لك في ميراثه شيء قال فرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئاً قال فأتى في النوم فقيل له انت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار فقال في نومه أفيها بركة قالوا لا فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت امرأته خذها فان من بركتها أن نكتسب بها ونعيش منها فأتى فلما أمسى أتى في النوم فقيل له انت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال أفيها بركة قالوا لا فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل مقالتي الأولى فأتى أن يأخذها فأتى في الليلة الثالثة فقيل له انت مكان كذا وكذا فخذ منه ديناراً قال أفيها بركة قالوا نعم فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به الى السوق فاذا هو برجل يحمل حوتين فقال بكم هما قال بدينار قال فأخذهما منه بدينار ثم انطلق بهما الى بيته فلما دخل بيته شق بطنهما فوجد في بطن كل واحدة منهما درة لم ير الناس مثلاً قال فبعث الملك يطلب درة ليشتريها فلم توجد الا عنده فباعها بقر ثلاثين بغلاً ذهباً فلما رآها الملك قال ما تصلح هذه الا بأختها فاطلبوا أختها وإن أضعفتم قال فجاءوه فقالوا أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك قال وتفعلون قالوا نعم قال فأعطاهم اياها بضعف ما أخذوا به الأولى والله سبحانه وتعالى أعلم . فانظر رحمنا الله وإياك الى هذه البركة ما أعظمها أين هذا من المائة دينار التي عرضت عليه أولاً . فالحاصل من هذا أن البركة كامنة في امتثال السنة حيث كانت لأن

من فعل مثل هذا فالاستشراف منه بعيد واذا عدم الاستشراف حلت البركة ولا جل هذا المعنى تجد كثيرا من أهل هذا الشأن الغالب عليهم شطف العيش وقلة ذات اليد ثم انهم مع ذلك لا يسبقهم غيرهم في أمر الآخرة وما ذاك الا لوجود البركة الحاصلة معهم فيما يتناولونه من أمر الدنيا لعدم استشرافهم لدنياهم واهتمامهم بأمر دينهم والوقوف يباب ربهم والتضرع اليه ولزوم الامثال لأوامره والاجتناب لنواهيه والنزول بساحة كرمه . وقد سمعت سيدي أبا عبد الله الفاسي رحمه الله يقول انه كان بمدينة فاس وكان يصحب بعض الفقراء فرآه مرة وهو يبكي ويتضرع ويسأل الله تعالى أن يرفع عنه ما نزل به فسأله عن موجب ذلك فأبى عن اجابته فبقي كذلك أياما ثم سرى عنه فرجع الى حاله الاول قال فسأله عن موجب بكاؤه وسروره فقال اني كنت أجمع بين الماء والأحجار في الاستنجاء فابتليت بأني اذا أخذت حجرا أستجمر به أجده ذهباً فأرميه وأخذ غيره فأجده كذلك ثم كذلك فضاق ذرعي من ذلك لما نزل بي فبقيت أتضرع الله تعالى في دفعه حتى أزاله عني فصرت أخذ الحجر فأجده حجرا كما هو . وقد حكى لي رحمه الله أيضا عن نفسه أنه كان بمدينة فاس قال فكنت أخرج من البلد فأرى عند السور صندوقا مفتوحا مملوا ذهباً قال فكنت أولى وجهي عنه فلما أن كان في بعض الأيام التفت اليه واذا بيد من الهواء لظمت وجهي فردته الى الناحية الأخرى فقتبت الى الله تعالى أن لا ألتفت اليه بعد . وقد حكى عن بعضهم أنه كان لا يبيت على معلوم حتى يخرج منه وهو مع ذلك يرى في المنام كل ليلة ثلاثا يقول له انك لبخيل ويكرر ذلك عليه مرارا فلما أن كان ليلة وقيل له ما قيل آلى على نفسه أنه اذا فتح له من الغد بشيء يعطيه أول من يلقاه كان ما كان فلما أن كان من الغد فتح له بخمسمائة دينار فأول من لقيه من الغد شاب وهو عند مزين بخلق له رأسه فأعطاه الصرة فقال له الشاب لا حاجة لي بها عندى قوت يومى فقال له

اعطها في أجرة المزين فقال له المزين قد دخات على هذا العمل لله تعالى فلا
أخذ عنه عوضا فقال له خذها لك دون أجرة فقال له لا حاجة لي بها فقال له هي
خمسمائة دينار فقال له المزين أما قد قيل لك انك لبخيل فوجد في نفسه وجدا
شديداً وأخذ الصرة فرمى بها في الفرات . فاذا قيل لمثل هذا بخيل فما بالك بمن
ينسب الى الطريق ويطلب المطالب ثم يزعم أنه على الطريق المستقيم هيهات
هيهات ليس الأمر لآرائنا ولا لما اصطالحنا عليه من عوائدنا ولا لما يخطر
من الهواجس في أنفسنا بل المشي على الطريق المستقيم الذي وقع من السلف
الماضين وقد مضى ذكر بعض أحوالهم . وليس لقائل أن يقول ان ما ذكرتموه
لا يليق بهذا الزمان لغلبة البخل فيه وقلة البركات بخلاف زمان السلف الماضين
اذ أن الزمانين سواء بالنسبة الى الانقطاع الى الله تعالى والنزول بساحة كرمه مع
أن ما تقدم ذكره عن الشيخ أبي عبد الله الفاسي في هذا الزمان وقع مثله كثيرا
من غيره . وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام (ان هذا المال خضرة حلوة
فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له
فيه) ولا شك أن من اتصف بما تقدم ذكره أعظم من المستشرف
فترفع البركة عنه من باب أولى . ثم انظر رحمنا الله وإياك الى مخالفة السنة
ما أكثر قبحها وبشاعتها . ألا ترى الى ما وقع بسبب ما تقدم ذكره فقد جر ذلك
الى تسليط بعض الناس على هدم كثير من بيوت المسلمين ومساجدهم بسبب
حفرهم على ذلك فمن كانت له شوكة فعله جهارا سواء كانت مسجدا أو غيره
من أملاك المسلمين ومن لم تكن له شوكة عمل الخيل الكثيرة على ذلك حتى
تخرب وتهدم وهذا ضرر عظيم حتى صار بعض أهل الأديان الباطلة اذا أراد
أن يخرب مسجدا أو دار مسلم بينه وبينه عداوة كتب في ورقة أن موضع
كذا فيه كذا وكذا ويكتب تاريخها قديما ويخبرها حتى تبقى كأنها ورقة

عتيقة ثم يعلقها في موضع من يعلم أنه يفعل ذلك بسبب قدرته عليه اما ياءه
الباطشة أو كثرة التحيل فكان ذلك سببا لتخريب مساجد المسلمين ودورهم
يدلك على ذلك أن أكثر اليهود والنصارى قل أن تحفر لهم دار أو كنيسة أو بيعة
والكل في بلد واحد وموضع واحد . ثم ان بعض أهل الأديان اذا عجزوا عن
تخريب المساجد والدور تسلطوا على تعب المسلمين في أبدانهم وخسارتهم في
أموالهم فيكتبون أوراقا في ذروة الجبل الفلاني من الناحية الفلانية منه كذا
وكذا اذا حفرت فيه كذا وكذا وقست كذا وكذا تجد فيه كذا وكذا وفي
ورقة أخرى الغار الفلاني في جهة كذا وكذا منه تحفر قدر كذا وكذا فتجد
كذا وكذا الى غير ذلك وهو كثير وكل هذا باطل . ثم على تقدير أن يكون
شيء من ذلك صحيحا فعليه المهالك الكثيرة لأن من فعل ذلك انما هو من الأمم
الماضية فلم يضعوا شيئا الا وقد أحاط به مهالك عظيمة فقل أن يصل أحد الى
ذلك الا بعطبه وعطب غيره . ثم ان ما يوجد من ذلك في الأرض فلا يخلو اما أن
يكون في فيافي الأرض من أرض العرب فذلك فيه الخس يصر في وجوهه
وباقه لو اجده سواء كان ذلك ذهباً أو فضة أو لؤلؤا أو نحاسا أو حديدا أو رصاصا
كل ذلك سواء فيه الخس . والذي يؤخذ منه الخس ثلاثة هذا واحد منها . والثاني
الندرة توجد في المعدن بغير مؤنة أو بمؤنة يسيرة والثالث الغنمة . وأما ما يوجد
في غير أرض العرب فلا يخلو ذلك من وجهين أحدهما أن يكون ذلك الموضع
أخذ غنوة والثاني أن يكون أخذ صلحا فان كان غنوة فهو لتلك الجيوش الذين
فتحوا ذلك الموضع ثم لا ولادهم ثم لا ولاد أولادهم وذلك موجود في الغالب
اذن أولاد الصحابة موجودون بين أظهرنا في هذا الزمان وان كانت صلحا
فما يوجد في ذلك الموضع فهو لأهل الصلح فان عدموا فلا ولادهم ثم لا ولاد
أولادهم وهم أيضا موجودون وهم جرا . وللبسلة فروع موجودة في كتب

الفقهاء . فالحاصل من هذا أن واجده ليس له شيء الا التعب واشغال ذمته بشيء كانت عنه في غنى وقد يكون ذلك سبب هلاكه واذا كان ذلك كذلك فالعاقل اللبيب يتعين عليه الفرار من هذا وماشاكلة اذ أن غنيمة المسلم انما هي براءة ذمته ومن اشتغلت ذمته قل أن يتخلص فالسعيد من لجأ الى الله تعالى في اعاقته على ذلك فانه الكريم المنان اللطيف الرحمن .

(فصل) وأما الاشتغال بتحصيل علم الكيمياء فهو من الباطل البين والغش المتعدي ضرره لأهل زمانه ومن بعدهم وذلك أن من فعلها فقد خطط على الناس أموالهم ونجسها عليهم اذ أنهم مختلفون في فعلها . فمنهم من يعملها ولا علم عنده أنها تتغير بعد زمان وذلك الزمان يختلف بحسب القلة والكثرة . وكثير منهم من يعلم أنها تتغير ويغش الناس بها فيشغلون ذمتهم بأموالهم وكل ذلك حرام سحت . ومنهم من يزعم أنها لا تتغير وهو بعيد ولو قدرنا عدم تغيرها فذلك لا يجوز أيضا لأن الذهب المعدني والفضة المعدنية ينفعان لأمراض ولها خاصية في الأدوية وغيرهما يعود بالضرر على المريض فيزيد به مرضا أو يموت بسببه لأنه لا بد أن يكون في غير المعدني عقاقير قد يسقم بعضها وقد يقتل بعضها فعلى هذا فكل من تعاطى شيئا من ذلك فقد شغل ذمته بأموال الناس ودمائهم . وقد سمعت سيدي أباحمد رحمه الله يقول ان صرفها لا يجوز حتى يبين أنها من عمل يده وليست بمعدنية وهذا الذي قاله رحمه الله من اجازة ذلك بعد البيان لا يسوغ في هذا الزمان بسبب أنه ان يبين هو فمن صارت اليه فالغالب أنه لا يبين والاحتراس من هذا متعذر . هذا وجه ووجه ثان وهو أنه ان يبين أنها من صنعة يده تمزق عرضه والغالب أنه يؤول الى سفك دمه واذا كان كذلك فلا يعدل بالسلامة شيء . فاذا سلم من الاتصاف بطلب المطالب والكيمياء فليحذر من خاطئة من يتعانى ذلك أو يشار اليه

بشيء ما فإن ذلك سبب لاستشراف نفسه بسبب سماعه منهم ما يخوضون فيه وذلك يذهب بهاء عزة الفقر وعزة الاياس اذ لا بد لمن خالطهم أن يشغف بشيء مامن حالهم ولوقل وذلك شغل للقلب عما هو فيه من التوجه والاقبال على المولى الكريم فيتعين على من تعلق بالارادة المهرب الكلى من يشار اليه بشيء من ذلك لأن حال المريد نظيف جداً والنظيف أقل شيء يقابله من الوسخ يؤثر فيه. ألا ترى أن الثوب المصبوغ في الغالب لا يؤثر فيه ما وقع فيه بخلاف الثوب الرفيع الأبيض النظيف فإن أقل شيء من ذلك يبدسه. ولهذا المعنى يقال في صفتهم قلت ذنوبهم لمعرفتهم من أين أصيبوا وكثرت ذنوب غيرهم فلم يعرفوا من أين أصيبوا والكيمياء على الحقيقة انما هي الرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والنزول بساحة كرمه وطلب العبد منه ما يحتاج اليه من ضروراته لأنه عز وجل كما ورد في الحديث يستحي أن يرد يدي سائله صفراً. وقد قال عروة بن الزبير رضي الله عنه اني لأدعو الله في صلاتي لحوائج كلها حتى الملح لعبيتي وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى سنني حتى الملح لعبيتك فوعزني وجلالي لئن منعتك فلا أحد يعطيك اباه أو كما قال وقد روى الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم (قال ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسعه اذا انتقطع). فبديل العبد طلب حوائجه من ربه عز وجل فإن جاع يقول يارب أنا جائع وكذلك ان عطش أو تعرى الى غير ذلك من حوائجه كلها في جلب النفع ودفع الضرر. قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز (ومن ينجب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض) وقال تعالى (ومن أصدق من الله حديثاً) وقال (ومن أصدق من الله قبيلاً). فالعاقل اللبيب من شمر عن ساعديه وتوكل في الحقيقة على ربه وأناب اليه. فاذا حصل للمريد هذا الحال فلو عرضت عليه الدنيا بمخافيرها

ماقبلها ولا أقبل عليها لما حصل عنده من الاستغناء بربه عز وجل وحسن نظره له إذ أن مفاتيح هداياه لا تنحصر ولا ترجع الى قانون معلوم لأنه عز وجل لا يأخذه حصر ولا يقال في حقه أين ولا كيف فكذلك ماستره سبحانه وتعالى عن عبده من عطاياه الجمة وهداياه التي لا حصر لها . وقد حكى عن بعضهم أنه أصابه ضرورة وجوع شديد فتضرع الى الله سبحانه وتعالى في خلوته وطلب منه العطاء . فسمع هاتفا وهو يقول أتريد طعاما أو فضة فقال بل فضة وإذا بصرة بين يديه فيها أربعمائة درهم . وقد حكى عن بعضهم أنه كان إذا طلب منه شيء أدخل يده في جيبه وأخرج ما طلب منه وكان أصحابه ينظرون الى جيبه ويقطعون بأنه لا شيء فيه ثم انه مع ذلك إذا طلب منه شيء في الحال أدخل يده في جيبه فأخرج منه ما طلب منه فستل عن ذلك فأخبر أن الخضر يأتيه بكل ما يطلب منه . وقد سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يحكى أنه كان يصحبه رجل من أهل الخير والصلاح يعرف بأبى عبد الله بن الطفيل وكان صاحب عائلة وفقير وكان الناس في سنة شديدة وغلاء فجاء ليلة بعد أن صلى العشاء الآخرة في جماعة الى بيته فوجد أولاده يكون فقال لأهمهم مم يكون فقالت من الجوع قال فتركهم على تلك الحالة وطلعت على سطح البيت ومرغت خدى على الأرض وقلت يارب هؤلاء يكون الى وأنا أبكى اليك اعطنا شيئاً نأكله قال فإذا سحابة قد طلعت فجاءت فعمت الدار فأمرت فولا على الدار وحدهما قال فنزلت الى الأولاد وأخبرتهم فطلعوا فأكلوا حتى شبعوا ثم بقى عندهم يأكلون منه الى أن دخل القمح الجديد . وقد تقدمت حكاية سيدى الشيخ أبى محمد رحمه الله في أنه بقى في وقت لا يحتاج الى أكل ولا شرب قال ولوبقيت كذلك لم احتج الى شيء طول حياتي لكن رجعت الى الأكل من طريق الامثال للسنه لا غير . فمن رجع الى الله تعالى فطرق الفتح له متعددة في كل زمان وأوان

ولاحجة لمن يقول ان هذا زمان وذاك زمان. لأن المعطى فيهما واحد لا يتغير ولا يزول. والعجب ممن يتوكل على الله في نجاته من النار وجوازه على الصراط وشربه من الخوض ودخوله الجنة الى غير ذلك ولا يتوكل عليه في كسيرات يقيم بها صلبه وفي ثوب يستر به عورته. ولاجل هذا المعنى كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول لو كان الايمان بسوق يباع فيه لما ساوى ايمان أحدكم كسيرة فيسأل عن ذلك فيقول كل واحد منا يتوكل على الله تعالى أن ينجيه من جميع أهوال يوم القيامة بسبب ايمانه ويقول فضل الله أعظم ورحمته أوسع ثم ان الايمان الذى أعده لنجاته من تلك الأهوال ماخلصه للتوكل على الله تعالى في كسيرات يقيم بها صلبه ويقول لا بد من السبب فلو انقطع عنه السبب أيس وضجر وشكا وبكى. فاذا لم يخلص ايمانه في هذا النزر اليسير فكيف يخلصه بما بين يديه من الأهوال ففضل الله أعظم ورحمته أوسع في هذا النزر اليسير من باب أولى وأوجب لقوله عليه الصلاة والسلام (لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب) لكن المولى سبحانه وتعالى يتلى خلقه لينظر كيف يعملون ليقع الجزاء فاقا كما قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فالسعيد من كان فرحاً مسروراً بربه وبحكمه وبارادته ماقبلاً لأحوال نفسه ورأيه وتدييره اللهم لاتحرمنا ذلك بمنك انك على كل شىء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فصل فى دخول المريد الخلوة

وينبغى للمريد أن لا يدخل الخلوة بنفسه لأن الخطر فى ذلك عظيم لما يخشى عليه من القواطع الرديئة مثل ما تقدم ذكره من حصول عريضة أو جنون أو فعل نشاف أو غير ذلك من المهالك لأن الخطر فيها كثير متدد. وقد قال نعمان

عليه السلام في وصيته لولده يابني عليك بذوى التجارب لأن من جرب قد دخل في المخاضة وعرفها وعرف موضع السلامة فيها وموضع العطب فعلم ما يتجنب منها وما يحذر وما ينبغي أن يفعل وما يستعان به

(فصل) وأكد داعليه في خلوته التعلق بربه والسكون اليه وانقطاع رجائه ممن هو مخلوق مثله. ومن كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني رحمه الله ولقد قال شقيق البلخي رحمه الله من أراد أن يعرف معرفته بالله فلي نظر الى ما وعده الله ووعدته الناس بأيهما قلبه أو وثق وقال اتق الأغنياء فانك متى عقدت قلبك معهم وطمعت فيهم فقد اتخذتهم ربا من دون الله. وقال اذا أردت أن تكون في راحة فكل ما أصبت والبس ما وجدت وارض بما قضى الله عليك. وقال من دار حول الشهوات فانه يدور بدرجاته في الجنة ليأكلها في الدنيا. وقال يحيى بن معاذ الرازي العبادة حرفة وحوادثها الخلوة ورأس مالها الاجتهاد بالسنة وريحها الجنة. وقال الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص. وقال اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين. وقال الزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة والجوع. وقال على قدر حبك الله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يخافك الخلق وعلى قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق وقال أبو حفص عمر النيسابوري لو أن رجلا ارتكب كل خطيئة ما خلا الشرك بالله وخرج من الدنيا سليم القلب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غفرله قيل يا أبا حفص هل لهذا في القرآن من دليل قال بلى قوله تعالى - قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - فاتباعه محبة أصحابه لأجله وقال أبو القاسم الحكيم السمرقندي كم من مستدرج بالاجسان اليه وكم من مغتر بالثناء عليه وكم من مفتون بالستر عليه. وقال أبو تراب النخشي رحمه الله الفقير قوته

ما وجد ولباسه ماستر ومسكنه حيث نزل . وقال حقيقة الغنى أن تستغنى عن
هو مثلك . وقال الذى منع الصادقين الشكوى الى غير الله الخوف من الله
وكتب أبو الأيضا كتابا الى بعض اخوانه سلام عليك ورحمة الله وبركاته
وانى أحمد الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانك لم تكلف من الدنيا الانفسا واحدة
فان أنت أصلحتها لم يضرك فساد غيرها وان أنت أفسدتها لم ينفعك صلاح غيرها
واعلم أنك لن تسلم من الدنيا حتى لا تبالي من أكلها من أحر وأسود . قال شقيق
ابن آدم البلخي رحمه الله تعرف تقوى الرجل فى ثلاثة أشياء فى أخذه ومنعه
وكلامه . وقال دخل الفساد فى الخلق من ستة أشياء أولها ضعف النية فى عمل
الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة بشهواتهم والثالث غلبة طول الأمل على
قرب أجلهم والرابع اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وراء ظهورهم والخامس آثروا رضى المخلوقين فيما يشتهون على رضى خالقهم فيما
يكرهون والسادس جعلوا أدلالت السلف دينا ومناقب لأنفسهم . وقال حاتم
الاصم الزم خدمة مولاك تأتلك الدنيا راغمة والجنة راغبة . وينبغى أن يكون
دخول المرید الخلوة على يد شيخ متمكن فى العلين علم الحال وعلم السنة ان أمكنه
ذلك ولا يدخل بنفسه كما تقدم . واذا كان ذلك كذلك فالشيخ لا يخلو حاله من
أحد أمرين - اما أن يكون عنده من المكاشفات وخرق العادات ما يمد به المرید
فى خلوته فان كان كذلك فهو الكبريت الاحمر الذى لا يفوقه غيره والسلامة
بل النعمة موجودة على يده متيسرة لأنه يعرف مزاج المرید وقدر ما يحمل
من المجاهدات وقدر ما يشق عليه منها وقدر ما يخاف عليه ومن سعادة المرید
ان وجد من هذه صفته . واما أن يكون الشيخ ليس من أهل المكاشفات
ولا ظهور خرق العادات فلا بد أن يكون عنده العلم حاصلًا بالتجربة لأنه قد جرب
ذلك واطلع على المفاسد والمصالح وما يليق بالمرید فى خلوته وما يقع له من جهة

العادات . والحذر الحذر أن يدخل بنفسه خيفة من مواضع العطب . وأعني بدخول الخلوة هنا ما يستعمله المريد من المجاهدات وأما لو خلا بنفسه دون مجاهدة فلا يحتاج هذا إلى شيخ يسلكه بل لسان العلم قائم عليه مطلوب به في الخلاء والملا . لا فرق اذذاك في حقه مع أنه اذا اتبع لسان العلم في هذا الزمان في خلوته وجلوته فهو ولي وقته لأجل حال الزمان فما أسعده ان قدر على ذلك وهذه الطريقة هي طريقة السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين أعني ترك دخول الخلوة على نظام معلوم . ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يربي أصحابه تحت ظلال السيوف وفي الأسواق يحترفون وفي الحوائط يعملون . وإنما حدثت الخلوات على يد المربين بعد انقراضهم رضى الله عنهم . وكان سيدى أبو محمد بن أبي جمره وسيدى أبو محمد المرحاني رحمهما الله يقولان إنما جعلت الخلوة للبنات الأبيكار . وإنما جعلت للمريدين لما أن كثرت الفتن والمخالفات فاحتاج المريدون اذذاك إلى الفرار لأجل صلاح دينهم وقلوبهم وخواطرم وليس لهم السبيل إلى ذلك الا بدخول الخلوات والقلوات . والمقصود أن لا يدخل الخلوة المعهودة عند السالكين الا بعد المعرفة بمصالحها ومفاسدها والدسائس التي تطرأ عليه فيها فان كان على يد شيخ فيشترط في الشيخ أن يكون عارفا بحال المريد وما يتقلب فيه من الأطوار وما يليق بحاله كما تقدم لأن الشيخ له مراتب عديدة وكذلك المريد مثله . وألخص من ذلك ما سمعت سيدى أبا محمد يقوله نظر الأدنى بعين الأدنى يوجب الهلاك ونظر الأعلى بعين الأدنى يوجب الخيرة ونظر الأعلى بعين الأعلى هو السمو والرفعة ونظر الأعلى للأدنى بعين الأعلى يوجب التعبد له ولاتباعه ونظر الأعلى للأدنى من جنسه يوجب الراحة له ولاتباعه . أما قوله نظر الأدنى بعين الأدنى يوجب الهلاك . فمثاله النظر إلى الدنيا وزينتها بعين التني والاشتناء فذلك يوجب الحرص والحسد والتقاطع والتدابير وهو عين

الهلاك. قال الله تعالى ﴿ولا تمدن عينيك الى ما متعناه أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ وكذلك أيضا النظر الى أهل المعاصي لأنك اذا نظرت اليهم فان كنت على معصية فبالنظر لمن يفعل ما هو أكبر منها يهون عليك ما أنت فيه من المخالفة ويصغر في عينك ذنبك فيكون ذلك سببا الى الزيادة في المعصية وهذا هو عين الهلاك نعوذ بالله من ذلك . وأما قوله ونظر الأعلى بعين الأدنى يوجب الحيرة . فمثاله المبتدئ ينظر الى أهل النهايات فيريد أن يتشبه بهم في تعبدهم وتصرفهم مرة واحدة فانه لا يستطيع ذلك ومن تناهى في ذلك الشأن لم يكن أخذه لذلك مرة واحدة وانما هم يأخذون الشيء اليسير ويقتصرون عليه ثم يزيدون على ذلك قليلا قليلا حتى يحصل لهم من العلم والتعبد أو فرتصيب وتستغرق أوقاتهم في ذلك وهم لم يشعروا به ولم يتعبوا فيه لرفقهم وسياستهم وقد قال عليه الصلاة والسلام (ما كان الرفق في شيء الا زانه وما كان الخرق في شيء الا شانه) وقال عليه الصلاة والسلام (علموا وارفقوا) اللهم الامن ندر من الفضلاء فدخل في ذلك مرة واحدة فذلك محمود وما ندر لا يحكم به . نعم اذا وقع للمرء هذا الحال فلا ينبغي له التشبث بما قد ذكر وانما الكلام فيمن بقى مع نفسه فشأنه ما تقدم عن أحوال من تقدم ذكرهم كيف كان كسبهم ولم اكتسبوه وان لم يفعل ذلك تحير في طريقه وحير من لاذبه . هذا هو عين الحيرة نعوذ بالله من ذلك . وأما قوله ونظر الأعلى بعين الأعلى هو السمو والرفعة . فمثاله الرجل العالم ينظر لمن هو أعلم منه فيعمل على أن يصل الى ما وصل اليه فيجتهد في طلب العلم والرجل الصالح ينظر لمن هو أصلح منه فيجتهد في التعبد ويزيد في عمله على ما تقدم بالرفق والسياسة حتى يلحق بمن نظر اليه . ولهذا المعنى الذي أشار الشيخ اليه قال عليه الصلاة والسلام (خصلتان من كاتافيه كتب عنده الله شاكرا صابرا أن ينظر في الدين : هو أعلى منه فيقتدى به وأن ينظر في الدنيا لمن هو أقل منه

فيحمد الله الذي فضله عليه) هذا هو السمو والرفعة اللهم من علينا بذلك ولا تجعل حفظنا منه الكلام بمحمد وآله . وأما قوله ونظر الأعلى للادنى بعين الأعلى يوجب التعب له ولا تبعاه . فمثاله من كان من أهل الفضل والخير وأقامه الله في مقام من مقامات أهل النهايات إذا جاءه أحد من يريد أن يرجع إلى الله ويتوب يريد من حينه أن يحمله على المقام الذي هو فيه من غير سياسة تقع له قبل ذلك ولا تدريج هذا هو التعب مع نفسه لاشك فيه لانه يريد أن يحمل الناس على طريقه وهم لا يساعدونه على ذلك ومن تبعه في التعب أكثر لانهم يدعون إلى مقام لا طاقة لهم به ولا يقدرون عليه . ولاجل هذا المعنى كان كثير من أهل السبق والخير اقتصر خيرهم على أنفسهم ولم ينتفع بهم من لاذ بهم وبخدمتهم أعنى في الاقتداء وأما البركة فلا بد من حصولها غالباً للحديث الوارد (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) نسأل الله أن لا يحرمتنا من بركاتهم بمنه وأما قوله ونظر الأعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له ولا تبعاه . فمثاله الرجل الصالح المتدبر في طريقه إذا جاءه أحد من يريد التوبة والرجوع أخذه باللطف والرحمة وأقبل عليه وساس حاله برأيه السيد وتديره بالرشد فينظر له من جنسه على لسان العلم ما يصلحه وما هو العون له على ما أراد ثم يريه بعد ذلك شيئاً فشيئاً حتى قد يبلغ في أقل زمان إلى المرتبة العليا بحسن تدبير هذا السيد وسياسة إياه . وصاحب هذا الحال هو أعظم من تقدم وأفضلهم وهو الجارى على السنة لأن الله عز وجل لم ينزل الفروض أولاً مرة واحدة ولا أمر بالقتال أولاً وإنما أمر أولاً بالتوحيد لا غير وأمر نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام بسياسة الناس واللطف بهم فقال تعالى ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ ثم لما أن ظهر المشركون على المؤمنين أمر عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بالخروج من مكة إلى المدينة ولم يأمره بالقتال ثم لما أن كثرت المؤمنون وظهرت الكلمة نزلت الفروض شيئاً

فشيئا فلما أن تقرر لهم الدين وتقوى أهل الاسلام فعند ذلك أمر عز وجل
 بالجهاد باللسان قبل الأمر بالقتال فقال عز وجل ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة
 والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ فلما أن تقوى الأمر أكثر من
 ذلك أمر عز وجل بقتال الأقربين من الكفار فقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا
 قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ فلما أن تقوى الأمر وظهر أمر الله عز وجل
 بالقتال مطلقا فقال عز وجل ﴿ وقاتلوا المشركين كافة ﴾ ثم إن الفروض لم تتم
 الا في حجة الوداع قال تعالى فيها ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ﴾
 فهو سبحانه وتعالى العالم بعباده وبما يصلحهم فلو كان أمرهم ومخاطبتهم أولا
 بالقتال وبجملة الفروض فيه مصلحة ومنفعة لهم لأمر بذلك أولا لا يعلم
 من خلق وهو اللطيف الخبير وصاحب الحال الذي أشار الشيخ رحمه الله اليه
 أخيرا مضى على هذا الأسلوب فانتفع بنفسه واستراح وانتفع الناس به ووجدوا
 الراحة في ذلك على يديه وهذا هو الأصل وعليه العمل . وقد قال عليه الصلاة
 والسلام (خاطبوا الناس على قدر عقولهم) فليس من دخل في التبعيد وتمرن فيه
 وكثرت المجاهدة لديه كن ابتداء الدخول . ولأجل هذا المعنى قال عليه الصلاة
 والسلام في السوداء حين سأله أين الله فقالت في السماء فقال لصاحبها اعتقها فانها
 مؤمنة فقتنع عليه الصلاة والسلام منها بالاقرار بأن الله واحد موجود وذلك ينفي
 ما كانوا يعتقدون من أن الأصنام هي الآلهة في الأرض فالله السماء والله الأرض
 هو الله الواحد الأحد الموجود لأنه سبحانه وتعالى حل في السماء تعالى الله
 عز وجل عن ذلك علوا كبيرا إذ أن السماء مخلوقة له ولا يحل الصانع في صناعته
 ومعاذ بن جبل رضى الله عنه الذي كانت هجرته قديمة وتمكن من العلم ومن فعل
 الخير حين سأله عليه الصلاة والسلام كيف أصبحت فقال معاذ أصبحت مؤمنا
 حقا فقال عليه الصلاة والسلام لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك فلم يكتب

من معاذ باللفظ الأول حتى سأله عن حقيقة إيمانه وقنع من السوداء بما قد ذكرت لأجل ما بينهما من العلم وأنواع التعبد والله الموفق للصواب

(فصل) وينبغي للمريد إذا اجتمع له في زمانه أو بلده مشايخ يرجو بركتهم وهو بعد لم يسكن إلى أحد منهم فينبغي له أن ينظر إلى حاله بعد انفصاله عن كل واحد منهم فمن حصل له بالاجتماع به منهم علم أو إنباه أو رجوع فليشد يده عليه وإن كان غير ذلك فلا حاجة تدعو إلى العودة إذ أن خطاه تبقى لغير فائدة. سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يعيب هذا ويقول لا ينبغي للمريد أن يتردد إلا لموضع تحصل له فيه فائدة أو فوائد ولا يكون مثل بهيمة السانية (١) لا تزال تمشي طول يومها وهي لم تخرج من موضعها ذلك. ولا ينبغي أن يسيء الظن بمن لم يحصل له منه شيء إذ أن ذلك محتمل لوجهين الأول أن يكون المزور من الأكابر والفضلاء لكن أصحابه معلومون معروفون بخيره مقصور عليهم لا يتعداهم فإذا لم يجد المريد زيادة عند زيارته فيعلم أنه ليس له عنده نصيب فترك ذلك به أولى. وقد يكون آخر خيره مقصورا على نفسه لا يتعدى لغيره. ووجه ثالث يفصل فيه بين أن يكون المريد من أهل التمييز لما تقدم ذكره فإن كان كذلك فخكه ماسبق وإن لم يكن في تلك الدرجة فالمواظبة على رؤيتهم واغتنام بركتهم به أولى ما لم يعارضه أمر شرعى من ارتكاب بدعة أو رؤيتها أو شيء من المكروهات أو يحصل له بسبب ذلك بطالة أوقاته عما هو بصده ويكفيه من ذلك زيارتهم في وقت دون وقت كما تقدم في زيارة طالب العلم لهم. وبالجملة فأحوالهم في هذا المعنى لا تنضبط والقليل النادر منهم من يكون خيره عاما لسائر الناس. فالحاصل من هذا أن المريد له اتساع في حسن الظن بهم وفي ارتباطه على شخص واحد يعول عليه في أمره ويحذر

(١) السانية كالمشاية هي الناقة التي يسقى عليها

من تقضى أوقاته لغير فائدة . قال سيدى أبو مدين رحمه الله عمرك نفس واحد
فاحرص أن يكون لك لا عليك . لأن الفكر فيما مضى هو من باب ندب الأطلال
كما تقدم والفكر فيما يأتى ادعاء من النفوس تحصيل الأعمال وهو لا يعرف
ما يبرز من العلم المكنون والتقديرات المغيبات عنا وهى كثيرة

﴿فصل﴾ وينبغى للمريد أن يكون أشد الناس نظرا الى نعم الله تعالى
عليه والى لطفه به واحسانه اليه قال الله عز وجل فى كتابه العزيز ﴿لئن شكرتم
لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد﴾ بيان ذلك أن المريد يصبح عليه
الصباح فينفض الى صلاة الصبح فى وقتها فى جماعة ويذكر ما قدر له ثم يجلس
بعد ذلك فى مجلس علم فيفهم بعضه أو كله ثم يأتى الى من يعتقد أنه يتكلم معه
فى مسائل من الخير ثم يصلى الصلوات الخمس فى جماعة وان فتح له فى شئ من
أوراد الليل أو أوراد الصوم فيخ على بخ فان قيد هذه الأشياء بالشكر زادت
أوتومات وان رأى وهو الغالب أنه فى نفسه لا شئ وأنه لم يفتح عليه شئ
فهذا يخاف عليه لقوله تعالى ﴿ولئن كفرتم ان عذابي لشديد﴾ والكفر عام
ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام فى أمر النساء (انهن أكثر أهل النار
قل بسم يارسول الله قال بكفرن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن
الاحسان) وقد بوب البخارى رحمه الله لهذا المعنى فقال باب كفر دون كفر
وكثير من الناس من يغفل عن هذه النعم فلا يقيد بها بالشكر كما تقدم لأجل أنه
يستقلها فتذهب عنه فليحذر من هذا كله جهده . ولا يظن ظان أن قول من قال
ان الصديقين لا يكونون فى يومهم على ما كان عليه حالهم بالأمس بل يزدادون فى
اليوم الثانى ترقيا . ومن ذلك قول عائشة رضى الله عنها كل يوم لا أتخذ فيه برا أو قالت
لا أزداد فيه علما لا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم . لأن المؤمن اذا جاء اليوم
الثانى فلا بد له فيه من أدا الفرائض وتوابعها وما يتلفا من الأمر والنهى والترغيب

والترهيب والتحذير فيتبع ذلك ويعمل على خلاص مهجته في يومه وذلك ترق لاشك فيه . ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه مالك رحمه الله في موطنه (ان أخوين مات أحدهما قبل صاحبه بأربعين يوماً فأثنى الصحابة على الأول فسأل عليه الصلاة والسلام عن الثاني فقالوا لا بأس به فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم ما بلغت به صلاته انما مثل الصلاة كمثل نهر غمر عذب يباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبقى من درنه شيئاً قالوا لا فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم ما بلغت به صلاته) وقد قال بعض الشيوخ أن الدوام على الحال زيادة فيه فاذا أصبح المرید واملأ ما كلفه فهو زيادة في حقه ثم كذلك الى حين أجله فيحتشد تطوى صحيفه عمله فلا زيادة بعدها فان حصل للمرید زيادة على ما تقدم ذكره فبخ على بخ والا فالطريق حاصل له والحمد لله فليحذر أن يكفر هذه النعم بترك النظر الى من من عليه بها وأحسن اليه فيها

(فصل) و ينبغي للمرید أن يكون عارفاً بالخواطر حسنها وسيئها فاما أن يميز ذلك بنفسه أو يكون على يد شيخ عارف بها اذ أن الخواطر والهواجن والهوائف لا تنحصر أعدادها ولا يمكن حصرها لكثرتها وتشعبها فأشكل عليه أكثر ما يقع منها وتلبس الأمر عليه فان وقف مع ما يقع له من ذلك قل أن يتخلص ويذهب عليه أكثر زمانه بغير عمل لان اللعين اذا لم يقدر على المرید من جهة الترك أتاه من وجوه آخر لا تنحصر فاذا كان مميّزاً للخواطر وغيرها انسدت هذه الثلمة الكبرى . والخواطر أربعة رباني وملكي ونفساني وشيطاني . سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول الرباني أولها وهو مثل لمحة البرق لا يثبت والنفساني يعقبه مثل المصلح مع السابق فما يمر ذاك الا وقد استقر هذا في محله وحدث وسوء وشهى ولأجل هذا المعنى وقع الخلف عند بعض من ينسب الى شيء

من هذا المعنى وماذا الا لسرعة ما تقدم ذكره فيخبرون بأشياء قل أن تقع في الغالب وان وقعت فبالمصادقة لان ذلك من جهة أخبارهم وأما المحققون المميزون للخاطر الاول فقل أن يخبروا بشيء الا ويقع كما أخبروا به لأن ما كان من عند الله فهو واحد لا يختلف قال تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ وهذه الخواطر ليست خاصة بالشيخ والمریدین بل هي موجودة فيهم وفي غيرهم لكن التمييز يختص به من يختص ومع ذلك فمن تحقق بهذه الخواطر فلا بد لها أن يزنها على لسان العلم فما وافق أمضاء والا تركه لان التكليف لا يقع الا من جهة الشرع المنقول وغير ذلك لا يعول عليه الا على سبيل التبع والتأنيس . وأما الخاطر الملکی فهو كل خاطر يأمر بطاعة أو خیرما اذا كان سالما من الوصول الى ما لا ينبغي أو يتوقع معه ترك أو بطلالة وقت فان كان كذلك فليس من الملکی فی شيء . وأما الخاطر الرابع وهو أردؤها وهو الخاطر الشیطانی فهو لا يأمر بخیر أصلا الا أن يكون ذلك الخیر يؤدي الى الشر ويقع الفرق بين الخاطر النفساني والشیطانی بأن الشيطان لا يريد الا الوقوع في المخالفة كيف كانت ومن حيث كانت فان عجز عن هذه المعصية تركها وأتى الى معصية أخرى فهو ينتقل من حال الى حال اذ مقصوده انما هو المخالفة من حيث هي كائنه ما كانت والخاطر النفساني هو الذي يلزم أمرا واحدا لا يفارقه فان أنت زدته عليه ألح به عليك وقال لا بد من وقوعه ويمنيك بالتوبة والاستغفار بعده ويعدك بالغرور وأنت اذا نلت ما ألقته اليك تفعل أنت ما تحب أن توقعه من الطاعات فيحتاج المرید الى التسمير الى معرفة هذه الخواطر حين نزولها به وما يترتب عليه من الأحكام فيها فان لم يكن عارفا بها ولم يكن تحت نظر شيخ يرجع اليه عند اشتباه الأمور عليه فيأخذ معه فيها والا فاستان العلم عله قائم وهو المرجوع اليه عند الاختلاف وهو طريق

السلامة التي لاشك فيها والعطب في غيرها موجود غالبا الا لمن عرف الحكم عليه في ذلك والله الموفق

فصل جامع لبعض آداب السلوك ولبعض الآثار

عن السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين

ومع ما تقدم ذكره فلا بد له من الخلوات اذ أنه بسببها يدرك المكلف ما هو فيه من الخطر ومن النعم ومن تحف المولى سبحانه وتعالى ويتبين له بها أشياء كثيرة مما مضى عليه سلفه . ألا ترى الى بركة هذه الحكم التي ينطقهم الله بها اذ أن ذلك ليس في قوتهم ولا من قدرتهم الا ببركة توجههم واقبال المولى سبحانه وتعالى عليهم وأعظم ما يتوصلون به الى هذا المعنى التزام الخلوات كما تقدم . فانظر رحمتنا الله وإياك الى ما نقله الامام الحافظ اسماعيل ابن محمد بن الفضل الأصفهاني رحمه الله في كتاب سير السلف له عن أبي حازم رحمه الله ونفع به وأعاد علينا من بركاته أنه قال قد رضيت من أحدكم أن يتقى على دينه كما يتقى على دنياه وقال شيثان هما خير الدنيا والآخرة اذا عملت بهما أتكفل لك بالجنة ولا أطول عليك قيل وما هما قال تحمل ما تكره اذا أحبه الله وترك ما تحب اذا كرهه الله . وقال أيضا قاتل هواك أشد ما تقاتل عدوك . وقال رجل له إنك مشدد فقال ما لي لأشدد وقد صدقني أربعة عشر عدوا أما أربعة فشیطان يفتني ومؤمن يحسدني وكافر يقاتلني ومناقب يغضني وأما العشرة فالجوع والعطش والعري والحر والبرد والهزم والمرض والفقر والموت والنار ولا أطيقهن الا بسلاح ولا أجد لمن سلاح أقوى من التقوى . وقيل له ما مالك فقال ثقى بالله وإياسى مما في أيدي الناس وقال ما رأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من شيء تحن عليه وقال ينبغي

للؤمن أن يكون أشد حفظاً للسانه منه لموضع قدميه وقال أفضل خصلة ترجى للؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه وأرجله لكل مسلم . وقال بعضهم إن لم يكن في المبتدى خمس خصال والافلاترجه عقل حسن واتباع السنة وصحة الأكابر ومن أين يأكل وحفظ لسانه وصيائته أو كما قال . ومن كتاب سير السلف أيضاً وقد قال أبو سفيان إذا رأيت العالم لا يتورع في علمه فليس لك أن تأخذ عنه شيئاً . وكان يقول وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تفتح و وضعوا عليها مفاتيح الآخرة فانفتحت . وقال رجل للجنيـد من أصحاب قال من تقدر أن تطلعه على ما يعلـه الله منك وسئل مرة أخرى من أصحاب قال من يقدر أن ينسى ماله ويقضى ماعليه . وقال قدمشى رجال باليقين على الماء ومات على العطش أفضل منهم يقينا . وقال من عرف الله لا يسر الابه . وقال لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان مافاته أكثر مما ناله . وقال من نظر الى ولى من أولياء الله بقلبه وأكرمه أكرمه الله على رؤس الاشهاد . وقال ذوالنون المصرى رحمه الله من علامات المحب لله متابته حبيب الله فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسنته . وقال من نظر الى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لأن النفوس كلها فقيرة عندهيته . وقال رويم رحمه الله لا تزال الصوفية بخير ما تنافروا فإذا اصطالحوا هلكوا . وقال بن حنيف رحمه الله قلت لرويم أوصنى فقال أقل ما فى هذا الأمر بذل الروح فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا والا فلا تشتغل بترهات الصوفية . وقد قيل أن لقمان عليه السلام كان عبداً أسود نوبيا وكان لبنى فلان فقيل له ما بلغ بك ما ترى فقال تقوى الله وطول الصمت وترك ما لا يعينى . ومن كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين للقاضى أبى الوليد الباجى رحمه الله قال وروى عن أبى الدرداء أنه قال لولا ثلاث ما أحبت أن أعيش يوماً الظمأ لله بالهواجر والسجود فى جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون

خيار الكلام كما تنتقي أطايب الثمر . وروى عن بلال بن سعد أنه قال زاهدكم راغب
و مجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر . وقال بعض الحكماء جاهد نفسك
بأصناف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من
المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام
موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الإرادات ومن قلة الكلام السلامة
من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات فليس على العبد شيء أشد من
الحلم عند الجفاء والصبر عند الأذى . وقال عيسى عليه الصلاة والسلام طوبى
لن خزن لسانه ووسع بهيته وبكى على خطيئته . وقال الفريرى اجتمع أصحاب
الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته
ترجف فقال عليهم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث إنما
هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق إنما هذا زمان احفظ
فيه لسانك واحف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر . وقال كعب
الاحبار رحمه الله والذي نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل
دموعى على خدى أحب الى من أن أتصدق بجمل من ذهب . وقال وهب بن
منبه فقد ركبنا ابنه يحيى عليهما الصلاة والسلام فوجده بعد ثلاث مضطجعا
على قبر وهو يبكي فقال له ما هذا يا بنى فقال أخبرتنى أن جبريل أخبرك أن بين
الجنة والنار مفازة لا يطئى حرها الا الدموع فقال ابك يا بنى . وقال عبد الله
ابن عمر رضى الله عنهما لأن أدمع دموع من خشية الله أحب الى من أن أتصدق
بألف دينار . وقال ابراهيم بن آدم ان للذنوب ضعفا فى القوة وظلمة فى القلب
وان للحسنات قوة فى البدن ونورا فى القلب . وقيل لسفيان الثورى رحمه الله
لو دعوت الله عز وجل فقال ترك الذنوب هو الدعاء وأشدوا
خلقت من التراب فصرت حيا وعلمت الفصح من الخطاب

وعدت الى التراب فظلت فيه كأننى ما برحت من التراب
 خلقت من التراب بغير ذنب وأرجع بالذنوب الى التراب
 ولقى حكيم حكيمًا فقال له انى لأحبك فى الله فقال لو علمت منى ما أعلم من
 نفسى لأبغضتني فى الله فقال له الاول لو أعلم منك ما تعلمه من نفسك لكان لى
 فيما أعلمه من نفسى شغل عن بغضك . وكان الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف
 أصبحت قال أصبحت ضعفى مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا وقيل للغيرة
 كيف أصبحت يا أبا محمد فقال أصبحت معترفين بالنعم موقرين بالذنوب يتجيب
 الينا ربنا وهو غنى عنا وتباغض اليه ونحن اليه فقراء . وقد قيل لابراهيم بن
 آدم رحمه الله تعالى من أين عيشك فقال

نرفع دينانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبق ولا مانرقع

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله كيف أصبحت فقال أصبحت طويلًا أملئ قصيرا
 أجلى سيئًا عَمَلِي . كلام الباجي رحمه الله . ومن كتاب سير السلف أيضا وقال بشر
 ابن الحارث رحمه الله سمعت منصورا يقول لما خلق الله آدم قال انى جاعل لبصرك
 طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك أن تنظر اليه فاطبقه وانى جاعل لفيك
 طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك أن تتطرق به فاطبقه وانى جاعل لفرجك
 سترًا فلا تكشفه على ما لا يحل لك . وقد قال بعضهم الاصحاب ثلاثة صاحبك
 وصاحب صاحبك وعدو عدوك والاعداء ثلاثة عدوك وعدو صاحبك وصاحب
 عدوك . ومن كتاب الباجي أيضا رحمه الله وروى عن بعض العلماء أنه قال
 انما يدخل الله الجنة من يرجوها وانما يحجب الله النار من يخشاها وانما يرحم
 الله من يرحم . وقال لقمان لابنه يا بني خف الله خوفا لا تأس فيه من رحمه
 وارجه رجاء لا تأمن فيه من عقابه فقال يا أبتاه وكيف وانما لى قلب واحد
 فقال يا بني ان المؤمن لو شق قلبه لوجد فيه نور رجاء ونور خوف لو وزنا لم يمل

أحدهما بصاحبه . وقال عبد الله بن دينار قال لقمان لابنه يابني كيف يأمن النار من هو واردها وكيف يطمئن الى الدنيا من هو مفارقها وكيف يغفل من لا يغفل عنه يابني لاشك في الموت فانك كما تنام كذلك تموت ولا شك في البعث فانك كما تستيقظ كذلك تبعث يابني ان الانسان لثلاثة فمنه لله ومنه لنفسه ومنه للودود والتراب فأما ما كان لله فروحه وأما ما كان لنفسه فعمله خير أكان أوشرا وأما ما كان للودود والتراب فجسده . وقال سفيان الثوري ما أؤمن أحد على دينه الا سلبه . وقال أبو حنيفة أكثر ما يسلب الناس الايمان عند الموت وقال ابليس لعنه الله اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلبه غيرها اذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وقال ابن القاسم قال مالك بلغني أن عيسى ابن مريم قال له رجل من أصحابه انك تمشي على الماء فقال له عيسى وأنت ان كنت لم تخطي خطيئة مشيت على الماء فقال له الرجل ما أخطأت خطيئة قط فقال له عيسى فامش على الماء فمشي ذاهبا وارجعا حتى اذا كان في بعض البحر واذا هو قد غرق فدعا عيسى ابن مريم ربه فأخرج الرجل فقال له مالك ذهبت ورجعت ثم غرقت اليس زعمت أنك لم تخطي خطيئة قط قال ما أخطأت خطيئة قط الا أني وقع في نفسي أني مثلك . وروى عن عاصم قال أم أبو عبيدة بن الجراح قوما مرة فلما انصرف قال ما زال بي الشيطان آنفا حتى رأيت أن لي فضلا على من خلقي لا أؤم أبدا . وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال ما كانت الدنيا هم رجل قط الا ائرم قلبه أربع خصال فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضى مداه وشغل لا ينفد لأواه وأمل لا ينقطع منتهاه وقال الأصمعي قيل لبعض الصالحين كيف حالك قال حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمته . وقال بعض الحكماء ان كان شيء فوق الحياة فالصحة وان كان شيء فوق الموت فالمرض وان كان شيء يعدل الحياة فالغنى وان كان شيء يعدل الموت فالفقر

اتمى كلام الباجى رحمه الله . و يروى عن على بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد
 فى كل يوم وليلة ألف سجدة وكان يسمى السجادة . وقد أنشد بعضهم
 وغير تقي يأمر الناس بالتقى طيب يداوى الناس وهو عليل
 وقال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله من أراد أن يحبه الله عز وجل
 وأن تدعوله الملائكة ويحشر فى زمرة النبيين ويعظم قدره عند الاولياء فليطع
 الله فيما أمره به ونهاه عنه ويلزم المنهاج الاول . وروى أن الله تعالى أوحى الى نبي
 من الانبياء عليهم الصلاة والسلام هبلى من قلبك الخشوع ومن عينك الدموع
 ثم ادعنى أستجب لك فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان . ومن كتاب
 سير السلف أيضا وقال محمد بن أسلم الطوسى لخدمه يا أبا عبد الله ان معى فى قميصى
 من يشهد على فكيف أكتسب الذنوب انما يعمل الذنوب جاهل ينظر فلا يرى
 أحدا فيقول ليس يرانى أحد أذهب لأذنب أما أنا فكيف يمكننى ذلك وقد
 علمت أن داخل قميصى من يشهد على ثم قال يا أبا عبد الله مالى ولهذا الخلق كنت فى
 صلب أبى وحدى ثم صرت فى بطن أمى وحدى ثم دخلت الدنيا وحدى ثم تقبض
 روحى وحدى وأدخل قبرى وحدى ويأتينى منكر ونكير فيسألانى وحدى
 فان صرت الى خير كنت وحدى وان صرت الى شر كنت وحدى ثم أقف
 بين يدى الله تعالى وحدى فان بعثت الى الجنة بعثت وحدى وان بعثت الى
 النار بعثت وحدى فالى وللناس ثم فكر ساعة ووقعت عليه الرعدة حتى خشى
 أن يسقط ثم رجعت اليه نفسه ثم قال يا أبا عبد الله أصل الاسلام فى هذه الفرائض
 وهذه الفرائض فى حرفين ما قال الله ورسوله افعل ففعله فرضة ينبغى أن يفعل
 وما قال الله ورسوله لا تفعل فتركه فرضة ينبغى أن يتمى عنه
 (فصل) وينبغى للبريد أن يتفقد حاله فى الاجتماع باخوانه ولا يواظب
 على الخلوة ويترك التبرك بهم وبسماع فوائدهم مع التحفظ عليهم وعلى نفسه جهده

قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن السلي رحمه الله في كتاب آداب الصحبة له
الصحبة على وجوه لكل وجه منها آداب ولوازم . فالصحبة مع الله تعالى باتباع
أو امره واجتناب نواهيه ودوام ذكره وتلاوة كتابه ومراقبة الاسرار أن يختلج
فيها مالا يرضاه والرضا بقضائه والصبر على بلائه والرحمة والشفقة على خلقه
وما ينحو نحوه من هذه الاخلاق الشريفة والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم باتباع سنته واجتناب البدع وتعظيم أصحابه وأهل بيته وأزواجه وذريته ومجانبة
مخالفته فيما دق وجل وما يجرى مجراه . والصحبة مع أصحابه وأهل بيته بالترحم
عليهم وتقديم من قدموه وحسن القول فيهم وقبول قولهم في الاحكام والسنن فان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) وقال عليه
الصلاة والسلام (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي) والصحبة
مع أولياء الله تعالى بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون به عن أنفسهم
وعن مشايخهم لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى
(من أهان لي وليا فقد آذنتي بالمحاربة) والصحبة مع السلطان بالطاعة
الا أن يأمر بمعصية أو بمخالفة سنة فاذا أمر بمثل هذا فلا سمع له ولا طاعة
والدعاء له بظاهر الغيب ليصلحه الله ويصلح عن يديه والنصيحة له في
جميع أموره والصلاة والجهاد معه . فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال (الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله
ولأئمة المسلمين وعامتهم) والصحبة مع الوالدین ببرهما بالنفس والمال وخدمتهما
في حياتهما وانجاز وعدهما والدعاء لهما في كل الأوقات ماداما في الحياة وحفظ
عهدهما بعد الممات وانجاز عاداتهما واكرام أصدقائهما فقد روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال (ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه) وعن
أبي أسيد مالك بن ربيعة قال (بيننا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه

رجل من بنى سلة فقال يا رسول الله هل بقي على من برأبوى شيء أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإثبات عهدهما وإكرام صديقتهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما والصحبة مع الأهل والولد بالمداواة وحسن الخلق وسعة الصدر وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنة والأدب وحملهم على الطاعات قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ الآية وقال عليه الصلاة والسلام (رحم الله والدًا أعان ولده على بره بالافضال عليه) والصفح عن عثراتهم والغض عن مساوئهم ما لم تكن أثمًا أو معصية . والصحبة مع الإخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر المحاسن وستر القبائح واستكثار قليل برهم اليك واستصغار ما منك اليهم وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغى والأذى وما يكرهون من جميع الوجوه وترك ما يعتذر منه . والصحبة مع العلماء بملازمة إكرامهم وقبول قولهم والزجوع اليهم في المهمات والنوازل وتعظيم ما عظم الله من محلهم حيث جعلهم خلفاء نبيه عليه الصلاة والسلام ووارثيه فإنه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (العلماء ورثة الأنبياء) والصحبة مع الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث وإظهار السرور والكون عند أمره ونهيه ورؤية فضله واعتقاد المنته له حيث أكرمه بدخول منزله وتناول طعامه وقال بعضهم

من دعانا فأينا فله الفضل علينا

فإذا نحن أتينا رجع الفضل إلينا

فصل في آداب صحة الأعضاء

اعلم أن لكل جراحة من الجوارح آدابًا تختص بها . فأداب البصر أن ينظر إلى أخيه نظر مودة ومحبة يعرفها هو منك ومن حضر المجلس ويكون نظره إلى

محاسنه والى حسن شيء يدومنه وأن لا يصرف عنه بصره في وقت اقباله عليه وكلامه معه . وآداب السمع أن يستمع الى حديثه سماع مشته لما يسمعه متلذذه وكذلك اذا كلمك لا تصرف بصرك عنه ولا تقطع حديثه بسبب من الأسباب فان اضطرك الوقت الى شيء من ذلك استعذرت فيه وأظهرت له عذرك . وآداب اللسان أن تكلم اخوانك بما يحبون فتختار وقت نشاطهم لسماع ماتكلمهم به وتبذل لهم نصيحتك وتدلم على ما فيه صلاحهم وتسقط من كلامك ما تعلم أن أخاك يكرهه من حديث أو لفظ أو غيرهما ولا ترفع عليه صوتك ولا تخاطبه بما لا يفهم عنك وتكلمه بمقدار فهمه . وآداب اليدين أن يكونا مبسوطتين لاختوانه بالبر والمعونة لا يقبضهما عنهم وعن الافضال عليهم . وآداب الرجلين أن يمشي اخوانه فلا يتقدمهم بل يكون تبعاً لهم فان قريوه تقرب اليهم بقدر ما يعلم من رغباتهم ثم يرجع الى موضعه ولا يقعد عن حقوق اخوانه معولا على الثقة بهم لأن الفضيل بن عياض قال ترك حقوق الاخوان مذلة

(فصل) اعلم وفقنا الله واياك أن هذه الآداب المذكورة انما هي آداب الظواهر وهي عنوان على آداب السرائر . ألا ترى الى ما روى في الاثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه رأى رجلاً يعث بلحيته في الصلاة فقال عليه الصلاة والسلام لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه . واذا كان كذلك فمراعاة الباطن أوجب من مراعاة الظاهر لأن الظاهر للخلق والباطن للخالق وما كان للخالق فهو أوجب فلو جمع بينهما فهو الكمال والسعادة لمن اتصف بهما . وصفة اخلاص الباطن التحقق بالتوكل على المولى سبحانه وتعالى والخوف منه والرجاء فيه والاتصاف بالصبر وسلامة الصدر وحسن ظنه بربه وحسن ظنه باخوانه المؤمنين والاهتمام بأمورهم فاذا فعل ما تقدم ذكره قوى الرجاء أن يكون من الموقنين

(فصل) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله الاخوان أربعة أخ كالدواء وأخ كالغذاء وأخ كاللباء وأخ كالدفلى . فالأول معدوم والثاني مفقود . والثالث موجود . والرابع مشهود . أما الأول الذي هو كالدواء فهو مثل المشايخ الذين أهلهم الله تعالى لتربية المريدين وكالصلحاء والعلماء فهم قدوة للمقتدين ومجالستهم تشفى الاسقام ظاهرا وباطنا . وقد كان المريدون قبل هذا الزمان يدخلون الى خلواتهم فان حصل لهم عجز أو كسل خرجوا الى مجلس واحد من هؤلاء الشيوخ فتنتعش قواهم بسماع كلامه ورؤيتهم له ويمدحهم بهمته فيتغذون بذلك ويرجعون الى خلواتهم أنشط مما كانوا أولافهم دواء للخلق أجمعين وأنت ترى تعذر هذا الزمان غالبا من هذه صفة : وأما الذي هو كالغذاء فهو مثل الأخ في الله تعالى المشفق الودود الخنون الذي يؤلمه ما يؤلمك ويسره ما يسرك ويجوع نفسه لجوعك ويتعري لعريك ويكابد ما نزل بك أكثر من مكابدة ما نزل به وأنت ترى فقده في هذا الزمان لكن بين الفقد والعدم فرق وهو أن المعدوم لا يوجد البتة والمفقود قد يوجد في موضع ما . سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول مراتب الاخوان ثلاثة لارابع لها . فالأول أن يكون أخوك عندك مثل أهلك وهو أعلام . والثاني أن يكون مثل أخيك الشقيق وهو أوسطهم . والثالث أن يكون عندك مثل عبدك وهو أقل الاخوان مرتبة فان عجزت عن ذلك فلا أخوة اذذاك أعنى الاخوة الخاصة بالفقراء وأما أخوة الاسلام فهي حاصلة . فأما الأخ الذي يكون عندك مثل أهلك فهو حال المريد مع شيخه اذ أنه ليس للولد مع أبيه حديث في شيء لقوله عليه الصلاة والسلام (أنت ومالك لأبيك) فحال المريد مع شيخه من باب أولى اذ أن المريد ليس له تصرف ولا اختيار في كل ما يحاوله الابرضا شيخه واذنه . وأما الذي عندك كأخيك الشقيق فهو حال المريد مع اخوانه وهو أقل رتبة من الأول

لأن الأخ الشقيق يقاسم أخاه في جميع الأشياء فإن أخذ الأخ دينارا أو درهما أو ثوبا أو غير ذلك أخذ الأخ مثله فكذلك حال المريد مع اخوانه بهذه الصفة أن لبس ثوبا كسا أخاه مثله وإن أكل طعاما أطعم أخاه منه أو مثله إلى غير ذلك . المرتبة الثالثة وهي أقل الدرجات في الأخوة وهي أن يكون عندك مثل عبدك أعني أن العبد يجب عليك أن تقوم بضرورته من غذائه وكسوته وما يحتاج إليه من ضروراته في صلاح دينه ودنياه وكذلك المريد مع أخيه إذا لا يشجع المكلف وعبده جائع ولا يلبس وعبده عريان إلى غير ذلك . وقد خرج البخاري من حديث سعد المعروفي بن سويد قال رأيت أبا ذر الغفاري وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألناه عن ذلك فقال أنا ساءت رجلا فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم أعيرته بأمة ثم قال (إن اخوانكم خولكم يجعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم) فإن تعذرت عليه هذه المرتبة الثالثة فينبغي أو يتعين عليه أن لا يدعى الأخوة لعجزه عن القيام بحقها إذا أنه قد يشبع وأخوه جائع وقد يلبس وأخوه عريان فيوجب على نفسه حقاله لم يكن عليه فتعمر الذمة بالحقوق لغير ضرورة شرعية . وهذا المعنى قد كثر في هذا الزمان فإذا أحسنوا الظن بأحد من الفقراء طلبوا منه الأخوة فإن أجابهم لما طلبوه وجبت عليهم حقوق كثيرة ثم انهم ينصرفون بعد الأخوة معه ولا يرجعون إليه غالبا بعد ذلك ولا يعرفون كيف حاله أبات جائعا أم لا أو هو عريان أم لا . وقد يكون منهم من يتفقد له لكن بالرقية والسؤال ليس إلا دون اعانة ومشاركة فشغلوا ذمتهم بشئ كانوا في غنى عن ترتبه فيها . ألا ترى أن العبد إذا لم يقدر السيد على نفقته وكسوته أمره الشرع ببيعته قاليع في حق العبد مقابلة في حق الأخ فانك إذا عجزت عن المرتبة الثالثة نزلت

أخاك منزلة بيع العبد عند العجز كما تقدم . يشهد لذلك ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أن آخى بين المهاجرين والأنصار كان الأنصار ي يقول لأخيه من المهاجرين عندي من المال كذا وكذا فلك نصفه ولى نصفه ولى من الزوجات كذا وكذا فاختر منهن ما تريد أنزل لك عنه وكان المهاجر يسأل عن السوق وعن الحيطان يعمل فيها فهذا أصل مقرر فى الشريعة المطهرة . وقد حكى أن بعضهم جاء لزيارة أخيه فقيل له انه فى الموضع الفلانى وكان ذلك الموضع لا يدخله أحد الا للمخالفة فتأوه وقال أخى يقع وأنا بالحياة فرجع الى بيته ودخل خلوته وعزم أن لا يخرج منها الا بأخيه فجاء أخوه الى بيته فأخبر بمجيئه اليه وسأله عن حاله فجاء مستغفرا تائباً الى بيته فسأل عنه فقيل له انه دخل الخلوة فقال أخبروه بأنى قد تبت الى الله تعالى ورجعت اليه فما خرج اليه الا بعد أن تحقق قضاء حاجته فيه فينبغى أن تكون المؤاخاة على هذا الأسلوب فان رأيت أخاك قد غرق فتأخذ يده وتنجيه من المهالك فان لم تكن لك قدرة فلا تدعها اذ أن من ادعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان . وأما القسم الثالث من التقسيم الأول للإمام الشيخ الصقلى رحمه الله وهو قوله والثالث موجود فلا شك أنك اذا خالطت كثيراً من الناس فى هذا الزمان أو عاشرتهم بملابسة ما تجد من كثير منهم الأذية البالغة اما فى دينك أو دنياك أو عرضك وهذا هو الداء الذى لا شك فيه فان أنت خالطته وجدت ما ذكره رحمه الله . وأما القسم الرابع الذى قال عنه أنه مشهود فلا شك فى مباشرة ذلك فى هذا الزمان . ألا ترى أنك اذا تكلمت مع أحد منهم فى صلاح دينه فى شئ مما قابلك بازعاج وخلق سيئ وأقل جوابه أن يقول لك ما حقرت فى الناس الا أنا حتى تأمرنى وتنهانى أو يتسلط عليك ببذاءة لسانه وينظر لك عورات يظهرها أو حسنات يخفيها أو يردها سيئات ووهنا فيه من المرارة بحيث المنتهى كما هى الدفلى اذا تناولت منها شيئاً وقد يفضى ذلك

الى العدم اذ قيل انها سم فيتعين عليك أن تفر من هذه صفته فالعاقل اللبيب من
شمر عن ساعديه وبالغ في الفحص عن القسمين الأولين فياسعادته ان ظفر
بأحدهما كما قيل

واذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد
فان عدمهما فيتعين عليه الخلوة والاعتزال ان أراد السلامة اذ أن الاجتماع
بالناس انما يحتاجه المرید للزيادة لا للنقص فاذا علم أنه ما يحصل له فيه الا
النقص فليحذر منه جهده ويستعين بربه مع سلامة صدره لهم وحسن ظنه بهم
عموما والله المستعان

(فصل) من كلام بعضهم بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى . وينبغي
للمريد أن يكون نظره للخلق بعين الرحمة والشفقة والتودد وذلك يقع منه على
وجوه فاذا نظر اليهم بالرحمة فسييل العلم بفقرهم واذا أحسن الظن بهم فسييله
طلب السلامة لهم بالميل الى حزب الفائزين . واذا احتمل الأذى منهم فسييله
الرحمة لهم . واذا جازى على السيئة بالحسنة فسييله التخلق بالأخلاق الحمودة
واذا راعى حق كل ذى حق وان صغر فسييله التخلق بأخلاق الشاكرين واذا
تناسى الشر جملة فسييله تطهير القلب من دنس هو اجس النفوس فى حق اخوانه
المسلمين . واذا عاملهم بالسخط فسييله البعد من صفة البخل والتشبه بأهل الفضل
واليقين بالخلف وليحذر من أن يطلب الخائف الغنى اذ أن كل ما جاءه من
الدنيا فهو ذاهب فان . واذا عاملهم برفع الأذى عنهم جملة فسييله عدم الفراغ
والاشتغال بوظائف التكليف . واذا عاملهم برؤية الحسن منهم فى كل شئ والتعامى
عن القبيح فى كل شئ فسييله الغيرة فى مشاهدة المحاسن والاشتغال عن القبايح
بعبوب النفس مع حسن الظن بهم فى بعض المواطن . واذا تواضع لله فسييله
اجلال الربوبية واظهار العبودية . واذا تواضع للخلق فيكون ذلك منه دون

تماوت وانما يفعله لاعتقاد الأثرة (١) لهم عليه وإذا أظهر ذلك لهم في بعض المواضع فسييله احتقار النفس ورؤية عيوبها وحسن الظن بالمؤمنين . وإذا ترك التعجب وهو أن لا يرى لنفسه شيئاً حسناً فسييله العلم بأنه لا فاعل للأشياء إلا الله سبحانه وتعالى فيأزم نفسه الافتقار إليه جل وعلا . وإذا أخلص العمل لله بأن لا يريد بصالح عمله سوى الله تعالى فسييله الخوف الشديد من حبط الأعمال مخافة توقع الرياء فيقدر الخلق في حزب العدم فانهم لا يملكون له شيئاً . وإذا استشعر اطلاع الحق عليه فسييله ترك الفراغ وهو أنه لا يمر عليه وقت الا وهو مشغول بالله تعالى فيحصل له بسبب ذلك الريح أو جبر رأس المال . وإذا ترك المباح فسييله عمارة الوقت بالواجبات والمندوبات . وإذا أحب المساكين وخدمهم وأعطى الأذى عنهم وأدخل السرور عليهم بارفادهم والتعوى لهم وأظهار البشر واحتمل الجفاء والاختلاط بهم والتلطف في نصح من زل منهم فسييله طلب حط الأوزار والظفر بمحبة الملك الغفار . وإذا ترك المزاح جملة فسييله الاهتمام بإسالف الذنوب . وإذا راعى الفرض بطاب أدائه كما وجب فسييله طلب التقرب الى الله عز وجل . وإذا أحسن لكل مخلوق يحوز الاحسان اليه فسييله طلب الانصاف بالمحامد . وإذا ترك الشهوات فسييله العلم بعاقبتها ومآلها وطلب الرقي عن الأرضيات . وإذا قلل الطعام بحيث لا يدخل عليه به ضرر فسييله التحقق للعبادة والتهوى للفهم عن الله تعالى والاقبال على المعرفة به سبحانه وتعالى . وإذا لبس الدون من الثياب مع مجانبة الشهرة واقتصر على الضرورة فسييله خوف الحساب . وإذا ترك التنعم بملاذ الطيبات فسييله التشبه بأولياء الله . وإذا ترك الهمز والاحتقار بالخلق فسييله طلب التبرى من صفة الجاهلين . وإذا ترك القرح بأمور الدنيا والآخرة فسييله الجهل بالعاقبة وعدم المبالاة بالدنيا . وإذا

ترك الحزن على ما فات فسيله شغل الوقت بالخدمة والايمان بالقدر . واذا
واصل الاحزان خوفا من السابقة والخاتمة فسيله طلب التقرب من الله تعالى
باتكسار القلب وجمع الهم واذا جمع همومه عليه فسيله الفرار من تفرقة القلب
في شعاب الغفلة . واذا فوض أموره لله تعالى بطرح نفسه بين يديه دون
اقتراح عليه فسيله استعمال الادب مع جلال الربوبية . واذا توكل على الله لثقتة
بالمضمون فسيله شغل الوقت بالتكليف . واذا ترك رؤية الأسباب حتى استوى
عنده وجودها وعدمها فسيله افراد الحق بالخلق والتبري من الشرك الخفي والجلي
كالخبز لا يشبع والماء لا يروى والثوب لا يدفي . وكذلك الامور العادية كلها .
واذا ترك التعلق لغير العلماء فسيله العلم بأنه لا يملك الضر والنفع الا الله سبحانه
وتعالى وذلك بخلاف التعلق للعلماء وهو التواضع والتذلل لهم . واذا افتقر الى الله
تعالى في حركاته وسكناته فسيله اظهار صفة العبودية . واذا غاب عن الخلق
بباطنه ولم يسع اليهم بظاهره فسيله سد باب الانس بالخلق . واذا ترك الاقبال
على احاديث العامة وترك التشوف لها بصون قلبه عنها وعمارتها بذكر الحق فسيله
سد باب المحنة واطفاء نار الفتنة وخوف خسران الآخرة . واذا كانت نفس
المريد متطلعة لاحاديث الناس لم يفلح أبدا . واذا علم أن استفتاح باب الخير
كله وسد باب الشر كله في نفس أداء المفروضات اذهى معيار القلب وبها
تبين الزيادة والنقص ولا يتوصل الى ذلك الا بئذل الجهد وجمع النفس
ومحض الصديق وشدة الخوف ومواصلة الحزن حتى اذا استطعت أن تموت حين
تفتح الصلاة فتفسيل ذلك كله قربك من الله . واذا أردت أن تعرف منزلة قربك
عنده فملازمة الجد بحيث لا يكون لغير الحق فيك موضع وسيله مراقبة الحق
واجلال الربوبية . واذا أردت عزة النفس وصيانتها عن سؤال المخلوقين
دقت الحاجة أو جلت فسيله طلب كل حاجة من الله تعالى أدبا مع الربوبية . ومن

آكد ما يحتاج اليه المريد في ذلك أن لا ينزل نفسه في صورة مرشد ولا موص ولا متكلم بالحكمة ولا بالمسائل الفقهية ولكن ليشغله من نفسه شاغل بسبب طلبه العلم . ومن كتاب سير السلف قال إبراهيم الخواص دواء القلوب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين . وقال أيضا التاجر برأس مال غيره مفلس . ومن كلام ابن بن رزق رحمه الله يا هذا هلا حرك عقلك عن ان تبوح بسرک الى أحد من الخلق أو أن تشكو حالک في دين أو دنيا اليهم أو تتكلم بما لا يعينک أو تجيب الى أمر لا تتحقق رشدہ ولا تأمن ضرره يا هذا اجعل ربک موضع شکواک وقلبك خزانة سرک والزم مراقبة مولاک في كل حال یرد عليك فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت شرا فافتقر فيه اليه وانظر الى الخلق هياكل مصرفة وأسبابا مسخرة ولا تشکر أحدا منهم على فضل الله الا على قدر ما أباحتہ الشريعة وحسبك من ذلك أن تقول جزاک الله خيرا وترى الفضل كله من مولاک فاشکره بکليتك فهو أهل لذلك حقيقة وشکر سواه مجاز کأن فعل غيره مجاز لان الافعال كلها صادرة عن المولى الكريم وحده لاشريك له

(فصل) فان كان المريد له تعلق بالا ولاد فينبغي أن لا يهمله شأنهم ولينظر الى ما سبق فيهم من القدر ويعلم أن الملك لا يضيق عز رزقهم وأن ما كتب لهم لن يفوتهم وما كتب عليهم لن يفوتوه وأن وجوده وعدمه في حقهم سياتى أنه لا يملك لهم شيئا ثم انهم ان كانوا لله أولياء فلن يفعل الله معهم الا خيرا وان كانوا غير ذلك فلا حيلة له في دفع المضار عنهم وليقل قد استودعتم لمن لا تخيب لديه الودائع فليطرح الهم فيهم جملة واحدة ان عقل وليظن بمولاه خيرا والسلام

(فصل) فان ابتلى المريد عند الاجتماع بالناس وخطتهم بالاذية والجفاء منهم فيتعين عليه أن ينظر في أمرهم ويرجع الى حاله ويفتش خبايا نفسه

فی الذی قیل فیہ فقد یكون حقاً فان وجدہ فی نفسه علم اذ ذاک أن من قال فیہ ما قال انما هو نذیر جاء من عند ربہ لیتوب أو یو تع بہ النکال فیحتاج الی المبادرة الی التوبۃ والرجوع ویرى الاحسان والفضل لمن قال فیہ ما قال . وان لم یجد ما قیل عنہ فیہ فیحتاج الی ثلاثة أشياء . أحدها أن یمثل السنۃ بالدعاء الوارد فی ذلک حیث یقول علیہ الصلاۃ والسلام (من رأى منکم مبتلی فلیقل الحمد لله الذی عافانی مما ابتلاک بہ وفضانی علی کثیر من خلق تفضیلاً) ولا شک أن للابتلاء فی الدین أعظم من الابتلاء فی البدن سیم اذا انضاف الی ذلک تعلق حق الغیر بہ فهو أعظم فی الابتلاء . هذا وجه . الوجه الثانی أنه یتعین علیہ الشکر من وجهین . أحدهما أن یشکر الله تعالى علی سلامتہ مما قیل فیہ . الثانی وهو الوجه الثالث أنه یتعین علیہ الشکر فی أن الله تعالى سلمہ مما وقع أخوہ فیہ اذ لو کان الامر بالعکس لکان بلاء بینا اذ الغالب فیہ عدم السلامة أسأل الله العافیۃ بمنہ وقد تقدم ذلک . ومن کتاب یمن بن رزق رحمہ الله من ساء الذم وأعجبه المدح فذلک ذکر الصورة خئی العزیمۃ . وقال لو قال لی قائل ان من لم یأخذ بحظہ من الفقر لم یجد طعم الایمان لما خالفته ولو أخبرنی بخبر أن تسعة أغشار العافیۃ فی الخمول والغنی عن الناس لصدقتہ . وقال حمل النفس علی الصبر فی مواطن الامتحان حیلۃ حسنۃ فی التخاص وان أبطأ . وقال من وطن نفسه علی أن الدنیا دار نصب وتعب لم ینکر ما نزل بہ منها مادام فیہا وأخذ من الراحة بحظہ ومن توهما منزل راحة لم یقدر الراحة قدرها اذ أتمه وكان تعبہ فیہا مضاعفا . وقال تقدیم صدق اللجا الی الله عز وجل فی مبادئ الحاجات عنوان علی نبح غایاتها وقال افشکر فی الموت تن علیک المصائب . وقال مارأیت أفاقہ من النفس یعنی فی شہواتها وملذذاتها ولا أجرأ من اللسان ولا أشد تقلبا من القلب ولا أعدم من الاخوان ولا أقل من الاخلاص ولا أكثر من الامل

وقال الصمت وغيض البصر مفتاحان لأبواب القلوب . وقال من أحب أن لا تكون له منزلة عند الناس تربع في بجوحة (١) العافية . وقال ليس الا دنيا وآخرة فان أردت الجمع بينهما رمت محالا وذهبتا عنك معا فاختر لنفسك . وقال الضرورات تدعوا الى شر كثير وفي الصبر على المكروه خير كثير . وقال يحسن بالمؤمن أن يكون ثوبه مرقعا ونعله باليا ومسكنه خلقا في ذلك أعظم تذكرة وأكبر شاهد على الغنى وأحث باعث على ترك الطمأنينة الى الدنيا ومن كان يستعمل الجديد من كل شيء قلت دهرته وكان حب العاجلة أغلب على عقله . وقال اطعم في رحمة الله عز وجل على أى حال كنت من التفريط ولا تأمن مكره على أى حال كنت من الاجتهاد وإياك واليأس من مولاك فانه قطع للسبب بينك وبينه واحذر الامانى فانها اغترابه واعلم أن الكافر لو علم سعة رحمة الله ما يئس وان المؤمن لو علم كنه عقاب الله لمات خوفا والسلام . وقال اذا كان الماضى لا يرجع والمقدر لا يتبدل فاطراح الهم سعادة معجلة . وقال خمس يؤمك غمها في الدنيا وهي في الآخرة أشد ايلاما الا أن ينالك عفو الله عز وجل فاستقل منها أو استكثر المزاح وكثرة الكلام والتعرف بالناس وافشاء سرك اليهم والشكوى بحالك الى الخلق . وقال لقد رايت ما أراه من كد الخلق الدنيا وقصر همهم عليها في ايمانهم ولقد رايت ما أراه من مكالبتهم عليها وفرط جنوحهم اليها في عقولهم والعجب منهم وهم على هذا الحال انك ان نطقت لهم بالحقيقة سخروا منك وان سكت عنهم اتهموك وان ما زحمتهم في دين أو دنيا أهلكوك وان تركتهم لم يتركوك فلا راحة معهم ولا سلامة دونهم حسبى الله ثم حسبى الله منهم . وقال الرجلان اكره رؤيتهما وأحب الفرار منهما ليأسى من فلاحهما غالبا طالب كيمياء وطالب ملك . وقال رحمه الله من تسامى الى رتب لا يقتضيها حاله ولا حليته وآثر هواه وأمنيته عاش

دهره في تعب ونصب ولم يبلغ الغاية التي يسعى اليها ومن تقاعد عن الرتب التي يمكنه بلوغها عاش مهينا ملوما ومن توسط بين الحالين فتناول منها ما كان له صالحا استحق اسم النبيل (١) وكان عيشه هنيئاً وقلبه لله تعالى خاشعا . وقال أنا لا أصدق قول من قال مكالة الجاهل سجن للعقل . وقال الراحة في الدنيا لأحد ثلاثة فقير صالح أو غني عاقل أو أحمق مبغوث . وقال يا هذا ان كان العجب من الناس مرة فالعجب منك ألف مرة فقد بان لك بالتجربة المستينة والدلائل البينة أن مكالة الناس غنمها ندامة والصمت عنهم سلامة ثم لا يصرفك ذلك عن الهذر معهم والخوض في أحاديثهم وكلهم مقهورون لطباع أنفسهم سامعون من حالهم مبصرون بعيون رؤسهم الامن رحم ربك وقليل ما هم فما يصغى اليك منهم غالبا الا متهم أو مكذب أو غير محصل فاصححهم بصمت ولا يكون كلامك لهم الاجواب بما لا يدرك فيه عليك في دين أو دنيا فان أنت صبرت على أذاهم كفيتهم واياك أن تنتصر لنفسك فتوكل اليها وسلم الأمر الى مولاك وافترق اليه تجده والسلام . وقال الالتفات الى الناس تعب في العاجل وندامة في الآجل لأن عامتهم ما بين جاف متعسف أو بطر متكلف فليس التأثير بالاول بأسوأ من الاغترار بالثاني فالرأى أن يعدا جميعا في حزب العدم حتى لا تأثير للاضطراب اليهم ولاللجفاء مع امثال الأمر والنهي فيهم واعتقاد الرحمة والصلة لكل مسلم والذي يعين على ذلك بتوفيق الله تعالى الاقبال على ما يعينك والصبر في طريق الحق فانك اذا وافقت الشريعة ولاحظت الحقيقة لم تبال بمن خالف رأيك من الخليفة . وقال من تفكر فيمن سلف ونظر في المعادها ن عليه جفاء الخلق ولم يغتر بلطفهم . وقال رحمه الله الزم الصمت عند محاضرة من تكرهه وتكلم مع من لك في كلامه فائدة . وقال من علم أن له ربا

(١) النبيل بضم النون الفضل وبابه ظرف

يفعل ما يريد خاف وحزن ولم يفتر ومن علم ان له ربا ضمن لعباده أرزاقهم لم يشغله طلب المضمون عما كلف ومن علم ان له ربا من لنقطع اليه كفاه توكل بالحقيقة عليه ومن علم ان له ربا لافاعل للوجودات الا هو اقتصر في كل مرام اليه ومن علم ان له ربا رقيقا على كل شيء استحي منه حق الحياء . وقال من نظر الى الدنيا بعين البصيرة فرأى تقلبها بأهلها وانزعاجهم عنها لم يطمئن اليها ومن نظر الى الآخرة بعين البصيرة فتخيل نعيمها وعذابها وأيقن أنه وفد عليها عمل لها . وقال الرم الفضل وارك الفضول واغتم وقتك تفز بخير الدنيا والآخرة فبملازمة الفضل تنال الشرف وبترك الفضول تنال السلامة وباغتنام الوقت تنال الربح وفي هذه الثلاثة مجموع خير الدنيا والآخرة . وقال ليس الا عيش الدنيا أو عيش الآخرة ولن يجتمعا . فالاول مادته الأراضيات وهو عيش النفس . والثاني مادته العلويات وهو عيش الروح وقد علت المبدأ والغاية فاختر أيهما شئت والسلام . وقال يا هذا الأخذ بالاحتياط نجاة ولاخير في صحة غير الله . وقال ما أحقك بالنوح على نفسك . ما أولاك بالقاء التراب على رأسك . ما أغفلك عما حولك . أنسيت عظامك . أم أنت عقاب ربك . بادر يا مسكين واحذر سد الباب وقطع الأسباب . واستنزل بكف الضراعة رحمة مولاك العزيز الوهاب . وقال اذا سافرت فالتزم في الطريق مع أهل الرقعة الصمت ولا تكلم معهم الا جوابا يسيرا من القول لفظة أو نحوها . فان سئلت من أين فقل من أرض الله . فان قيل لك ما شغلك فقل أبتغي فضل الله . فان قيل لك ما سمك فقل عبد الله . فان تصامت لهم فحسن . واذا دخلت بلدا فلا تصحب فيه أحدا صحة توجب عليك حقا . واحسم التعارف البتة . وافتر الى الله في حوائجك فانه لا يضيعك ان شاء الله فانه ليس زمان صحة ولا مصادقة وانما هو زمان الوحشة والغربة والفرار من الناس مبلغ الوسع . وقال خلقان لأرضاهما للفتى . بطر النقي

ومذلة الفقير . فاذا غنيت فلا تكن بطرا . واذا افتقرت فته على الدهر . وقال رحمه الله الدنيا دار بلاء والبلاء لفظ مشترك تحته أنواع من التعب والمشقات كفرقة الأحباب وذهاب المال وأذى الناس والاسقام والجوع والعطش والقمل والذباب والعقارب والحيات والسباع وفقد الوطن والبرد والحر والعري والشهوات كشهوة البطن والفرج الى غير هذا مما لا يكاد يتحصر فما وقع منه فلا تنكر وقوعه في محله ولا تستغربه وانما المستغرب فيها المسرات لأنها ليست بدار لها ولا تقابل شيئا من البلاء الا بالصبر وتوطين النفس عليها متى وقع منها شيء والاستعانة بالله تعالى في زيادة البصيرة والامداد بالمعرفة . وقال من تفكر في أمسه وغده غم ما في يده من يومه . وقال بالله المستعان واللجأ اليه عنوان النجح . والقرآن حبل العصمة . والسنة طريق السلامة . والفكرة مفتاح الرشد . والهمم مثيرات العزم والتبصر ثمرة الصدق . والظفر نتيجة الصبر . والاستغاثة درج الوصول . والتضرع أمانة التخلص . والسحر مظنة الاجابة . والالحاح مقدمة المحبة . والتواضع سلم الشرف . والسخاء خلق الايمان . والزهد شعار التقوى . والتوكل حرقة المعرفة . والتفويض علم السعادة . والخوف أثر الجد . والرجاء افادة الجهد ورحمة الخلق دليل الطهارة . واحتمال الأذى عين الفتوة . والجزاء على الإساءة بالاحسان خلق النبوة . وتلاوة القرآن بالحضور عيش الروح ومخالفة الهوى قتل النفس . وذكر الله رأس مال العابدين . من ترك الشهوات قرع الباب ومن ترك الحظوظ رفع الحجاب . قيام الليل بستان العارفين . الأحوال مبلغ القوم . من رأى لنفسه فضلا على شيء من خلق الله تعالى حتى الكلاب فهو أحد الفراعنة السلوك عن المتروك على قدر المعرفة بالمطلوب . من هانت عليه نفسه فهي على غيره أهون . ومن صحب التسويف أدها الى الفوت . ومن فاته مولاه غرق في بحر اليأس الدنيا سلامتها غرر . ولذاتها قدر . قال الشاعر

تغير لباسها نفثات دود وخير شراها في الذباب
وأشهى ما ينال المرء فيها مبال في مبال مستطاب
وعن قرب يعود الكل تريا بلا شك يكون ولا ارتياب

وقال كنت قد رأيت في كتب بعض الحكماء ان أربعة لا ينبغي للعاقل أن يأمنها
فطلبته في حفظي فلم أجد منها سوى واحدة وهي المرأة وان أبدت الود
وأظهرت النصيح. ولا يبعد عندي أن يكون الثاني السلطان وان أبدى التقريب
والمصافاة. وأن يكون الثالث المال وان كان جما وافرا. وأن يكون الرابع الزمان
وان كان مطاوعا مسالما. فرب مخدوع بهذه الأربعة فخاته أوثق ما كان بها
وأسلته أمل ما كان اليها. وقال الراحة كلها في الرضا باختيار الحق لك والتعب
كله في اختيارك لنفسك. ومدافعة الأيام شعبة الكرام. واغتنام الوقت بالمبادرة
الى العمل واطراح الأمل سعادة. وانتظار الفرج بالصبر عبادة. وقال يا هذا اذا
رأيت انسانا لم تازمك الضر ورفاليه فقرمته فرارك من الأسد أو أشد وان قدر
اجتماعك معه مفاجأة فاقصر في الكلام معه واعتذر له بشغل واتركه بسلام
أما تذكر أن تعبك في الدنيا قديما وحديثا انما جائك من معرفة الناس

(فصل) وينبغي للبريد أن تكون أوقاته مضبوطة لكل وقت منها عمل
يخصه من الأوراد فلا يقتصر في الورد على ماسبق من الصلاة والصوم بل
كل أفعال المريد ورد. قد كان السلف رضوان الله عليهم يقولون جوابا لمن
طلب الاجتماع بأحد من اخوانه ويكون نائما هو في ورد النوم. فالتوم وما
شا كله هو من جملة الأوراد التي يتقرب بها الى ربه عز وجل. واذا كان كذلك
فيكون وقت النوم معلوما كما أن وقت ورده بالليل يكون معلوما وكذلك اجتماعه
باخوانه يكون معلوما. وكذلك الحديث مع أهله وخاصته يكون معلوما كل ذلك
ورد من الأوراد اذ أن أوقاته مستفرقة في طاعة ربه عز وجل فلا يأتي الى

شيء مما أبيع له فعله أو ندب إليه الابنية التقرب الى الله تعالى وهذا هو حقيقة
الورد أعنى التقرب الى الله تعالى وهذا على جادة الاجتهاد والفراغ من الصحة
والسلامة من العوائق والعوارض أو من حال يرد يكون سببا لترك شيء من ذلك
ألا ترى أن المندوب في حق المريد بل الذي يتعين عليه أنه اذا حصل له بكاء
أو تضرع أو خشية يستمر في ذلك ولا يقطعه اذ أن المقصود انما هو حصول
مثل هذه الأشياء فاذا حصلت للبريد فقد حصل على فريسته فليشد يده عليها
ويغتنمها ثلثا تنفك منه فقل أن يجدها ولاجل هذا المعنى قال الاستاذ
أبو سليمان الداراني رحمه الله اذا لذت لك القراءة فلا تركم ولا تسجد . واذا لذ
لك الركوع فلا تقرأ ولا تسجد . واذا لذ لك السجود فلا تقرأ ولا تركم الأمر
الذي يفتح عليك فيه فالزمه . أرايت انسانا يطلب شيئا فاذا وجدته تركه . وقد
تقدم هذا المعنى قبل ولا يقتصر في هذا على الصلاة ليس الابل هو عام في كل
أمر أرادته فلو حصل له شيء من هذا في الاجتماع بالاخوان فلا ينتقل منه أيضا
بل هذا أكد لاجتماع بركة الاخوان وهي متعددة بخلاف مالو كان وحده
وان كانت الخلوة فيها الفضيلة العظمى كما تقدم لكن في الاجتماع بالاخوان
الخير المتعدى حسا لاستعداد بعضهم من بعض والمقصود أن تكون أوقاته وحركاته
وسكناته وأنفاسه في الخلاء والملا مضبوطة بالاتباع في كل ذلك . وينبغي أن
يقتصر في أوراده على القليل مثل ما تقدم في أوراد المتعلم سواء بسواء فان حصل له
شغل أو شيء من العوائق فلا بد من اقامتها ليسارتها لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
عمل عملا أثبته وقد تقدم ذلك في المتعلم . وينبغي له أن يكون أشد الناس حرصا على
عمل السر لما تقدم أن عمل السر يفضل الجهر بسبعين درجة وما هو بهذه
الثابة فيؤكد تحصيله على ما ينبغي . واذا كان كذلك فلا يخلو حاله من أحد
أمرين اما أن يكون في بيته وحده أو مع غيره . فان كان وحده فقد حصل له

عمل السر من غير كلفة . وإن كان مع غيره أعنى من الأهل وما شابههم . فلا يخلو أما أن يكون فيهم من يرجو أن يقتدى به أم لا فإن كان كذلك فإظهاره أولى وقد تقدم أنه لا يخرج ذلك عن عمل السر معهم . ثم الأمر في ذلك بحسب حال الوقت إذ أن من الأهل أو الإخوان من إذا رأى شيئاً من أعمال البر يواظب عليها من يعتقده بادرته نفسه إلى فعل ذلك أو شيء منه . وهذا فيه خير كثير لما ورد (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) فإن علم أنه ليس فيهم من يقع ذلك منه فالسر أولى به . وقد تقدم في المتعلم أنه إن وجد الخلوة عن أهله كان به أولى . فليريد بهذا المعنى أولى بل أوجب لأن المريد لا يزال في عمل السر في غالب أوقاته فيعود عليه آثار ذلك وبركته حتى يصل إلى عمل سر فيما بينه وبين ربه عز وجل لا يطلع عليه الحفظة . وقد ذكر الإمام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه عن بعضهم أنه ظهرت له الحفظة وناشدوه الله تعالى أن يدخل عليهم سروراً بحسنة من حسناته يظهرها لهم ليسروا بها لأن الحفظة يفرحون بحسنة العبد حين يعملها أكثر من فرح العبد بها يوم القيامة حين يرى ثوابها وما ذاك إلا أن رسل الملك لا يريدون أن يرجعوا إليه إلا بما يعلبون أنه يحبه بخلاف العكس فانهم يكوهونه لكرهية الملك له . وهذا الذي حكاه رحمه الله ظاهره مشكل لأن الفرائض لا بد من إظهارها وهي أكبر الأعمال وأزكاها . لما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام عن ربه (لن يتقرب إلى المقربون بأحب من أداء ما افترضت عليهم) الحديث بكامله . والحفظة يشاهدون ذلك ويكتبونه . فيتعين أن يحمل ما ذكره على الآواراد التي هي من أعمال القلوب وهي الفكر والنظر والاعتبار إذ أن الله عز وجل تجلى لخلقهم وظهر بآياته وبطن بذاته فهو الظاهر بمآدل عليه من مصنوعاته الباطن بذاته فلا يقال أين ولا كيف ولا متى لأنه خالق الزمان والمكان إلى غير ذلك من صفاته الجليلة

واذا كان ذلك كذلك فن كان في حال التجلي فهو مستغرق الأوقات حتى لا يرى غير ماهو فيه لكثرة ماهو فيه من النعيم اذ التجلي ليس شيء من النعم أعلى منه في الدنيا والآخرة . ولا يعكر على ماتقدم ذكره من قول الحفظلة ماورد أن المكلف اذا نوى الحسنة خرجت على فمه رائحة عطرة واذا نوى السيئة خرجت على فمه رائحة منتنة لأن هذا قد نوى بقلبه مانواه فهو عمل من أعمال القلب دلت عليه الرائحة الصادرة عنه بخلاف ماتحن بسيله اذ التجلي ليس من عمل العبد ولا من حيلته بل هو فيض من المولى سبحانه وتعالى وتفضل منه وامتنان على من خصه واختاره من خلقه في كل زمان وأوان فينبغي للبريد ان كانت له همة سنية أن يعمل على تحصيل هذا المقام السني لأن المولى سبحانه وتعالى كريم منان وهذه الأمة والحمد لله فيها البركة الشاملة فخيرهم ومقامهم الخاص بهم لا يزول ولا يحول الى أن يأتي أمر الله تعالى . واذا كان الأمر كذلك فلا يقطع المرید اياه من الوصول الى جاهلهم السني ولا ينظر في ذلك لنفسه ولا لحيلته وقوته واجتهاده لأنه مهما نظر الى ذلك قطع به بل ينظر الى فضل المولى سبحانه وتعالى ونعمه المترادفة عليه . وليحذر أن يكون بهيمى الطبع لا يرى النعم الا في المأكول والمشروب والسعة في الرزق لأن هذا ليس من حال المرید في شيء بل هو من حال أبناء الدنيا والله عز وجل من كرمه واحسانه وفضله وامتنانه يعطى لكل قاصد ماقصده . وقد تقدم أن المرید غنيمة ما فاته من الدنيا وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول المرید لا يحتاج لشيء من الأشياء فقلت له أليس يحتاج الى الأكل والشرب واللباس فقال نعم لكن طعام المرید الجوع وكسوته العرى فهو يجد ذلك في كل موضع يحل فيه واذا كان كذلك فلا يحتاج الى أحد . والمقصود والحاصل أنهم قد طرحوا أمور الدنيا خلف ظهورهم وأقبلوا بكليتهم على ربهم وأسندوا أمورهم اليه وتوكلوا بالحقيقة عليه

فانعم عليهم وقربهم واجتباهم وحامهم وتجلى لهم بصفاته الجليلة الجميلة أسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمحمد وآله صلى الله عليه وسلم فانه ولى ذلك والقادر عليه . وما تقدم ذكره من أن المريد يقتصر على الأعمال المتقدم ذكرها إنما ذلك فى حال بدايته ثم يأخذ نفسه بالتدريج والترقى فى الزيادة قليلا قليلا حتى يستغرق أوقاته فى أنواع العبادات وهو لم يجد لذلك مشقة ولا تعباً فى الغالب وقد تقدم ذلك لكن المريد فى بداية أمره يمشى على ماسبق من أورد المتعلم وأما نهايته فلا حذر لها لأنهم قالوا أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وكلامهم ضرورة فلا ينال المريد الاغلبة وقد تقدمت حكاية بعضهم فى السنة التى أخذته وهو جالس فى مصلاه حين صلى ركعتى الاشراف فحرك عينيه وقال أعوذ بالله من عين لا تشبع من النوم . ومن كان نومه على هذه الصفة فلا يمكنه أن يتبها لحالة النوم ولاللاذكار المذكورة عنده اذ حال المريد لا ينضبط بقانون معلوم لكثرة اجتهاده وتحصيله وأحواله فى أعمالهم قل أن تنحصر . لكن يحافظ على السنة ويشديده عليها . وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يعجبه ما حكى عن بعضهم أنه كان اذا جاء الى فراشه دخل على جنبه الايمن ثم يرجع على الايسر ثم يرجع على الايمن ثم يقوم فيتوضأ ويصلى ركعتين ثم يقول اللهم انك تعلم أن خوف نارك منعى الكرى فيقوم حتى يصبح فكان يعجبه منه محافظته على السنة حتى فى الفراش وان كان يعلم أنه لا يتأق منه النوم فاذا كان المريد على هذا الحال أعنى محافظته على السنة فى كل أحواله فهو المقصود الأعظم لا يفوقه غيره نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمنه انه الكريم الوهاب بمحمد وآله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

فصل في قدوم المريد من السفر ودخوله الرباط

اعلم وفقنا الله وإياك أن آكد ما على المريد اتباع السنة واتباع السلف الماضين
رضي الله عنهم أجمعين فيشد على ذلك يده وليحذر أن يميل أو يعتد بما قد أحدثه
بعض الناس من أفعال لم تكن لمن مضى . وقد تقدم أن الخير كله في الاتباع وعكسه
في الابتداع وأن هذه الطائفة أكثر الناس اتباعا للسنة المطهرة وما فاقوا على
غيرهم الا بذلك لأنهم اختصوا بثلاثة أسماء فقراء ومريدين وصوفية فالفقير من
افتقر في كل أحواله إلى ربه عز وجل وسكن بقلبه إليه وإن كانت الخواطر
تلدغه فهو لا يلتفت إليها ويفتقر إلى ربه ويعول عليه والمريد من أراد ربه
دون كل شيء سواه وكان غاية طلبه ومناه وسلم من لدغات الخواطر ومجاهدتها
لارادته لربه وإثاره على ماسواه . والصوفي من صنى باطنه وجمع سره على ربه
وشاهد عيانا جميل صنعه فأسند الأمور كلها إليه فهم الذين قربهم الله واجتباهم
وخلع عليهم خلع احسانه ولحضرتة السنية ارتضاهم وإذا كان الأمر كذلك فهذا
مقام خاص بهم والثوب النظيف أقل شيء يذنبه . وقد تقدمت حكاية سيدي
الشيخ الجليل أبي علي بن السماط رحمه الله في دخوله المسجد حين قدم رجله اليسرى
فغشى عليه لأن هذه الطائفة شعارها الاتباع وترك الابتداع فإن وقع لهم شيء مما من
مخالفة السنة رأوه أمرا عظيما فأقلعوا عنه في وقتهم وجددوا التوبة مع الله تعالى
ورأوا أن ذلك بسبب ذنب تقدم فعجلت لهم عقوبته فتضرعوا إلى الله وابتهلوا
إليه مع وجود التوبة النصوح منهم . وإذا كان الأمر كذلك فيتعين على المريد
أن لا يسامح نفسه في شيء مما يخالف الاتباع ولو قاله من قاله . فليحذر من
البدع التي قررها بعض الناس . وقد اختلفوا فيها على ثلاثة أنحاء فمنهم

من استحبها وأنكر على من تركها. وهذه طريقة أكثر أهل الشرق. وذهب بعضهم الى أن من فعلها ومن لم يفعلها سيان لا عتب على تاركها ولا حرج على فاعلها. وذهبت الطائفة الثالثة وهم المحققون المتبعون للسنة. والسلف الصالح من الامة رضى الله عنهم أجمعين الى التصريح بأن ذلك بدعة ممن فعله أو استحسنته وقال لا حرج على فاعله لخالفته السنة المطهرة. وقد كانت سيدى أبو الحسن الزيات رحمه الله يقول من أعجب الأشياء صوفى سنى يعنى بذلك والله أعلم ما نحن بسيله من العوائد المحدثه التى ليس لها أصل فى الشرع ترجع اليه. فمن ذلك ما ذهب اليه بعضهم من أن المريد اذا ورد البلد وقصد دخول الرباط وهو المسمى فى عرف العجم الخانقاه فالرباط مأخوذ من الربط لأن ساكنه مرابط فيه وهذا الاسم أولى به ألا ترى أنهم يحبون رؤية القيد فى النوم ويكرهون الغل فهذا منه. ولهم فيما أحدثوه اصطلاح لا ينبغي أن يعرج عليه لكن لما أن كثرة وقوعه والقول به والانكار الشديد على من ترك شيأ منه واتبع السنة المطهرة تعين الكلام فيه على من تعين عليه وهو أنه اذا قصد دخول الرباط كما تقدم يشمر كفيه ويتدى فى ذلك باليمين وهذا اذا أراد دخول الرباط أو يتناول شيئاً طاهراً وأما ان أراد أن يدخل الخلاء فانه يتدى بتشمير كفيه الأيسر ويبالغون فى هذه الأشياء ويسمونها آداباً. حتى أنه قد حكى عن بعض من توغل فى هذا الشأن أنه خدم شيخه سنين متطاولة فلما أن كان فى بعض الأيام أراد أن يدخل الخلاء فشمركه الأيمن قبل الأيسر فقال له شيخه أين تريد فاستفاق لخطئه على زعمهم فقال ياسيدى الى بغداد فسافر اليها. فانظر رحمنا الله وإياك الى تبديل الخاطر المعجل بمخالفة سنة واحدة كيف وقع بها هذا فى أمرين عظيمين. أحدهما تعب السفر الطويل وترك جمع الخاطر فى الحضر وبركته. والثانى اخبار شيخه بما ليس فى باطنه وطائفة الصوفية برآه من ذلك

كله . ثم اذا شمر أكامه يشد وسطه بشيء ويأخذ العكاز بيده اليمنى والابر يق بيده اليسرى ويجعل السجادة على كتفه الأيسر مطوية وهذا فيه مافيه لان اتخاذ السجادة من البدع التي أحدثت فكيف يتخذها الفقير . وقد كان كثير من السلف رضوان الله عليهم لا يحول بين وجوههم وبين الأرض حائل لاحصير ولا غيره وما ذاك الا لاتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ألا ترى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شكوا اليه ما يجدونه من ألم السجود على الأرض لم يشكهم ومعنى ذلك أنه لم يزل شكواهم . ألا ترى الى ما ورد (مسح الحصاة مسحة واحدة وتركها خير من حمر النعم) ولا يرد على هذا حديث الخمرة لأن ذلك محمول على شدة الألم الذى يوجد فى ذلك الوقت بخلاف الألم الذى تجعله البشرة فلا يرخص فيه . والخمرة هى شيء مضاف من الخوص قدر ما يضع المصلى عليه الوجه واليدين اذا سجد . وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يسجد ولا يحول بين وجهه وبين الأرض شيء لاتباعه السنة وتواضعه . وهذه الطائفة أولى الناس بالاتباع والتواضع وهو الآن داخل الى الرباط وهو موضع طاهر لا يدخله فى الغالب الامن هو متحفظ على دينه فلا حاجة تدعو الى السجادة وانما هى عوائد انتحلت ووقع الاستئناس بها والعوائد كلها مطروحة لأن السنة هى الحاكمة على الناس كلهم فضلا عن المريد . ثم يأمرونه اذا دخل الرباط أن لا يسلم على أحد ولا يسلم عليه أحد واعتلوا لذلك بأن المريد لا يذكر الله تعالى الا وهو على وضوء والسلام اسم من أسماء الله تعالى فاذا سلم على أحد أو سلم عليه أحد فقد يكون على غير وضوء فيحتاج الى ذكر اسم الله تعالى وهو على تلك الحالة أو يترك رد السلام وهو واجب فأمره بترك السلام لأجل هذا وهذا أيضا مخالف للسنة اذ أن السنة مضت على أن المكاف يسلم على من عرف ومن لم يعرف فكيف باخوانه وما تقدم من ذكر تعليلهم لذلك فليس بالبين لان الشارع

صلوات الله عليه وسلامه لم يمنع من ذكر الله في حال من الاحوال الا في حال موضع الخلاء فانه يكره ولا بأس بذكر الله تعالى هناك عند الارتياح وما يشبهه وليس بمكروه والسنة عند لقاء المؤمن لأخيه السلام لا بعد جلوسه واستئناسه . ثم يأمرونه عند ارادة دخوله الرباط أن يقعد عند الباب ثم يخرج اليه من في الرباط من الشبان أو بعضهم فيؤذونه بالشم ويقلون الأدب عليه ويحرقون حرمة ويكسرون الابريق الذي معه ويفعلون ذلك به مرة بعد أخرى حتى يياسوا من غضبه ويعطون فعلهم ذلك بأن يقفوا على حسن خلقه وحمله للاذى اذ أن هذه الطائفة لا تنصرف لنفسها وهم أشد الناس كظما للغيظ وعفوا عن الناس وهذا التعليل ليس بالبين لان الوارد اذا علم أنه اذا انزعج لذلك وغضب لا يدخلونه الرباط فانه يصبر اذ ذاك على أذيتهم لأجل ما يرجو من حاجته وان كان سيء الخلق ما عسى أن يكون فانه يستعمل ضده في هذا الموطن والحالة هذه . ثم يخرج اليه الخادم فيأخذ السجادة عن كتفه وهو ساكت لا يسلم أحدهما على الآخر ويدخل الخادم والوارد يتبعه حتى اذا حصل في وسط الرباط وقف الوارد ينظر أين يفرش الخادم السجادة فيعرف موضعها وهذا فيه ما فيه ألا ترى أن المعنى في السلام عند اللقاء انما هو التأنيس بالبشاشة وما شابهها من الاكرام للضيف والتودد نقبض ما عاملوه به وأما كسر الابريق فلا خفاء أنه اضاءة مال وهو محرم وكذلك شتمه فوضعوا الشتم وخرق الحرمة واطاعة المال موضع الاكرام والاحترام والضيافة ثم سرى هذا الأمر الى عامة المسلمين اذ أن هذه الطائفة قلوب الناس بهم متعلقة لحسن ظنهم بهم ولكونهم منسوين الى اتباع السنة والزهد في الدنيا وتركها والاقبال على العبادة والدار الآخرة ويرون أنهم محفوظون لا يخالفون ولا يتدعون فاذا صدر منهم شيء من هذا اقتدى بهم غيرهم في فعله فتجد كثيرا من الناس في هذا الزمان يقعد الرجل

وأولاده كل واحد منهم يشتم صاحبه ويشتمون الآباء والأجداد ويلعنون أنفسهم والوالدان ينظران اليهم . وقد ورد في الحديث (المؤمن لا يكون لعانا) ومن كتاب السنن لأبي داود رحمه الله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم) ومنه عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغا رجعت الى الذي لعن أن كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائمها) ومنه عن سمرة ابن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار) ومنه عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يكون للعانون شفعاء ولا شهداء) ومن البخاري رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه) وهم اليوم قد جاوزوا الحد في ذلك يشتم بعضهم بعضا دون أجني بينهم يكفهم قد كفوا الاجني أمرهم ولا يهتمون لذلك ولا يرجعون عنه . ولو قدرنا أن أحدا نبههم على ما فيه من شدة القبح المجمع على منعه فمنهم من يسخر منه ومنهم من يقول ان هذا بسط لا حقيقة وكل ذلك سببه السريان من الخاصة الى العامة فانا لله وانا اليه راجعون على مخالفة السنن وارتكاب البدع . ألا ترى أن من السنة اكرام الضيف بتيسير ما حضر والاقبال عليه وما تقدم من فعلهم عكس هذا الامر سواء بسواء . ثم ان الخادم اذا فرش السجادة يجعل فتحها الى

الجانب الایسر ویعللون ذلك بأنه اذا جاء أحد یرید أن یجلس معه فیجلسه لناعیة الیمین لیكون ذلك أسهل علیه فی فرشها له اذذاك وبه اللونه بوجه آخر وهو أن القلب فی جهة الیسار فینبغی أن یكون فتحها لتلك الجهة تفاؤلا بالفتح وهذا لیس من التفاؤل فی شیء لان التفاؤل الشرعی انما هو ما كان عن غیر قصد و ما ذكره كله یحتاج الی توقیف من صاحب الشرع صلی الله علیه وسلم والسجادة مكروهة فی الشرع ابتداء الا من ضرورة كما تقدم فكیف تفصلها فمن باب أولى وأحرى . ثم انه مع ذلك بطوی طرفها من جهة القبلة من ناعیة المشرق فاذا علم الوارد موضع السجادة ذهب الی موضع قضاء الحاجة كانت له حاجة أو لم تكن كان علی وضوء أو لم یكن فیأخذ الابریق فیدخل به الی الخلاء ثم یمخرج الی موضع الوضوء و الابریق یدد فیضعه فی موضعه الذی أخذ منه و یجعل یزبوزه الی جهة القبلة ویملؤه وكذلك فی كل موضع یضعون الابریق فیہ انما یكون مستقبل القبلة وهذا ما یحتاج الی توقیف من صاحب الشرع صلی الله علیه وسلم . وهذه الآداب الشرعیة مثل استقبال القبلة وغیرها انما المخاطب بها المكلفون و الابریق لا یتوجه علیه خطاب ولا أمر الشرع فیہ بشیء و التزام هذه الاشیاء فی ضیق و حرج . وقد قال علیه الصلاة والسلام (ما تركته لكم فهو عفو) و اذا كان الامر كذلك فلا حرج فی وضع الابریق علی أی صفة كانت وكذلك فی بسط السجادة وغیرها فوافق السنة امتثلناه علی الرأس والعین و ما لم یرد فیہ شیء فقد وسعه الله علینا فلا نضیق علی أنفسنا باصطلاح من لیس بمعصوم ثم یتوضأ فاذا فرغ منه مشی بتؤدة الی موضع السجادة وهو مع ذلك لا یکلم أحدًا ولا یکلمه أحدًا لا بسلام ولا غیره فاذا جاء الی السجادة قدم رجله الیمنی فوضعها علی طية السجادة ثم قدم رجله الیسری فوضعها الی جانبها علی الطرف المطوی كما هو ثم یقدم رجله الیمنی فی وسط السجادة ثم الرجل الیسری ثم یرید تلك الطية یدیه .

أو يقدمه ويسمون هذه الطية قفل السجادة حتى لا يفتح ذلك غيره وهذا كله من محدثات الامور التي ليس لها أصل في الشرع الشريف فتعين اطراحها وترك المبالاة بها . ثم يصلى ركعتين والصلاة بهذا الوضوء فيها ما فيها لان هذا الوضوء ان كان لاجل دخول الرباط ليس الا فلا شك أنه لا يستباح به الصلاة كما قال علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن توضأ للأكل والشرب أو دخول السوق فلا يؤدي به عبادة يشترط الوضوء فيها وان توضأ لدخول الرباط وللحدث فيجری فيه الخلاف الذي بين العلماء اذا أشرك في النية هل يحزبه أم لا وأقل ما فيه بما لا ينبغي أن هذا الفعل كله انما هو لاجل رؤية الناس له وأنهم لا يتركونه يدخل الرباط الا على هذه الصفة فقد خرج الوضوء بهذا عن أن يكون لله وحده بل الشائبة فيه ظاهرة بينة والمريد لا يسامح نفسه في شيء من هذا كله فينبغي له أن يتوضأ بعد ذلك لاستباحة الصلاة ويتوب من عمل عمله لاجل رؤية الناس ثم انه اذا سلم من صلاة الركعتين المتقدمتي الذكرا أتى اليه بعض أهل الرباط فسلبوا عليه وبسطوا له الانس ويقوم هو اليهم ويعانقهم وهذا الذي فعلوه من سلامهم عليه وبسطهم له هو السنة عند اللقاء فأخرجوه عن موضعه المشروع الى موضع غير مشروع فيه . وأما قيامه لهم فليس من السنة في شيء لان القيام المشروع انما هو قيام الحاضر للغائب حين قدومه عليه . وأما المعانقة ففيها اختلاف بين العلماء ومذهب مالك رحمه الله كراهتها . ثم انهم يتكلمون عند ذلك بالكلام المعتاد بينهم الذي لا يخلو في الغالب من التتميق والتزكية وترفع بعضهم لبعض بأشياء الغالب عدم بعضها الا من وفق الله تعالى وقليل ما هم . واحتجوا على استحباب هذه الاصطلاحات واستحسانها وأمر الفقراء بها بأن مشايخهم قد قرروا لهم ذلك ليكون تحفظهم عليها علامة ودلالة على تحفظهم على بواطنهم مما يقع فيها فتكون آداب الظاهر دلالة على حصول آداب الباطن وهذه الطائفة يحسنون الظن

بمشايخهم وقد أمرهم بذلك فلا عتب عليهم في فعله بل هم في عبادة وخير وهذا الذى قالوه ليس بالبين لانه لو أجاز العلماء مثل هذا لكان ذلك كله ذريعه الى نسخ الشريعة بالآراء وغيرها فكل من ظهر له شيء أو استحسنت شيئاً جعله أصلاً معمولاً به ويرجع اليه ولا قائل به من المسلمين وهذا الدين والحمد لله قد حفظه الله تعالى من الزيادة فيه والنقص منه . ولا حجة في كون الفقهاء يحسنون ظنهم بمشايخهم لان تحسين الظن بهم له مجال متسع ماداموا على الاتباع للسنة والسلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين فحينئذ يرجع اليهم ويسكن الى قولهم وأما غير ذلك فاتباع السنة أولى وأرجى وأنجح بل أوجب مع سلامة الصدر لمن قال ما قال اذ أنه لم يقصد الاخيراً ولكن المريد يتعين عليه أن يكون ميزان الشرع في يده فان من وفى واعتدل فهو غنيمة ومن نقص فلا ضرورة تدعو الى الاقتداء به فيما خالف فيه السنة اذ أنه لا يتبع أحد في الغلط . وانظر الى قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الورد على الحوض (فيقال انهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقاً فسحقاً) أى فبعداً فبعداً . واذا كان كذلك فقد وقع العبد بسبب التبديل ولفظ التبديل يقع على القليل والكثير واذا كان الأمر كذلك فلا ضرورة تدعو الى الوقوع في مثل هذا الاحتمال والمقصود أن تكون السنة واتباع السلف رضى الله عنهم هما الاصل عنده فلا يعرج على غيرها ولو قال من قال . ولأجل هذا المعنى قال بعضهم ان المريد يعرف حين دخوله وماذا كان الا أن المريد يحافظ على السنة اذا استأذن ووقف بالباب حتى يؤذن له ثم دخل وقدم رجله اليمنى وأخر اليسرى ثم سلم السلام الشرعى علم أنه مريد لامثاله هذه السن الثلاث ألا ترى الى ما حكى عن بعضهم أنه جاءه مريد لزيارته فقدم اليه شيئاً للاكل فتناول المريد لقمة باليسار فقال له المزور من شيخك يابنى فقال له ياسيدى الناحية اليمنى توجعنى فقال له كل رضى الله عنك وعن ربك وقد

تقدمت هذه الحكاية لأن السنة في ابتداء الاكل أن يكون بناحية اليمين فلما أن رآه خالف هذه السنة عرض له بقوله من شيخك لينبهه بذلك على ما وقع فيه من مخالفة السنة فكان في المريد من اليقظة والحضور ما فهم به مراده فأجابه فكذا تكون المحافظة على السنة والاتباع وفقنا الله لذلك بمنه . وقد تقدم في لباس العالم وتصرفه ما فيه غنية عن اعادته لكن المريد يكون أشد حرصا على الاتباع لانقطاعه الى الله وتبته اليه وقد تقدم ما في تلك الثياب المذكورة من السرف فكذلك ما يشبهها أعنى من الوسع في الثوب الذى لا ضرورة تدعو اليه وان كان ثوب المريد قصيرا في الغالب لكنه احتوى على شيئين قيحين مخالفة السنة ووجود السرف فيه أعنى في الوسع الخارق الذى يفعله بعضهم

(نصل) واعلم ان الطريقة الصوفية نظيفة وأقل شيء يدنس النظيف لا جرم أنه قد كثرت الدليس والتخليط وظهر . وسبب ذلك أن كل طريقة ادعاه الانسان فضحته فيها شواهد الامتحان الا هذه الطريقة فانه لا يفتضح فيها غالبا وذلك لوجهين . أحدهما أن طريقهم مبنى على القوة والستر والعفو والتصفح والتجاوز والاعضاء عن العيون وكل من ادعى شيئا يخالف طريقهم ستروا عليه وجروا عليه أذبال الفتوة . والثاني أن كثيرا ممن تغير في هذا الزمان أقل ما يقع منه أن يقول لك حسدتنى ويقوم في حميته كثير من الناس فتداعى الفتن وتكثر الى غير ذلك من الحظوظ التى تعتورهم وهى كثيرة ولاجل ذلك سكت من سكت من أهل الصدق والاتباع فظن من لا علم عنده بحالهم السيئ أن سكوتهم رضا منهم بشئ مما راوه أو سمعوه ألا ترى أنهم اذا وجدوا من يقبل الحق منهم أقروا اليه ما يخلصون به مهجته من هذه الغمرات وساروا به وأقبلوا عليه لالحظ دنيوى بل يفعلون ذلك فرحا منهم بهداية شارد عن باب ربه عز وجل مضطرا الى من يوصله اليه . وقد ورد في الحديث عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى رضى الله عنه لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خيرا لك من حمر النعم فإذا وجد أحدهم السيل إلى شيء من هذا بادر إليه وإن كان ضده تغافل وتناسى لأجل ما تقدم . وقد تقدم أن اللعين بمكيدته وشيظنته يتبع السنن واحدة بعد واحدة يريد بذلك أن يبدل مكان كل سنة ضدها . ألا ترى أنه لما أن وجد المريد أكثر لباسه على ما ينبغي من القصر وغيره أدخل عليه ذنيسة قل من يشعر بها وهى وسع الثوب الخارج عن العادة وفيه شيطان مما لا ينبغي وهما اضاعة المال وهو محرم لمخالفة السنة وكفى بهما وقع بذلك من بعضهم ودس زيادة على ذلك وبدل ماهو أكبر من هذا وأكثر لكثير من العرب في طول ثيابهم حتى صارت اذا مشوا تنجر على الأرض وهذا محرم في حق الرجال متأكد فعله في حق النساء وبدل للنساء ضد ذلك وقد تقدم بيانه وزاد في ثياب بعض من نسب إلى العلم قريبا مما سبق في ثياب العرب . فالخلاص أنه حرم كل طائفة من الاتباع وأوقعهم في ضده ومع ذلك قل من يستيقظ لما ألقاه إليه من هذه الدسائس بل تلقوها بالاقبال عليها لما ألقى إليهم من التعليل لكل واحدة لأن من عادته الذميمة تعليل ما يليق به إليهم وتحسينه لهم ليكون ذلك أدعى إلى القبول منه والحرص على فعله فانا لله وانا إليه راجعون على ما حصل من الغفلات عن لا يتفعل عنا ولا ينسانا وفي التلويح ما ينبغي عن التصريح والله المستعان بمنه وكرمه

فصل في ذكر بعض المتشبهين بالمشايخ وأهل الإرادة

وهذا باب متسع متشعب قل أن تنحصر مفسده أو يتعين ما يقع منه لكثيره لكن نشير إلى شيء منه ليستدل به على ما عدها والله المستعان . فمن ذلك أن كثيرا من الناس يدعى الدين والصلاح وأنه من أهل الوصول ويأتى بحكايات

من تقدم من الأكابر وبطريزها كلامه وهو مع ذلك يشير إلى نفسه بلسان حاله وأن عنده من ذلك طرفاً. وبعضهم يزعم أنه حصل له من ذلك الأمر حاصل ومنهم من له القدرة على تصنيف الحكايات والمراثي التي يختلفها من تلقاء نفسه سيما والعياذ بالله تعالى ما ابتلى به بعضهم من تجربته ودعواه رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأنه أقبل عليه وخاطبه وأمره ونهاه بل بعضهم يدعى رؤيته عليه الصلاة والسلام وهو في اليقظة وهذا باب ضيق وقل من يقع له ذلك الأمر الامن كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدت غالباً مع أنا لا تنكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم. وقد أنكر بعض علماء الظاهر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وعلل ذلك بأن العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبي صلى الله عليه وسلم في دار البقاء والرأي في دار الفناء. وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله يحمل هذا الاشكال ويقول ما قاله هذا القائل صحيح ولكن يرد ما ورد أن الله تعالى يوقف هذه الطائفة بين يديه ويقول عز وجل (أولياي لم أزو عنكم الدنيا لهوائكم على ولكن زويتها عنكم لتستوفوا اليوم نصيكم عندي اذهبوا فاخترقوا الصفوف فمن سلم عليكم من أجلي أو زاركم من أجلي أو أطعمكم لقمة من أجلي فخذوا بيده وأدخلوه الجنة فيأتون إلى المحشروم يحرون أذيال الفخر فيقول أهل المحشر يا ربنا ما بال هؤلاء دوننا فيقول الله عز وجل أتمتم في الدنيا مرة واحدة وهؤلاء كان الواحد منهم يموت في اليوم سبعين مرة) أو كما قال. وقال سيدي أبو مدين رحمه الله من مات رأى الحق ومن لم يمت لم ير الحق فإذا كان المرء إذا مات مودة واحدة رأى الحق فساالك بسبعين مرة في كل يوم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) فذهب الاشكال والمحمد لله وظهر الصواب والله المؤول في الثواب. ومنهم من يشير إلى نفسه بالكرامات وخرق العادات وهو عرى عنها بالاتصاف بضدها

ومنهم من يدعى رؤية المشايخ ولقبهم وهو مع ذلك لم يجتمع بهم ولا رآهم . ومنهم من يدعى صحبة بعض الشيوخ والاهتداء بهديهم وهو لم يجتمع بهم ولا هو على طريقهم بل رأى بعض من صحب الشيوخ وحكى عنهم فحكى ذلك عن نفسه ومنهم من يدعى رؤية الخضر ثم ان بعضهم يؤكد ذلك باليمين ليكون ادعى للقبول منه حتى لقد قال بعض من ينسب اليه شئ من هذا ان الخضر يأتيه في كل يوم ويقف على بابه أو دكانه ويتحدث معه وهو يبيع ويشترى وذلك كله تقول وافتعال لا أصل له ولا فرع مع أن هذا لا ينكر اذا وقع من أهله في محله . ومنهم من اذا أراد أن يلقي شيئاً مما يخطر له قدم قبله الاستشهاد بكتاب الله تعالى فيقول قال الله تعالى ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ ثم يحلف عند ذلك أنه رأى ورأى وأنه خوطب في سره والغالب أنك تجد كثيراً من العوام لغلبة الجهل عليهم بأهل الحق والخير والصلاح والاتباع اذا موه عليهم أحد من أهل التوبة انقادوا له وقالوا به واتبعوه ونزلوه المنزلة التي يدعيها أسأل الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه . وبالجملة فأحوالهم الرديئة لا تنحصر وفيما وقع التنبيه به كفاية ومقنع . هذا حال المستترين منهم . وأما غيرهم فقد خرقوا السياج (١) وليس العجب منهم بل العجب ممن يعتقدهم أو يميل اليهم مع ما هم فيه من مخالفة الشرع الشريف مثل ما يفعل بعضهم من أنه يظهر للناس الزهد في الدنيا وترك المبالاة بها حتى انه ليجلس مكشوف العورة وقد تقدم ذلك . ومنهم من يدخل النار على زعمه ولا يحترق بمرأى من الناس وذلك لو كان صحيحا لكان بدعة ومنكرأ اذا أن من شرط المعجزة اظهارها والتحدى بها ومن شرط الكرامة عكس ذلك فاذا أظهرها للناس فقد خرجت عن باب الكرامة . اللهم الا أن تقع ضرورة شرعية داعية الى اظهارها . مثل ما حكى عن بعضهم أنه كان في مركب موسوعة

قبحا فهاج البحر عليهم وكان القمح لبعض الطلبة المسلمين على الخلق في وقته فسمع النواتية وهم يقولون أن هذا القمح مكيل علينا فإن نقص منه شيء أخذنا الظالم به فالرأى أن نرمى الركاب في البحر ويبقى القمح فلما أن سمعهم قال لهم ارموا القمح في البحر وأنا الضامن له فأشهدوا عليه ورموا القمح حتى لم يبق الا القليل فمكن البحر فلما أن وصلوا الى البلد طالبوه بما التزمه فأمرهم أن يأتوا بالكيلين فجاءوا بهم فقال اكتالوا ما بقى من القمح فاكتالوه فوفى ما عليهم أعنى ما كان على النواتية مسطورا ثم رد رأسه الى أصحابه وقال لهم والله ما عملتها الا حقنا لدماء هؤلاء المسلمين. فما كان مثل هذا فهو الذي يظهره للضرورة الشرعية مع أن لدخول النار أدوية تستعمل حتى لا تعدو على من دخلها بمن استعمل تلك الأدوية لكن لو حضر أحد من أهل السنة ودخلها لاحترق صاحب البدعة والزعبله وخرج المحق سالما. وقد وقع ذلك في حكايات يطول تتبعها. منها الحكاية المستدة في مصباح الظلام للشيخ الامام الجليل أبي عبد الله ابن النعمان رحمه الله وما جرى للسني والبدعي في دخولها النار فخرج السني ولم يحترق وبقى البدعي حمة. وقد كان بعض من ينسب الى المشيخة يدخل أصحابه النار ولا يحترقون فقال لى سيدى أبو عبد الله الفاسى رحمه الله والله لولا أنى أخاف من سيدى الشيخ أن يطردنى لأخذت الشيخ نفسه ودخلت أنا وإياه النار حتى تنظر من يحترق فينا. وقد كان يبلاد المغرب من زمن قريب رجل يدعى الولاية وخرق العادة وكان اذا ورد عليه الفقراء والأضياف يعمل لهم فطيرا ويفته فى قصعة ويؤقى بها اليه فينصب يده عليها فيخرج من بين أصابعه عسل نحل فيلته به ويطعمه من هناك حتى يكفيهم ثم يرسل يده فينقطع فسمع به بعض الأكابر فى وقته فجاء اليه فلما أن جلس عنده قال له نريد أن تطعمنا من البسيطة التى تطعم الناس منها فقال نعم فأمر بالفطير على

العادة فأحضر فمد يده ليسيل العسل على العادة فلم يخرج شيء فقال له وأين ماتدعيه فقال انقطع الآن فقال لو كان حقا ما انقطع لان الباطل اذا حضره الحق زهق ثم عززه ووبخه بالكلام وقال له كنت تطعم المسلمين أبوالشياطين وأخرجه عن ذلك الحال وتوبه عنه . ومنهم من يظهر الكرامة بامساك الثعابين والانس بها وهذا فيه نافية من مخالفة الشرع الشريف والتعوي به على الأمة بما لاحقيقة له . اذ أن مثل ذلك يفعله كثير من الناس لمعيشتهم فكيف بعد كرامة . ومن ذلك أيضا ما يفعلونه من أكلهم الثعابين بالحياة بمرأى من الناس وذلك محرم أى لو كان صحيحا لأن أكلها لا يجوز الا بعد تذكيتها عند من يرى أكلها وهم يأكلونها من غير تذكية بل يؤدبون على كل أكلة من أكلاتهم تأديا بليغا رادعا ثم ان كان ذلك من غير حقيقة فهو من صنعة التارنجيات والسيما وماشا كلها وليس من باب الكرامة فى شيء . وكنت أعهد مثل هذه الأشياء ببلاد المغرب تفعل على أبوابها ويتضحك الناس عليها فى هوم ولعهم ويستغنون بسببها وهم فى هذه البلاد فى بعض الأماكن يعدونها من الكرامات ويعتقدونهم بسببها ومنهم طائفة استنت سنة سيئة وهم الذين يحلقون لحامهم وذلك مخالفة للسنة وارتكاب للبدعة لغير ضرورة شرعية . وأما اذا كان للضرورة مثل التداوى وغيره فحائز . ومنهم من يفعل عكس ذلك فلا يأخذون شيئا من شعور أبدانهم ويعلمون ذلك بأنه من حسن الصحة وذلك قبيح شنيع لانه يشبه فعل الرهبان وفيه المثلة والاستقذار وقد نهينا عن ذلك كله . ومنهم من يلبس الليف والأشياء التى لا تستر عند الركوع والسجود مثل الشعر وغيره وهذا أيضا من المثلة والشبهة والبدعة وكشف العورة وترك الصلاة اذ أنه لا يجوز كشف العورة ولا غيرها وأشنع من هذا كله وأقبح ما اتخذ بعضهم من لبس الحديد فيتخذ سوارين فى يديه كما تتخذهما المرأة من الفضة والذهب . وبعضهم يحمل فى عنقه طوقا

من حديد كالغل بل هو نفسه ويلقون في أذانهم حلقات من حديد . وبعضهم يجعل على ذكره طوقاً من حديد القفل ويزعمون أن شيوخهم حين يأخذون عليهم العهد يفعلونه بهم ويأمرونهم أن يلبسوه لمن اقتدى بهم ويقولون أن ذلك قفل على محل المعاصي حتى لا ترتكب ولا خفاء في تحريم هذا وشناعته وقبحه وأنه لا مدخل له في الشرع الشريف . ثم مع ادعائهم أن ذلك قفل على محل المعاصي يأتون بنقيض ما زعموا وهو أن فيهم شبانا لهم صور حسان وهم مقيمون معهم مساءً وصباحاً ويخلو بعضهم مع بعض دون تكبر . وقد قال بعض السلف رضي الله عنهم لأن أؤمن على سبعين عذراً أحب إلى من أن أؤمن على شاب . وبعضهم يتخذ حديداً كالعمود يمشى به . وقد ورد أن الحديد حلية أهل النار . وقد ورد (من تشبه بقوم فهو منهم) فيقعون في هذا الخطر العظيم بسبب الجهل والجهل بالجهل كل ذلك سببه مخالفة السنة المطهرة . وأشد من هذا كله أن أكثرهم يدعي أنه على الحق والصواب وأن طريقته هي المثلى ومنهم قوم تنزهوا عن هذه الرذائل وعابوا على فاعلها ثم انهم يقعون في أشياء مرددة نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه عنها وهي عندهم كأنها من شعار الولاية . فمن ذلك اتخاذ بعضهم الأعلام على رأسه وهو لا يتخلو أماً أن يكون ولياً لله تعالى على ما يزعم أم لا فإن كان ولياً فالولي لله تعالى لو قدر أن يدفن نفسه أو يكون أرضاً يمشى عليه لفعل حتى لا يكون مع الناس بالسواء فكيف ينشر الأعلام على رأسه وهذا من باب الشهرة والدعوى وأهل الإيمان برآء من ذلك كله . ألا ترى إلى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتميم الداري رضي الله عنه لما أن سأله أن يعظ الناس ويذكرهم فقال له أنت تريد أن تقول أنا تميم الداري فأعرفوني فكل من أراد الظهور فليس من أهل الطريق في شيء بل هو عكس حالهم ولولم يكن فيه إلا أنه بدعة ممن فعله فكيف

بانجرار هذه المفاسد التي وقعت بسبب الأعلام اذ أنهم يجتمعون رجالاً وشباناً فاذا أشرفوا على بلد ذكروا الله تعالى جهرًا يرفعون بذلك أصواتهم ولا يقصدون به الذكر ليس الا بل الأعلام لأهل تلك البلدة ومن قاربها بورود الشيخ والفقراء الذين معه حتى يخرجوا الى تلقيمهم فاذا سمعوا ذكرهم خرجوا اليهم رجالاً ونساء واختلطوا بهم فصاروا مجتمعين رجالاً ونساءً وشباناً وهذا فيه مافيه من مخالفة الشرع الشريف وقد تقدم غير مرة أن المرأة لا تخرج من بيتها الا لضرورة شرعية ومع ذلك فتكون اذا خرجت خرجت على الصفة المتقدمة ذكرها من الستر والمشى مع الجدران لا تتكلم الا لضرورة شرعية وهن اذا خرجن لقاتنهم خرجن منكشفات في الغالب وان تستر بعضهن فبعض تستر يرفعن أصواتهن بالزغاليط (١) ويسمع هن اذ ذاك ضجيج وذلك كله بمراى من الشيخ وعلمه بهم فما أقبح هذا وأبعد من ينتمى الى طريق أهل الدين والصلاح فكيف بمن يزعم أنه يدعو الناس الى الله تعالى فانا لله وانا اليه راجعون على انعكاس الأمور . وبعضهم يزيد على ذلك فعلاً قبيحاً فيه اضاعة المال وهو وقود الشمع نهراً حين يلتقونه ويقصدون بذلك القربة الى الله تعالى وهي هيات هيات . التقرب الى الله تعالى لا يكون الا بمثال أوامره لا بالوقوع في نواهيه بل هو نفس البعد والقلأ أسأل الله العافية من ذلك كله بمنه . ثم مع ذلك ينزل على أهل تلك البلدة بالجمع الذي معه ومفاسده قل أن

(١) قوله الزغاليط قال في شفاء الغليل زغلط اذا صوت بلسانه بغير حروف كما

تفعله نساء العرب . ولمحمد بن ستمديار

سماع غناء الطير للدوح مرقص ومن طرب بالزهر منه يقط

وللناس في عرس الربيع مسرة وللخلق حتى القرفيه يزغلط

وفي شرح القاموس ان زغردة النساء في الافراح من زغردة البير . وأما الزغاريت

والزراغيت فهو لحن ومعنى زغردة البير هديره الذي يردده في جوفه

تنحصر فن ذلك أنه يضر بحال كثير منهم بسبب تكلفه لهم أشياء من الأطعمة تليق بهم ويتفخرون بذلك وبعضهم يعيب على من أتى بطعام لا يختارونه وليت هذه الضيافة لو كانت عن طيب نفس لكنهم يقسطون ما ينفقونه في تلك الضيافة على الروس من غنى وفقير ومضطر ومحتاج وأكثرهم يتدانيون بسببها وبعضهم يعجز عن شيء يعطيه وعن يدايته فيهرب قبل وصول الشيخ إلى البلديتسلطون على بيته وهو غائب فيأخذون ما وجدوا من دجاج أو داجن وبعض من يعجز عن الهروب يمتحن مع كبراء أهل البلد بما يوجبون عليه ممالا قدرة له به وتفصيل أحوالهم في هذا المعنى تطول . وقد قال عليه الصلاة والسلام أنا وأمتي برآء من التكلف ولولم يكن من التكلف لهم إلا علف دوابهم لكان فيه من المحرم ما فيه . ثم مع ذلك لم يقتصروا على هذا التكلف العظيم حتى أضافوا إليه ما يأخذونه من الهدايا ويسمون ذلك بالفتوح للشيخ ولاصحابه كل على قدر حاله سيما صاحب المنزل الذي نزلوا عنده فهذه الوظائف أعنى الضيافة والعلف والفتوح للشيخ وجماعته لا بد له منها حتما ثم انهم لم يقتصروا على ذلك الأخذ للشيخ وحده حتى يأخذوا لخدام السجادة وقد تقدم أن السجادة في نفسها بدعة فكيف يتخذها خدام ثم يأخذون لخدام الأبريق ثم لخدام السماط ثم لخدام العكاز ثم لخدام الدابة أو الفرس ثم المزمرون الذين معه . ثم مع هذه الأحوال الرديئة يرقص بعضهم مع بعض نساء ورجالا وشبانا . ثم انهم لم يقتصروا على هذه المفاصد حتى آخى بعضهم بين الرجال والنساء من غير نكير ولا استخفاء في ذلك . ثم انهم لم يقتصروا على هذا الفعل القبيح حتى يقعد بعض النساء يلبس بعض الرجال ويرعمون أنها أخته من الشيخ وقد آخى فلا تحتجب عنه إذا أنها صارت من ذوى المحارم على زعمهم وكتب العلماء والحمد لله بين أيدينا وليس فيها شيء مما ذكره بل أفعال منهم وتقول باطل فن استحله منهم فقد خرج عن الدين ومن لم يستحله منهم فقد ارتكب أمرا

عظيماً يجب عليه أن يتوب ويقطع عما هو بسبيله من المخالفة والضلال . فإذا علم هذا من أحوال بعضهم فأى فرق والحالة هذه بينهم وبين الظلمة المتسلطين على الخلق بأخذ المال والأذية بل قد يوجد بعض الولاة يتحاشى عن مثل هذه الرذائل وينزه منصبه عنها فلا يأكل إلا من اقطاعه مع أن الولاة مأمورون بالاعتدال بالفقراء المتبعين فصار الأمر بالعكس إذ أنه يتعين على من اتصف بشيء مما تقدم ذكره في أمر من انتسب إلى الفقراء أن يقتدى بالوالى في هذا الفعل الحسن . وزاد بعضهم على هذا شيئاً قبيحاً وهو استهتار في الدين وزندقة فيقولون المال مال الله ونحن عبيد الله فلا فرق بيننا وبين صاحب المال لأننا شركاؤه فيه وهذا منهم حل ونقض للشرعية المطهرة وقد أبى الله ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمون . قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ وَيَأْتِي اللَّهُ الْإِنسَانَ الْآنَ يَتَمَّ نُورُهُ ﴾ فالشرعية والحمد لله مصونة عن الزيادة فيها والنقص منها فلا تزال على صفة الكمال حتى يأتي أمر الله . ثم العجب ممن يدعى المشيخة منهم والهداية لطريق القوم كيف يعطى الاجازات للفقراء من تحت يده بالمشيخة ولو سأله عن فرائض الوضوء أو سنته أو فضائله وكذلك في الغسل أو في التيمم أو في الصلاة لجعل ذلك غالباً وقد قال بعض العلماء إذا صلى المكلف وهو لا يعرف المفروض من المسنون فلا تصح صلاته وكذلك لو سأله عن مفسدات الصلاة لما عليها وكذلك لو سأله عن حكم السهو إذا طرأ عليه في صلاته لما عليه . فإذا كان هذا حاله في أمر وضوئه وصلاته اللذين بهما قوام دينه وصلاحه فما بالك به في غيرها وقد تقدم أن من لم يأتمنه الله عز وجل على أدب من آداب الشريعة فبعيد أن يؤتمن على سر من أسرار الله تعالى . فإذا كان هذا حال الشيخ في جهله بمبادئ أمر دينه فكيف بمن يصحبه أم كيف بمن يحيزه إذ الغالب ممن ينتمى إلى مثل هذا أنه لا يباشر العلماء إذ لو باشرهم لأنكر عليهم ما هم فيه فكيف يصحبه .

أوتبعهم على أن هذه الاجازة والحالة هذه لأصل لها في الدين ومع كونها لا أصل لها فالاجازة التي يعطونها شبيهة بالظلم . ألا ترى أنهم لا يعطونها في الغالب لمن سألها حتى يعطى على ذلك عطاء جزئيا بحسب حالها ويسمون ذلك بشكران الدخول في طريق القوم فيعطى الشيخ ما يليق به ولخداً الشيخ المتقدم ذكرهم ما يليق بدرجاتهم وكذلك الأكابر أصحاب الشيخ المذكور ولا بد من ليلة يطلبونها منه للسماح كل على قدر حاله ويختلطون كما تقدم . ثم مع هذا الحال لا يقتصرون على كتب الاجازات لمن طعن في السن ولمن له ثبوت في العقل من الكهول بل يعطونها للشبان المردان ولهم صور حسان فيتسلطون بسبب ذلك على الكشف على حريم المسلمين في بعض الأحيان والاماكن بسبب الاختلاط بهم من أجل الاجازات التي بأيديهم . هذا حالهم مع من سأل الاجازة منهم . وأما من لم يسألها فهو على قسمين اما أن يكون له وجهة أو جدة أو أحدهما ويعلمون من حاله أنه يميل الى شيء من أحوالهم واما أن يكون عاريا عن الوجهة والجدة وهو مع ذلك متشوف للاجازة كالأول . فأما الأول فيعملون عليه الحيل في ربطه عليهم وسكونه الى قولهم والرجوع اليهم فاذا ظفروا منه بذلك كلفوه التكاليف التي تضر بحاله وحال عياله غالباً . واذا كان كذلك فلا فرق اذن بين من هذا حاله وبين الطلبة الا أن الطلبة يفعلون ذلك بالعنف والقهر وهؤلاء يفعلون مثله بالحيل والخديعة . وأما ان كان فقيراً لآماله ولا وجهة فانهم يستخدمونه المدة الطويلة ليحصل لهم من تكلف الناس والتسلط عليهم والالحاح عليهم بالمسئلة على الغنى منهم والفقير حتى يحصل لهم ما يرضيهم كالأول وهذا أمر لا يمس أخلاق المسلمين في شيء اذ أن من أخلاقهم المناصحة بينهم والشفقة ورحمة بعضهم مع بعض نسأل الله السلامة من بلائه بمنه وكرمه .

(فصل) ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادئ أمر

دينهم كما تقدم فكيف بالالتما إلى المشيخة. وقد قال أهل التحقيق من أهل الطريق إن الفقير لا يكون فقيرا حتى يكون قلبه كأنه في كفه يعني من قوة معاينته له ونظره إليه فيعرف الزيادة فيه من النقص بديه. هذا حال الفقير المنفرد بنفسه دون أن يصل إلى اقتداء الغيرة. وأما الشيخ فلا بد له من زيادة على ذلك وهي أن تكون قلوب أصحابه كأنها في كفه وكذلك أحوالهم في تصرفاتهم وخواطرم فيعلم ما يزيد فيها وما ينقص منها فيريهم على ما يتحقق من حال كل واحد وينبهم على ذلك بحيث لا يشعر أحد من جلسائه بل الشخص نفسه قد لا يشعر بذلك في بعض الأحيان ولهم في معرفة هذا أمور وتصرف لا يعرفه غيرهم فإن كان الشيخ عاجزا عن هذه الرتبة أعنى أنه لا يعرف ما زاد في حال أصحابه وما نقص في غيبته فلا يدعى المشيخة ولا الهداية بل اخوان مجتمعون يتذاكرون في مسائل الدين ومناقب أهل الأحوال السنية فلعل بركة ذلك وبركة اجتماعهم تعود عليهم دون أن يدعى أحد منهم حالا أو مقالا هذا حال القوم مع وجود الاخلاص منهم والصدق والتصديق والركون إلى مولاهم في دقيق الأمور وجليلها والترام الوقوف يابه سبحانه وتعالى ومع هذه المقامات العلية والأحوال السنية لا يدعون لأنفسهم حالا ولا مقالا بل يقول أكثرهم إلى الآن ما أحسن أن أتوب حتى قال قائلهم

يظنون بي خيرا وما بي من خير ولكنني عبد ظلوم كما تدري
سترت عيوني كلها عن عيونهم وألبستني ثوبا جميلا من الستر
فصاروا يحبوني ولست أنا الذي أحبوا ولكن شهنوى بالغير
فلا تفضحنى في القيامة بينهم ولا تخزنى يارب في موقف الحشر
وقد قال بعض الساف الصالح رضى الله عنه لولده لما أن رأى منه شيئا لا يعجبه
يا بني أما تعرف قدرك فقال وما قدرى فقال له أملك اشتريتها بأربعمائة درهم

وأبوك لأكثر الله مثله في الاسلام . هذا مقالهم مع وجود الأحوال السنية منهم فما بالك بمن هو على العكس ثم مع ذلك يعطى الاجازات وتنصب بين يديه الأعلام والرايات فانا لله وانا اليه راجعون . وبعضهم يدعى الوله ويرتكب بسبب ذلك محرمات فيركب على جريدة قدصور لها وجهها وعينين وأنفا وفما وياخذ يده شيئا كأنه سوط ويركب تلك الجريدة ويمسكها بسير أو خيط كأنه لجام لها ويضربها ويمجى . وبعضهم يعلق فيها جرسا فاذا مشى يسمع له صوت قوى فيجتمع عليه النساء والرجال والشبان غالبا وقد يدخلونه بيوتهم ولا ينجتني منه أحد كأنه امرأة من جملة نسائهم ويعيرون على من استتر منه ويقولون هذا موله . وهذا أشد قبحا من الأول لأنه قد ينفرد وحده فيجد السبيل الى ما تسوله له نفسه من الرذائل بخلاف من تقدم ذكرهم . فكيف يدعى الولاية مع ارتكاب نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول (من صور صورة عذب حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا) ولا فرق بين من صورها أو استعملها أو رضى بها . وما العجب من هذا بل العجب من تلبس بشئ من العلم وهو مع ذلك يعتقد من هذا حاله ويصوب فعله بأن يقول هذا ولي الله وانما هو يخرب على نفسه وتخرب هذه الطائفة انما يكون بمالم يعارضهم فيه أمر ولا نهى وهذا قد عارضه النهى الصريح كما تقدم ولولم يكن للجريدة صورة لاحتمل التخريب وغيره . هذا ان كانت أوقات الصلوات عليه محفوظة وكذلك في سائر التكاليف الشرعية وهو يظهر الوله فيها عدا ذلك فهذا محتمل مع أنه لا ضرورة دعت الى الدخول في هذا الاحتمال اذ أن الله عز وجل لم يضيق على المكلف اذ العلماء والأولياء محفوظون في ظواهرهم وبواطنهم موجودون والحمد لله لا تخلو منهم الارض الى أن تقوم الساعة باخبار صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه

((فصل)) ثم ان مع هذا كله لم يكتفوا بهذه المفاسد حتى ضموا اليها

مفسدة أخرى وهى أخذ بعضهم العهد على من يريد الدخول فى الطريق من رجل أو امرأة أو شاب ليكونوا من خواصه وأتباعه . وبعضهم يحلقون شعر رأس من يتوب على أيديهم حين يأخذون عليهم العهد وهذا جهل منهم بالعهد وماهيته وكيفيته وحلق شعر الرأس لغير ضرورة شرعية من البدع وقد كان فى عهد السلف رضى الله عنهم من شعار أهل البدع وعلامة عليهم . هذا اذا كان الحلق لأجل الدخول فى الطريق وأما حلقه لكثرة الدواب أو غيرها فهو جائز غير مكروه

(فصل) ومن هذا الباب أيضا مايفعله بعضهم من تعليق السبحة فى عنقه . وقد تقدم قول عمر رضى الله عنه لتميم الدارى رضى الله عنه أنت تريد أن تقول أنا تميم الدارى فأعرفونى وما كان مراده الا أن يذكر الناس بالأحكام الشرعية المأمور باظهارها واشاعتها واظهار السبحة والتزيين بها لا مدخل لها فى ذلك بل للشبهة والبدعة لغير ضرورة شرعية . وقريب من هذا مايفعله بعض من ينسب الى العلم فيتخذ السبحة فى يده كاتخاذ المرأة السوار فى يدها ويلازمها وهو مع ذلك يتحدث مع الناس فى مسائل العلم وغيرها ويرفع يده ويحركها فى ذراعه وبعضهم يمسكها فى يده ظاهرة للناس ينقلها واحدة واحدة كأنه يعد مايدكر عليها وهو يتكلم مع الناس فى القيل والقال وما جرى لفلان وما جرى على فلان ومعلوم أنه ليس له الا لسان واحد فعده على السبحة على هذا باطل اذ أنه ليس له لسان آخر حتى يكون بهذا اللسان يذكر واللسان الآخر يتكلم به فيما يختار فلم يبق الا أن يكون اتخاذاها على هذه الصفة من الشهرة والرياء والبدعة . ثم العجب من يعد على السبحة حقيقة ويحصر ما يحصله من الحسنات ولا يعد ما اجتريحه من السيئات . وقد قال عليه الصلاة والسلام (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) فأرشد عليه الصلاة والسلام الى محاسبة المرء لنفسه فيما يتصرف فيه باعتقاده

وجوارحه ويعرض ذلك كله على السنة المطهرة فما وافق من ذلك حمد الله عز وجل وأثنى عليه وبقى خائفا وجللا خشية من دسائس وقعت له لم يشعر بها وما لم يوافق احتسب المصيبة في ذلك ورجع الى الله تعالى بالتوبة والاقلاع فلعل بركة التوبة تمحو الحوبة وينجبر بذلك ما وقع له من الخلل . وهذه الطائفة أصل عملها التحفظ من السيئات والهواجس والخواطر ثم بعد ذلك يأخذ في كسب الحسنات . وقد قالوا ان ترك السيئات أوجب من فعل الحسنات . لما في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام (اتق المحارم تكن أعبد الناس) وقد حكى عن بعضهم أنه بكى أربعين سنة فسئل عن سبب بكائه فقال استضافني أخ لي فقدمت له سمكا فأكل ثم أخذت ترابا من حائط جار لي فغسل به يديه فأنا أبكى على ذلك التراب الذي أخذته منذ أربعين سنة . وحكى عن آخر مثله فسئل عن ذلك فقال طلع لي طلوع فرقيته فاسترحت منه فأنا أبكى عليه لعدم رضائي بما فعله الله بي أو كما قال وأحوالهم في هذا المعنى قل أن تنحصر فإذا كان هذا حالهم في مثل ما وصفناه عنهم فبالك بمن يحمل الأثقال وأي أنقال ثم يحصر الحسنات ولا يفكر في ضدها فانا لله وانا اليه راجعون ثم ان بعضهم يحتاج بأنها محرمة ومذكورة فواسوأتاه ان لم يكن التحريك والتذكير من القلب فيما بين العبد وبين الرب سبحانه وتعالى . وقد تقدم ما ورد في الحديث (ان عمل السر يفضل عمل الجهر بسبعين ضعفا) هذا وهو عمل فبالك باظهار شيء ليس بعمل وان كانت صورته صورة عمل وما زال الناس يخفون أعمالهم مع وجود الاخلاص العظيم منهم وهم مع ذلك خائفون وجلون من دخول الدسائس عليهم فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون . وبالجملة ففعل ذلك فيه من الشهرة ما فيه وقد تقدم أن التاجر ينبغي له أن يكون عارفا بمحاولة ما يتجر فيه فلا يترك ماله فيه سبعون ضعفا يأخذ ماله فيه شيء واحد هذا مع السلامة

من الاوصاف المتقدم ذكرها فكيف به مع وجودها ثم انه مع ذلك يحرم نفسه فضل الذكر وعود بركته على أعضائه وجوارحه فلو كان يسبح ويعبد على أنامله لكان نور ذلك الذكر وبركته في أنامله . وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض أزواجه فرأى نورا في طاق فقال ما هذا النور الذي في الطاق فقالت يا رسول الله سبحتي التي كنت أسبح عليها جعلتها هناك أو كما قالت فقال عليه الصلاة والسلام هلا كان ذلك النور في أناملك فهذا ارشاد منه عليه الصلاة والسلام الى الافضل والاولى والارجح وقاعدة المريد أن لا يرجع الى عمل مفضول وهو قادر على ما هو أفضل منه . وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله اذا قرأ في الختمه يجعلها على ركبته معاً ويمسكها بيده اليسرى وجميع أصابع يده اليمنى تمر على الحروف التي يتلوها ويتعمد ذلك ويعلمه بأن يقول حتى يحصل لكل عضو حظه من العبادة لكي يكثر الثواب بذلك . فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل) ومنهم من بالغ في أخذ العهد الى حد لاشك في تحريره وابطاله فيقول انه اذا أخذ العهد على من يأخذه عليه ان المأخوذ عليه لم يبق له تصرف في ماله ولا زوجته ولا نفسه بل التصرف في ذلك كله للشيخ فان أراد أن يطلق عليه لزمه وان أخذ ماله لزمه الى غير ذلك ثم انهم مع هذه الشروط التي يشترطونها لو تصرف الشيخ في شيء من ذلك لكان سبياً للقطيعه والترك وليس هذا من صفة القوم ولا بمأثور عنهم ومنهم من يأخذ العهد على أن ينتمى لفلان من المشايخ دون غيره حتى كأن الطريق الى الله تعالى على عدد المشايخ فينتسبون اليهم كما ينتسب أهل المذاهب الى مذاهبهم فاذا انتسبوا الى ذلك فالطريق الحمدي أين هو وحصل بسبب ما تقدم بينهم تعصبات وشتآن كثير حتى صاروا أحزابا ووقع بعضهم في حق غير شيخه الذي ينتمى اليه أعاذنا الله من بلائه بمنه . والطريق الحمدي غير هذا كله . ولذلك كان سيدى أبو محمد المرجاني رحمه الله يقول

طريق القوم واحدة . وكان سيدى أبو محمد بن أبى جمره رحمه الله يقول سنة الاحباب واحدة يعنى أن مشربهم واحد وهو الاتباع وترك الابتداع ولا يظن ظان أن ما تقدم ذكره فيه انكار لاخذ العهد من أهله لاهله بشرطه المعتبر عندهم اذ أنه عليه درج السلف الصالح نفعنا الله بهم ولا تنكر أيضا الاتباء الى المشايخ بشرطه وهو أن يكون عند المريد شيخه وغير شيخه بالسواء بالنسبة الى الاتباع وترك الابتداع ويكون ايثاره لشيخه بسبب أنه كان وصوله الى الله تعالى على يديه فيرى له ذلك فهذا الاعتبار يقع التفضل لشيخه والاختصاص به دون غيره . وقد ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام (من صنع اليكم معروفًا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يأبى أن يأخذ العهد على أحد فسألته ما الموجب لذلك أهو بدعة قال لا ولكن عبد الله يعنى نفسه ليس كغيره فأخاف ان أخذت العهد على أحد فقد لا يوفى بما أخذ عليه من العهد فيقع له التشويش وأكون السبب فى ذلك فأتركهم رحمة بهم وشفقة عليهم وأعرض عنه الدعاء لهم بظاهر الغيب بالاستقامة أو كما قال . والحاصل من أخذ العهد هو أن يأخذ الشيخ العهد على المريد بأنه لا يراه الله حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره وهذا هو زبدته وأصله وبقيت تفاريده على هذا الاصل قل أن تنتهى وهى الامانة التى عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا . قال علماؤنا رحمة الله عليهم ظلوما لثفسه جهولا بأمر ربه وذلك راجع الى الغالب منهم والافكثير من وفى والحمد لله كثير من دخل فى جاه من وفى ولاجل هذا المعنى بقى كثير من المحققين ينتمون الى المشايخ ليكونوا فى حرمتهم واليه الاشارة بقوله فى الحديث اخبارا عن رب العزة عز وجل حيث يقول (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) فكما لا يشقى بهم جليسهم كذلك لا يشقى بهم معتمدهم ولا محبهم . وقد خرج

الترمذى عن أنس قال (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى قيام الساعة قال فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فلما قضى صلاته قال أين السائل عن قيام الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله فقال ما أعددت لها فقال يا رسول الله ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم الا أتى أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت) فأرأيت فرح المسلمين بعد الاسلام كفرهم بهذا الحديث ولا يظن ظان أن هذا معارض لقوله عليه الصلاة والسلام للسائل حين سأله مرافقته في الجنة فقال له عليه الصلاة والسلام أو غير ذلك فقال هو ذلك يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعنى على نفسك بكثرة السجود. لأن هذا طلب منصبا عظيما فأرشده عليه الصلاة والسلام الى الأسباب الموصلة اليه لقوله عليه الصلاة والسلام (أقرب ما يكون العبد في الصلاة وأقرب ما يكون في الصلاة اذا كان ساجدا) فأرشد عليه الصلاة والسلام لذلك وطالب المعية تشمله الدار وهي واحدة وان كانت المنازل تتفاوت فيها ولكن قد جعلت السعادة لمن نالها. لقوله عليه الصلاة والسلام (لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها) فاذا حصل له ذلك سلم من أهوال الدنيا والآخرة ومن العناء والتفريط. ومنهم من يفعل فعلا قبيحا حين يأخذ العهد على من يريد أن يدخل في طريقه فيكلفه أن يعترف بين يديه بكل ما فعله من الذنوب وفي هذا من مخالفة الشرع ما فيه وقد ورد أن الله عز وجل يقول يوم القيامة لبعض من فعل الذنوب (أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم) وقد ورد (كل الناس معافى الا الجاهرون) فاذا جاء أحد لمن تقدم ذكره ليتوب على يديه أوقعه الشيخ باعترافه في هذه المهالك فكان عدم التوبة به أولى والحالة هذه. وفي هذا تشبه بالتفسيرين لأن من عادتهم الذميمة اذا جاءهم أحد ليتوب على أيديهم يطالبونه بأن يسمى لهم

ذنبه ذنباً ذنباً ثم بعد ذلك يقبلون عليه . وقد قيل ان التشبه بالكرام فلاح وعكسه عكسه . فانا لله وانا اليه راجعون على تخليط أمور الدين بما ليس منه ولا فيه . ومنهم من ارتكب بدعة شنيعة آلت الى ترك الصلاة وتركها فيه اختلاف بين العلماء هل هو ارتداد أو ارتكاب كبيرة ممن فعله . وذلك أن بعضهم يلبدون شعور رؤسهم والغالب أن الجنابة تصيبهم فاذا اغتسلوا لم يمكنهم أن يوصلوا الماء الى البشرة وليس ثم عذر شرعى يحيز المسح على حائل عند من يقول به فصلاتهم على هذا باطلة . ثم ضموا الى هذه المفسدة مفسدة أخرى أعظم منها وهو أنهم معتقدون أنهم على الخير والصواب وعلى طريق السلوك والهداية . نسأل الله السلامة بمنه من بلائه . ومنهم من يتعانى اتخاذ الحروز الكثيرة ويجعلها فى عنقه كالقلادة للبرأة . ومنهم من يجعلها على صفة أخرى يتوشح بها وهذا شهرة ممن فعله وشوه ظاهر . وان كان يدعى أنه فعل ذلك للتبرك والتحفظ من العين ومن مرادة الجن فله طريق غير هذا بأن يعلق ذلك عليه من تحت ثوبه بحيث لا يشعر به ولا يظهر وأما على هذه الصفة المذكورة فيمنع لمخالفتها للسنة والسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين . ومنهم من يأخذ سبحة كبيرة ويلقها فى عنقه أو يتوشح بها ومع ذلك هو مشغول بالقليل والقال والتحدث فى أمور الغيب اظهاراً منه أنه يكشفها ويخبر بوقوعها ومنهم من يعرض عنها خيطاً من صوف على صفات وصنع فيقلدون به وذلك كله من الشهرة أو الشهوة والبدعة والخروج عن الاتباع للسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين . ومنهم من يفعل فعلاً قبيحاً شنيعاً رذلاً يأباه الله ورسوله والمؤمنون وهو أن يكون مع الناس فى الجامع ينتظرون الصلاة فاذا قامت الصلاة وقام الناس اليها قام هو فى جملتهم فاذا ركعوا وسجدوا بقى واقفاً ينظر اليهم لا يحرم ولا يركم ولا يسجد ثم يتمادى على ذلك حتى يفرغ الناس من صلاتهم

وأقبح من هذا وأرذل من يعتقد من هذا حاله ويرى أنه بمن يتبرك به وأنه من
الواصلين ويتأول بأنه يصل في مواضع أخر وإنما هذا منه تخريب على نفسه
حتى لا يشهر ولا يعتقد وتأويلهم هذا من السخافة والحق ومخالفة الشريعة المطهرة
وعدم الغيرة في الدين واصطلاحهم على الرضا بترك هذه الشعيرة العظمى التي
هي عماد الدين ورأسه وأول أركانه بعد كلمتي التوحيد اذان من رأى ولم ينكر
كمن فعل ولا ضرورة تدعو الى التخريب لأن من مشى على لسان العلم واتبع الحق
والسنة المحمدية واقتنى آثار السلف الماضين رضى الله عنهم سيما ان أنكر
عليهم ما هم فيه من عوائدهم الذميمة المخالفة للسنة فالغالب من حال أهل هذا
الزمان النفور منه لأنهم يزعمون أنه قد ضيق عليهم وهو انما ترك العوائد
والابتداع واتبع السنة المحمدية وتمسك بها وعادة النفوس في الغالب النفور من
الحكم عليها . وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا حق ما أبقيتلى حياء . وقد
كان السلف رضى الله عنهم على عكس هذا الحال من اتباع السنة أحبوه واعتقدوه
وعظموه ووقروه واحترموه ومن كان على غير ذلك تركوه وأهملوه ومقتوه
وأبغضوه حتى كان من يريد الرفعة عندهم والتعظيم ممن لاخير فيه يظهر الاتباع
حتى يعتقدوه على ذلك . وأما اليوم فيعتقدون ويحترمون من يفعل العوائد
المحدثه ويمشى عليها ولا ينكر على أحد ما هو فيه فمن أراد التخريب في هذا
الزمان فليتبّع السنة المطهرة فانهم ينفرون عنه ولا يعتقدونه غالباً لانكاره
ما هم فيه حتى قد ينفر عنه أبواه وأهله وأقاربه لمخالفته ما هم عليه . ثم ان المخرب
لا يخلو حاله من أحد أمرين اما أن يعتقد حل ذلك أم لا فان اعتقد حله فهو
كافر وأما ان فعله مع اعتقاد تحريمه فهو فاسق على ما قاله العلماء . وأما المكروه فقد
قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان المداومة على المكروه يفسد فاعله . ثم انهم يتغالون
في اعتقادهم فيقولون هذا بدل هذا قطب الى غير ذلك . وهذا اللفظ لا يحسن أن

يطلق على من اتبع السنة وبذل جهده في الاتباع فكيف يطلق على من تلبس بشيء من المحرمات أو المكروهات أو همامعا . ثم ان المتبع من الناس في اعتقاده على قسمين . ففهم من يحمل جميع أفعاله وأقواله كلها على سبيل الورع فأى شيء فعله أو قاله أو أشار اليه من اتباع الأمر واجتناب النهى مثل أن يقول هذا موضع لا أدخله لأجل أنه مغصوب أو استعمل المسلمون فيه الغضب أو غير ذلك فيقولون هذا من باب الورع هذا ليس بمتبع وقد دخله فلان وفلان ويحتجون بمن لا يحتاج به وان كان في بعضهم أهلية للاحتجاج به فقد تكون له أعذار في ارتكاب ذلك في خاصة نفسه ولا يلزمه أن يبين عذره فيما وقع منه . وقد قال مالك رحمه الله ما كل الاعذار تبدى . وإذا كان كذلك فلا يجوز أن يقتدى به في هذا وما شا كله اذ أن اتباع لسان العلم هو المتعين على الناس عموما وخصوصا وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول انى لا أتكلم بالورع في هذا الزمان والناس يحملون ما أتكلم به على سبيل الورع وليس كذلك فصار لسان العلم عندهم ورعا وترتبت على هذا مفسدة عظيمة وهى أنهم ينسبون كثيرا من الشريرة الى الورع فيتركون بسبب ذلك الاتباع وباب الورع ضيق لا يدخله الا الأفاذا اذ ليس هذا زمان الورع غالبا وما يتعللون به من ذكر الورع انما هو من تسويل النفس والهوى والشيطان ليثبط عن بركة الاتباع . والقسم الثانى وهو غير المعتقد يقول هذا يابس مشدد مربوط يشير بكلامه وحاله الى أن غيره على الباطل وهو على الحق والطريق المستقيم . وكلامهم هذا يرد ماورد في الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتى قيل يا رسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون اذا فسد الناس) وفي رواية الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سننى وروى أبو داود في سننه عن على بن أبى طالب

كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كيف بكم إذا فسق
فتيانكم وطني نساؤكم قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكائن قال نعم وأشد كيف
بكم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكائن
قال نعم وأشد كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا) والاحاديث
في هذا المعنى كثيرة والله الموفق

(فصل) ثم إن غالب حالم أن اعتقادهم يدور بين أمرين . فمنهم من
يكون اعتقاده شهوة فيعتقده مدة ثم ينحل عن اعتقاده . ومنهم من يدوم اعتقاده
لكن يزيد في اعتقاده ويتغالى فيه فيقول هنا بدل هذا قطب كما تقدم . وكذلك
يقولون في حق غيره فيتناقض قولهم إذ أن القطب إنما هو واحد وهو أعز من
أن يجتمع به إلا الواحد من الأقداد ومع ذلك قل من يعرفه لأن صفته كما قال
الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله في كتاب الأنوار له والله
سبحانه وتعالى يدير القطب في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك
في أفق السماء وقد سترت أحوال الغوث وهو القطب عن العامة والخاصة غيره
من الحق عليه غير أنه يرى عالما جاهلا أبله فطنا تاركا آخذا قريبا بعيدا سهلا
عسرا آمنا حذرا . ومنهم من إذا حصل له اعتقاد في شيخ بعينه نقص غيره أو
فضله على غيره ويقع بسبب ذلك شأن بين أصحابهم ومن يتمنون اليهم حتى
أنهم ليرجعون أحزابا ويهجر بعضهم بعضا لعدم تسليم كل واحد منهما لصاحبه
كما تقدم . وقد حدثني بعض الفقهاء من كان يحضر مجلس سيدي أبي محمد
المرجاني رحمه الله أنه كان يسمعه وهو يعظم سيدي أبا محمد بن أبي حمزة رحمه
الله فكان هذا الفقير يقول في نفسه ما هذا الرجل كبير القدر مثل هذا السيد
يعظمه قال فضيت يوما إليه حتى أراه فدخلت إلى المسجد وهو يتكلم في الدرس
والقارىء يقرأ عليه فرأيت عبارته دون عبارة سيدي أبي محمد المرجاني رحمه الله

فتمجبت وقلت في نفسي أمثل هذا يكون أفضل من سيدى أبى محمد المرحاني فاستبعدت ذلك فرد الشيخ رحمه الله رأسه الى ونظر لى ثم رجع يتكلم فيما كان بسيله فقال فى أثناء كلامه ينبغى للفقير اذا دخل على الشيوخ أن لا يفضل من تلقاء نفسه شيئا على غيره يامسكين هذا الذى تفضله لو سألك عن فضلك عليه كان جوابه أن يقول هو بركتى وهو كذا وكذا أرجو من الله تعالى أن ينفعنى به الى غير ذلك فرب ساكت أفضل من ناطق فيجئ أحدكم يفضل من يخطر له بما يخطر له أجا لك أحد من عند الله تعالى وأخبرك أن فلانا عنده أفضل من فلان فهذا من قلة الأدب والاحترام فنب الى الله تعالى وارجع اليه ما كفى أن أحدكم يحرم العمل حتى يحرم الاعتقاد ما هذا الحال . قال فبقيت أتوب وأستغفر الله لعله يسكت فما سكت الا بعد حين أو كما قال . واذا كان ذلك كذلك فلا ينبغى أن يفضل بين شيخين الا بأحد أمرين . بأن يكون أحدهما أكثر اتباعا للسنة المطهرة من الآخر . أو يكون الذى يفضل أعلى مقاما منهما فيكشف عليهما لأن من هو فى مقام يكشف على من هو دونه ولا يكشف على من هو فوقه لأن النبي صلى الله عليه وسلم كشف على مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يكشف على مقامه الخاص أحد منهم . ولا يرد على هذا كون المريد يعظم شيخه ويؤثره على غيره ممن هو فى وقته لأن تعظيمه له انما هو من جهة أن الله تعالى قد قسم له على يديه رزقا حسنا كما تقدم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (من رزق فى شيء فليزره) وقال فى حديث آخر (جلت القلوب على حب من أحسن اليها) ولا شك أن الاحسان بما يبقى هو أفضل وأعلى من الاحسان بما يفنى وحقيقة المريد مع شيخه أن الشيخ وجده غريقا فى بحر التاف فأنقذه وخلصه منه وأوقفه بباب ربه سبحانه وتعالى ولا احسان أعظم من هذا الاحسان . ووجه آخر وهو نجبة المريد لطاعة ربه عز وجل فلما

أن رأى عند شيخه ما يحبه التزمه لمحبيه الذى وجده عنده . وقد كان بعض الناس يخدم بعض أبناء الدنيا ويحبه ويؤثره بالخدمة له فعذله بعض الناس على التزام خدمته له وهو لا يعطيه شيئاً فكان جوابه أن قال محبوبي عنده . وقيل لآخر أيضاً وقد رآوه واقفاً يباب عدوه فعذله في ذلك فأخبر بما تقدم وهو أن محبيه عنده والمريد بنيتة ومخاطره وكلية راغب في طاعة ربه عز وجل متسبب في الوصول اليه فاذا رأى من هو مثله أو أرفع منه قد أحكم الطريق وعرفها أحبه والتزمه وأنس به لما حصل عنده من المحاسن الجميلة . فالحاصل من هذا أنه يعظمه لما خلع الله عز وجل عليه من الخلع السنية الشاهدة له بالقرب من المولى سبحانه وتعالى . ومنهم من يظهر له شيء من الكرامات فيغتر بها فيتلف حاله بسببها . ومنهم من يسلم بواسطة أحد من الاولياء كما جرى لبعض المريدين بمدينة فاس أنه بات ليلة في زاوية خارج البلد فطلع على سطح الزاوية في ليلة مقمرة فأعجبه ضوء القمر فخطر له أن يجرب نفسه في الطيران هل يقدر عليه أم لا فجرب نفسه فطار في الهواء فدخل البلد من أعلى سورها وهو طائر فقال أى موضع أقصده فوقع له أن يأتي الى زيارة بعض الاكابر من المشايخ في وقته فأتى الى باب داره ونزل ودق الباب فخرج اليه الشيخ فقال له من أنت فقال فلان فقال له ما وجدت شيئاً تأتيني به الا بهذه الكرامة . والله لا كلمتك بعدها أبداً فأدبه بذلك وكان سبب اجتماعه على ربه عز وجل وسلامته أو كما جرى . ومثل هذا ما حكى عن بعض المريدين أنه كان يحضر مجلس شيخه ثم انقطع فسأل الشيخ عنه فقالوا له هو في عافية فأرسل خلفه فحضر فسأله ما الموجب لانقطاعك فقال ياسيدى كنت أجيء لكى أصل والآن قد وصلت فلا حاجة تدعو الى الحضور فسأله عن كيفية وصوله فأخبره أنه في كل ليلة يصلى ورده في الجنة فقال له الشيخ يا بنى والله ما دخلتها أبداً فلعلك أن تتفضل على فتأخذنى معك لعلنى أن أدخلها كما .

دخلتها أنت قال نعم فبات الشيخ عند المريد فلما أن كان بعد العشاء جاء طائر
فنزول عند الباب فقال المريد للشيخ هذا الطائر الذي يحملني في كل ليلة على ظهره
الى الجنة فركب الشيخ والمريد على ظهر الطائر فطارا بهما ساعة ثم نزل بهما
في موضع كثير الشجر فقام المريد ليصلي وقعد الشيخ فقال له المريد يا سيدي
أما تقوم الليلة فقال الشيخ يا بني الجنة هذه وليس في الجنة صلاة فبقى المريد
يصل والشيخ قاعد فلما أن طلع الفجر جاء الطائر ونزل فقال المريد للشيخ قم
بنا نرجع الى موضعنا فقال له الشيخ اجلس مارأيت أحدا يدخل الجنة ويخرج
منها فجعل الطائر يضرب باجنحته ويصيح حتى أراهم أن الارض تتحرك بهم
فبقى المريد يقول للشيخ قم بنا لئلا يجرى علينا منه شيء فقال له الشيخ هذا
يضحك عليك يريد أن يخرجك من الجنة فاستفتح الشيخ يقرأ القرآن فذهب
الطائر وبقي كذلك الى أن تبين الضوء واذا هما على مزبلة والعذرة والنجاسات
حولهما فصنع الشيخ المريد وقال له هذه هي الجنة التي أوصلك الشيطان اليها
ثم فاحضر مع اخوانك أو كما جرى . وحكاياتهم في هذا المعنى قل أن تنحصر
والحاصل منه أن الشيطان لا يترك أحدا ولا يأس منه الا بعد خروج روحه
وأما قبل ذلك فيضرب عليه بخيله ورجله ويستعمل حيله كلها . وقد تقدم بعض
هذا واذا كان ذلك كذلك فيتعين على المريد أن لا يدعى حالا ولا مقاما خيفة
أن يفسد على نفسه ما من به عليه ان كان حقيقة أو يكون من الشيطان ابتداء
وكثير من الناس في هذا الزمان ممن ليس له رسوخ في الطريق بل بعضهم
مغموس في الجهل ويدعى أنه من الشيوخ الموصلين الى الله وليس له ذوق في
طريق القوم بالكلية بل عكسه . أسأل الله السلامة بمنه . ومنهم من يفعل فعلا
قيحا شنيعا في مطالبة بعضهم لبعض وقيام المستغفر مكشوف الرأس زمنا
طويلا وربما كان معتل الدماغ فتأخذه نزلة سيما ان كان في وقت البرد وقد

يؤول الأمر من ذلك الى الموت أو الى أمراض خطيرة قد تطول عليه المدة بالعلل . ثم ان بعضهم زاد على ذلك أن يفعله بمشهد من الناس عامة وذلك مخالف لطريق القوم لانهم اذا كانت مطالبة بعضهم لبعض فانما يكون ذلك فيما بينهم مستترين لا يخاطبهم غيرهم لانهم كما قيل لا يطلع عليهم الا ذو محرم ومحرمهم من كان منهم أعنى من أصحاب الحرقة دون غيرهم . ويزيد بعضهم حمل الأقدام ويقف طويلا بها ينتظر اقبالهم عليه . وبعضهم يبالغ في هذا المعنى فيأمر بكشف رأس الجاني على زعمه وضربه بالجماجم (١) والجريد وغيرها وهذا قبح وشناعة أن ينسب هذا لمن يدعى الطريق وطريق القوم غير هذه الطريقة اذ أنها مبنية على الصفع والتجاوز والاعضاء ما لم يكن في أمر الدين فان كان في أمر الدين فيكنى فيه الهجران لا غير وفيه مقنع للجاني والمجنى عليه وغير هذا ليس من السنة في شيء . وطريقهم أنهم اذا وقع أحد منهم في مخالفة يطالبونه بالتوبة والاقلاع عما وقع فيه . ثم زاد بعضهم على ذلك اعتقادهم أنه من طريق القوم الصادقين وقد تقدم كيفية ما يفعله الصادق منهم مع اخوانه اذا اطلع على شيء من المكروه الذي وقعوا فيه وأنه يتوجه الى الله تعالى في انقاذ من وقع منه ذلك . وينبغي أن تكون المطالبة للشيخ أكد من المطالبة للمريد لان بغفلة الشيخ عنه جرى عليه ما جرى فلو كان الشيخ يلحظه لما قدر على ذلك في الغالب . ألا ترى الى ما جرى لسيدى أبى على بن السباط شيخ سيدى أبى محمد المرجاني رحمه الله تعالى أن بعض أصحابه جاء اليه وطلب منه اذنا أن يتزوج فأبى عليه ثم جاءه ثانياً فأبى عليه ثم ثالثاً كذلك فقال أرزني قال اذهب فذهب المريد فأخذ امرأة وجاء بها الى بيته وأغلق الباب واذا بالحائط قد انشق ودخل عليه الشيخ فخرج هارباً يسبح في البرية بحال أخذه لا يعرف أين يذهب ثم رجع اليه عقله بعد ذلك

(١) الجماجم جمع ججم وهو المداس «عرب»

فقال من أين أصابني المرض من هناك أتناوى فرجع الى موضع الشيخ فدخل وسلم عليه فقال له الشيخ رحمه الله أقدرت على شيء تفعله أنتظن أنك لنفسك بل كثير منهم لا يتحملون أن يروا من ينتمى اليهم في ذرة مما لا ينبغي . ألا ترى الى ما حكى عن بعضهم أنه رأى بعض أصحابه في الصف الأول وللقرب من الخطيب له مالى أراك هنا فقال له لأجل فضيلة الصف الأول وللقرب من الخطيب فقال له أما تعلم أن البعد من هؤلاء القوم أقرب الى الله تعالى من القرب منهم وما ذاك الا لمشاهدة ما الشرع يأمر بتغييره عليه . أقل ما يمكن في التغيير أن لا يرى شيئاً يخالف السنة حتى يتعين عليه التغيير بالقلب اذ أن أصعب ما في التغيير التغيير بالقلب لان الغالب على القلب تدنيسه بما يشاهد ويرى ويسمع فقل أن يتأثر مع مداومة هذا الحال عليه فالتغيير بالقلب وإن كان دون المرتبتين اللتين قبله فهو أصعب منهما بهذا الاعتبار فتأمل . وما ذاك الا لتأنيس القلوب غالباً بالعوائد المستمرة . ألا ترى الى ما حكى عن بعضهم أنه قال أول بدعة رأيت بلبت الدم وقد تقدم ذلك . وقد ورد (ولو البدع ظهوركم) وكذلك ورد (من لم يزل المنكر فلينزل عنه) فكيف يقبل المكلف على شيء من ذلك أو يصنع اليه وأما إن فاجأه ذلك وعجز عن التغيير فالتخلص منه أقرب وأيسر . لما ورد فيمن لم يقدر على التغيير أن يقول اللهم ان هذا منكر ثلاثاً . ثم ليضر لسيله ويعرض عنه

فصل في مكاتبه الفقير لأخيه

وينبغي له أن يجتنب ما اعتاده بعض الناس في مكاتبه بعضهم لبعض بالألفاظ التي احتوت على التزكية والتعظيم والكذب والتنميق والقوافي والسجع وال عبارات القلقلة والتكلف اذ أن ذلك لا يجوز . ألا ترى أن كتب السلف رضى الله عنهم بعضهم الى بعض على منهاج غير هذا . فمن ذلك كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضى الله تعالى عنه الى من يكاتبه من ولاته . من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة
ابن الجراح الى خالد بن الوليد الى عمرو بن العاص . وكتبهم له . من أبي عبيدة الى
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فوصفوه بالصفة الملازمة له . فان قيل قد كتب
النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل : من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم .
فالجواب ما قاله القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في سراج المريدين له أن معنى
كتب النبي عليه الصلاة والسلام الى هرقل عظيم الروم أى الذى يعظمه الروم
وتعظيم الروم له باطل ولكنه موجود حقيقة فلذلك وصفه النبي صلى الله عليه
وسلم به . وعلى هذا درج السلف والخلف رضى الله عنهم . وتعظيم هذه الطائفة
انما هو بالقلوب لا بالقلقة من الألسن كما هو الحال فى هذا الزمان فهذه بعض
نبيذ يستدل بها على ما عداها . وأما طريق كثير من الفقراء المسافرين أعنى غير
المحققين منهم فلمهم اصطلاحات وعوائد قل أن تجد للاتباع فيها سبيلا . فمن ذلك
ما كانوا يوجبونه على من يريدون أخذ ثيابه وغيرها من مطالبات كثيرة يسمونها
شغل الفقراء وليس هذا الحال خاصا بهم وذلك كله ممنوع فى الشرع الشريف
لقوله عليه الصلاة والسلام (لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه) وهم
يأخذون ذلك بغير طيب نفس من صاحبه حتى انهم ليكلفون من كان فقيرا الى
المسألة بالالحاح وتكليف الناس كما تقدم من فعلهم فى الضيافات والاجازات
وأحوالهم فى هذا المعنى قل أن تنحصر . وفيما ذكر تنبيه على ما عداه والله الموفق

فصل فى صرف هم المريد كلها الى الآخرة وأمورها

وينبغى له أن يكون أم الامور عليه وآكدها عنده أمور الآخرة اذ أنه مصيره
اليها فيتبين عليه اثارها ولا يعبأ بغير ذلك الامن طريق الامتثال لأن غير
أمر الآخرة منقطع زائل وما هو كذلك فأمره أقرب وأيسر من الدائم الذى

لا ينقطع . ألا ترى الى حال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف كان على ما وصف
الواصف متواصل الاحزان . وقد كان الحسن البصرى رضى الله عنه قد غلب
عليه هذا المعنى حتى كأنه يقدم للقتل على ما نقل عنه . وكان يقول أعجب من
يملاً فاه بالضحك وهو لا يعلم في أى ديوان اسمه هل في الجنة أو في النار . وقد
سأل رجل أحمد ابن حنبل رحمه الله أن يعظه فقال له الامام أحمدان كان الله قد تكفل
بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان
كان الخلف على الله حقا فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان
كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كان سؤال منكرو ونكير حقا فالانس لماذا
وان كانت الدنيا فانية فالطهائنة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان
كان كل شئ بقضائه وقدره فالحزن لماذا . وقد قالت رابعة العدوية لرجل رآته
مهموما ان كان همك من أمر الآخرة فزادك الله هما وان كان من أمر الدنيا
ففرج الله همك . وقد أشد بعضهم في هذا المعنى فقال

لا تجزعن اذا ما الامر ضقت به ذرعا ونم وتوسد خالى البال

ما بين غمضة عين واتباهتها يغير الله من حال الى حال

(فصل) هذا ما تيسر من الكلام على آداب المريد وينبغي أن نختمه

بذكر شئ من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذكر آثاره وأحواله ولكي
يكون سلبا للمريد في اتباعه عليه الصلاة والسلام في تصرفاته وحرركاته
وسكناته وإشاراته . فمن ذلك ما ذكره الباجي رحمه الله في كتابه المسمى
بسنن الصالحين وسنن العابدين . قال مالك ان رجلين كانا جالسين يتحدثان
وكعب الاحبار قريب منهما فقال أحدهما لصاحبه انى رأيت في المنام كأن
الناس جمعوا ليوم القيامة فرأيت النبيين لهم نوران نوران ولا تبعهم نور نور
قال ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم مائنا شعرة في جسده ولأرأسه الاوفيا

نوران ورأيت أتباعه لهم نوران فقال له كعب اتق الله وانظر ماذا تحدث به فقال إنما هي رؤيا رأيتها فقال كعب والذي نفسي بيده انه في كتاب الله المنزل لكما ذكرت . ومنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فخن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم . بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول) بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حبرا انفجر منه الأنهار فما ذاك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك . بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فما ذاك بأعجب من البراق حين سريت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك . بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله تعالى احياء الموتى فما ذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كنتك وهي مسمومة فقالت لانا كلتي فاني مسمومة . بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا عن آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأيت أن تقول الا خيرا فقلت (اللهم اغفر لقومي فانهم

لا يعلمون) بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد أتبعك في أحداث سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل . بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوؤا لك ما جالسنا . ولولم تنكح الا كفوؤا لك ما نكحت النسا . ولولم تواكل الا كفوؤا لك ما آكلتنا . ولبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك . ومن كتاب التفسير للطبري رحمه الله كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف ويتعل الخصوف ولا يتأنف من ملبس . يلبس ما وجدته مرة شملة ومرة بردة حبرة ومرة جبة صوف . وكان يلبس النعال السبئية ويتوضأ فيها وكان لنعليه قبالان وأول من عقد عقداً واحداً عثمان وكان أحب اللباس اليه الحبرة وهي برود اليمن فيها حمرة وياض . وكان أحب اللباس اليه القميص وكان اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة كان أو قميصا ورداء ويقول اللهم لك الحمد كما أبستني أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له . وكان يعجبه الثياب الخضر . وكان يلبس الكساء الصوف وحده فيصل فيهِ وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه ويصل فيهِ . وكان يلبس القلانس تحت العمام ويلبسها دون العمام ويلبس العمام دونها ويلبس القلانس ذات الأذان في الحرب وربما نزع قلنسوته وجعلها ستره بين يديه وصلى اليها وربما مشى بلا قلنسوة ولا عمامة ولارداء راجلا يعود المرضي كذلك في أقصى المدينة وكان يعتم ويسدل طرف عمامته بين كتفيه وعن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة وسدل طرفها بين كتفي وقال (ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركون) وكان يلبس يوم الجمعة بردة الاحمر ويعتم . وكان يلبس خاتما من فضة فصه منه نقشه محمد رسول الله في خصره الايمن وربما لبسه في الايسر ويجعل فصه

مما يلى بطن كفه . وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة
 وكان يقول (ان الله تعالى جعل لذى فى الدنيا النساء والطيبوقرة عيني فى الصلاة)
 وكان يتطيب بالغالية وبالمسك حتى يرى ويصه (١) فى مفارقة ويتخير بالعود
 ويطرح فيه الكافور . وكان يعرف فى الليلة المظلمة بطيب ريحه . وكان صلى
 الله عليه وسلم يكتحل بالآثم فى كل ليلة ثلاثا فى كل عين وربما اكتحل ثلاثا
 فى اليمنى واثنين فى اليسرى وربما اكتحل وهو صائم . وكان يقول عليكم
 بالآثم فانه يحلو البصر وينبت الشعر . وكان يكثر دهن رأسه ولحيته . وكان
 يترجل غبا . وكان ينظر فى المرأة وربما نظر فى الماء فى ركوة فى حجرة عائشة
 وسوى جته . وكان لا تفارقه قارورة الدهن فى سفره والمكحلة والمرأة والمشط
 والمقراض والسواك والخيوط والابرة فيخيط ثيابه ويخصف نعله . وكان
 يستاك بالاراك وكان اذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك ويستاك فى الليلة
 ثلاث مرات قبل النوم وبعده عند القيام ولورده عند الخروج لصلاة الصبح
 وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الأخدعين وبين الكتفين واحتجم وهو
 محرم بمكة على ظاهر القدم . وكان يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى
 وعشرين وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الاحقا . دخل يوما على أم
 سليم وقدمات نغرابها (٢) من بنى أبى طلحة فقال له يا أبا عمير ما فعل النغير وجاءته
 امرأة فقالت يا رسول الله احملى على جمل فقال احملك على ولد الناقة وجاءته امرأة
 فقالت يا رسول الله ان زوجى مريض فقال لعل زوجك الذى فى عينه يياض
 فرجعت المرأة وفتحت عيني لزوجها لتنظر اليهما فقال مالك فقالت أخبرنى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أن فى عينيك يياضا فقال ويحك وهل أحد الا وفى عينه
 يياض . وجاءته أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال يا أم فلان

(١) الويص البريق (٢) نغر كصرد طائر كالصفرور أحر المنقار

ان الجنة لا يدخلها عجز فقلت المرأة وهي تبكي فقال صلى الله عليه وسلم أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجز ان الله تعالى يقول ﴿ انا أنشأناهم انشاءً فجعلناهم أبكاراً عرباً أتراباً ﴾ وقالت عائشة رضى الله عنها سأقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقتني فسبقتني ثم ضرب كتفي وقال هذه بتلك . وجاء صلى الله عليه وسلم الى السوق من وراء ظهر رجل اسمه زاهر وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فوضع يده على عينيه وما كان يعرف أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال من يشتري هذا العبد فجعل يمسح ظهره برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اذن والله تجددني كاسدا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لكنك عند ربك لست كاسدا . ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسينا مع صبية في الطريق فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم وطفق الحسين يفرها ربا ههنا وههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه فجعل احدى يديه تحت ذقنه والاخرى فوق رأسه . وكان صلى الله عليه وسلم يدخل على عائشة والجوارى يلعبن عندها فاذا رأيته تفرقن فيسيرهن اليها . وقال لها يوم ما وهي تلعب بلعبتها ما هذه يا عائشة فقالت خيل سليمان بن دوداد فضحك وطلب الباب فابتدرته واعتنقته فقال مالك يا حبراء فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ادع الله أن يغفرلى ما تقدم من ذنبي وما تأخر فرفع يديه حتى رأى يياض ابطيه فقال اللهم اغفر لعائشة بنت أبى بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا ولا تكسب بعدها خطيئة ولا اثما . ثم قال صلى الله عليه وسلم أفرحت يا عائشة فقالت اى والذى بعثك بالحق فقال أما والذى بعثنى بالحق ما خصصتك بها من بين أمتى وانها لصلاتى لأمتى بالليل والنهار فيمن مضى منهم ومن بقى ومن هو آتالى يوم القيامة وأنا أدعولهم والملائكة يؤمنون على دعائى . وكان عليه الصلاة والسلام يكرم خفيفه ويبسط رداءه له كرامة . وجاءته ظئره التى أرضعته يوما فبسط لها رداءه وقال

مرحبا بأبى وأجلسها عليه . وكان أكثر الناس تبسما وأحسنهم بشرا مع أنه كان متواصلا الاحزان دائم الفكرة لا يمضى له وقت في غير عمل الله أو فيما لا بد له أو لأهله أو لأمته منه وما خير بين شيئين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه . وكان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم في مهنة أهله . ويقطع اللحم معهن ويركب الفرس والبغل والحمار ويردف خلفه عبده أو غيره ويمسح وجهه فرسه بطرف كفه أو بطرف ردايته . وكان يتوكأ على العصا وقال بالتوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء . ورعى الغنم وقال مامن نبي إلا وقد رعاها وعق صلى الله عليه وسلم عن نفسه بعد ما جاءته النبوة . وكان لا يدع العقيقة عن المولود من أهله ويأمر بخلق رأسه يوم السابع وأن يتصدق عنه بزنة شعره فضة وكان يحب الفأل ويكره الطيرة ويقول مامننا إلا من يجد في نفسه ولكن الله يذهب بالتوكل . وكان اذا جاءه ما يحب قال (الحمد لله رب العالمين) واذا جاءه ما يكره قال (الحمد على كل حال) واذا رفع الطعام من بين يديه قال (الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين) وروى فيه (الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا) واذا عطس خفض صوته واستتر يده أو بثوبه وحده الله . وكان صلى الله عليه وسلم أكثر جلوسه مستقبل القبلة . واذا جلس فى المجلس احتجى يديه . وكان يكثّر الذكر ويطل الصلاة ويقصر الخطبة ويستغفر فى المجلس الواحد مائة مرة وكان ينام أول الليل ثم يقوم من السحر ثم يوتر ثم يأتى فراشه فاذا سمع الاذان وثب قائما فان كان جنباً أفاض عليه الماء . والآنوضأ وخرج الى الصلاة . وكان يصلى فى سبحة (١) قائما وربما صلى قاعدا . قالت عائشة لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان أكثر صلاته جالسا . وكان يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء وهو فى الصلاة . وكان يصوم الاثنين

(١) السجدة بضم فسكون النافلة

والخيسر وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء وقلبا يفطريوم الجمعة وأكثر صيامه في شعبان. وكان صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظارا للوحي وإذا نام نفخ ولا ينفط غطيظا. وكان إذا رأى في منامه ما يروعه قال (هو الله ربى لا شريك له) وإذا أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده الايمن وقال (رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك) وكان يقول (اللهم باسمك أموت وأحيا) وإذا استيقظ قال (الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور) وكان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم يبين كلامه حتى يحفظه من جلس اليه ويعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه. ويخزن لسانه ولا يتكلم في غير حاجة ويتكلم بمجوامع الكلم فصلا لا فضولا ولا تقصيرا وكان يمثل بشئ من الشعر وكان يتمثل بقول بعضهم ويأتيك بالاخبار من لم تزود وكان صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم وربما ضحك من شئ معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة. وماعاب صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وان لم يشتهيه تركه وكان لا يأكل متكئا ولا على خوان يأكل المهدية ويكافى عليها ولا يأكل الصدقة ولا يأنف في مأكل يأكل ما وجد ان وجد تمرا أكله وان وجد خبزا أكله وان وجد لبنا اكتفى به ولم يأكل خبزا مرققا حتى مات صلى الله عليه وسلم. قال أبو هريرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع بخبز الشعير وكان يأتى على آل محمد الشهر والشهران لا توقد في بيت من بيوته نار وكان قوتهم التمر والماء وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع. هذا وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الارض فأبى أن يقبلها واختار الآخرة وأكل صلى الله عليه وسلم الخبز بالخل وقال (نعم الا دام الخل) وأكل لحم الدجاج وكان يحب الدباء ويأكله ويعجبه الذراع من الشاة وقال ان أطيب اللحم لحم الظهر وقال (كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة) وكان يعجبه الثفل يعنى ما بقى من الطعام وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعنهن

وأكل صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر وقال هذا آدم هذا أو أكل صلى الله عليه وسلم البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد وكان يحب الحلواء والعسل وكان صلى الله عليه وسلم يشرب قاعدا وربما شرب قائما ويتنفس ثلاثا وإذا فضلت منه فضلة وأراد أن يسقيها بدأ بمن عن يمينه وشرب صلى الله عليه وسلم لنا وقال (من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه) وقال صلى الله عليه وسلم (ليس شيء يحزى مكان الطعام والشراب غير اللبن) زاد الباجي رحمه الله وكان عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم كما وصفه الله تعالى. وكان أحلم الناس وأعدل وأعف الناس لم تمس يده قط امرأة الا بملك رقبته أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه. أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه وبجاء الليل لم يأو الى منزله حتى يعطيه من يحتاج اليه. لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من الشعير والتمر ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالى لا يسأل شيئا الا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى يحتاج قبل انقضاء العام. أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد. يحجب دعوة العبد والحر. ويقبل الهدية ولو أنها جرة لبن. وتستبعه الأمة والمسكين فيقبصهما حيث دعواه. لا يغضب لنفسه ويغضب لربه. منديله باطن قدمه. يشهد الجنائز. أشد الناس تواضعا وأسكتهم من غير كبر وأبلغهم من غير عى. لا يهوله شيء من أمر الدنيا. يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم. يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يخفو على أحد. يقبل معذرة المعتذر. يخرج الى بساتين أصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزماته. ولا يهاب ملكا للملك. يدعو هذا وهذا الى الله تعالى دعاء مستويا. قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو

أُمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى فعله الله جميع محاسن
 الاخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في
 الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا. قال الباجي رحمه الله وذكر العتيبي قال
 كنت عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم جاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول
 الله سمعت الله تعالى يقول ﴿ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله
 واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفرا
 من ذنبي مستشفعا بك الى ربى ثم أنشأ الاعرابي يقول

ياخير من دفنت في الأرض أعظمه فطالب من طيبن القاع والأكم
 نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف . قال العتيبي فغلبتني عيناى فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 النوم فقال لى يا عتيبي الحق الاعرابي فبشره أن الله قد غفر له . ومن كتاب الترمذى
 عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ
 عنى هذه الكلمات فيعمل بهن ويعلم من يعمل بهن قال أبو هريرة أنا يا رسول
 الله فأخذ يدي فمد خمسا فقال (اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم
 الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب
 لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب ومته
 عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال (أمسك عليك لسانك
 وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغريباء من أمتى قيل يا رسول
 الله ومن الغريباء من أمتك قال الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى)
 (فصل) قد تقدم الكلام على السبعة الذين يدور عليهم أمر الدين
 ونرجع الآن الى القسم الثانى وهو تصرف الناس في أسبابهم وصنائعهم

ومعاشهم وما يحتاج اليه بعضهم من النية فيما هو يحاوله وما يتحفظ منه وهذا النوع كثير . فنبداً أولاً بما هو الأولى فالأولى والآكد فالأكّد . فأول ما نبداً به من الكلام على الصنائع والحرف غسل الميت وحفر القبر وغيرهما وما يفعل في ذلك من الأحكام والتنبية على بعض ما أحدثوه فيه إذ أنه من أهم أمور الدين وآكدها . لكن تقدم أولاً ذكر حال المحتضر وما يحتاج اليه من الآداب والله المستعان . وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لقنوا موتاكم لا اله الا الله) وورد أيضاً (من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة) . وينبغي أن لا يقربه حائض ولا جنب ولا صغير يعث لا يرجع لما يؤمر به أو ينهى عنه . وينبغي أنه مهما أمكن أن لا تكون عليه نجاسة فعل فعل هذا يكون ثوبه طاهراً وبدنه طاهراً وكذلك من حضره يكون كذلك . وينبغي أن يكون على المحتضر إذا كان مائتسراً من الطبيب أكراما للقاء الملائكة . وينبغي أن يحضره إذا كان أحسن أهله وأصحابه هدياً وخلقا وديناً وسمتاً ووقاراً فيلقنه كلتي التوحيد برفق وذلك بأن يقول لا اله الا الله محمد رسول الله جهراً ثم يسكت ساعة ثم يعيدها ثم كذلك الى أن يقضى . ولا ينبغي أن يقول له قل لا اله الا الله أو يلح عليه بذلك وما ذاك الا لأنه إذا قال له قل لا اله الا الله قد يتوهم المحتضر إذ ذاك وقد يكون أخذته غشية فيتوهم فيكون سيالاً لموته وإذا أكثر عليه بلا اله الا الله اختلط عليه فإذا كان على ما وصف قبل سلم من هذا . وينبغي أن يكثر من الدعاء له وللحاضرين لكن بخفض صوت وحنن سميت ووقار لأن الملائكة يحضرون ويؤمنون على دعاء الداعي . وهذا الموطن من المواطن التي يرجى فيها قبول الدعاء . وقد أنكر مالك رحمه الله القراءة عنده بسورة يس وسورة الأنعام وعلل ذلك بأنه لم يكن من عمل الناس وأجازه ابن حبيب على ما تقدم وصفه من الوقار والتؤدة وكذلك اختلفا في توجيهه الى القبلة فقال مالك رحمه

الله لم يكن من عمل الناس وكره أن يعمل ذلك استئنا . وقال ابن حبيب يستحب ذلك لأنها الجهة التي كان يعظمها في حياته فاذا فعل المكلف ما قاله ابن حبيب فلا يفعل ذلك به حتى يعاين وهو أن يشخص ببصره لأنه ان فعل ذلك به قبل المعاينة قد يوهمه فيكون سببا لموته أو للغشيان عليه . وينبغي لمن يلقنه أن لا يضجر ولا يقلق ان طال الأمر عليه ووجد من يقوم عنه بذلك حتى يأخذ راحة لنفسه فعل وان كانوا جماعة فيفعلون ذلك واحدا بعد واحد ولا يلقنونه بجماعتهم فان ذلك يخرجه ويقلقه . وينبغي أن لا يضجر أيضا من عدم قبول المحتضر لما يلقيه اليه . وقد يرى من بعضهم عدم القبول لذلك لأن الموضوع موضع فتنة وأمر شديد . ألا ترى الى ما ورد أن المحتضر اذا احتضر يأتيه شيطانان أحدهما على صفة آية والآخر على صفة أمه فيقول له الذي هو عن يمينه على صفة آية يابني أنا قد سبقتك الى هذا الموضوع وقد عرفت الحق فيه والدين الآتوم الذي به النجاة وهو دين النصرانية فت عليه فهو الحق . أعاذنا الله من ذلك بمنه ويقول الذي على صفة أمه يابني قد كان بطنى لك وعاء وتدي لك سقاء وحجرى لك وطاء وأنا أحب لك ما أحب لنفسى وقد سبقتك الى هذا الوطن وعرفت الحق من غيره فت على دين اليهودية أو كما قال الى غير ذلك . وقد ورد أن الاديان تعرض عليه اذ ذاك والامر أمر خطر عظيم في الخطر فينبغي أن يكثروا له من الدعاء وأن يجتنبوا اللفظ والقبل والقال . وقد سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يحكى ان بعض المغاربة جاؤا الى البلاد بنية الحجاز فمرض بعضهم واحتضر فجلس اليه رفقاؤه يلقنونه على ماتقدم وصفه فكان اذا قال من على يمينه لا اله الا الله محمد رسول الله معر وجهه ورده الى ناحية اليسار واذا قال من على يساره ذلك معر وجهه ورده الى الناحية الأخرى ثم كذلك ثم كذلك الى أن غلب عليهم النوم فناموا وبقي واحد منهم يلقنه فاذا حول وجهه الى ناحية اليمين دار اليه واذا

حواله الى جهة اليسار دار اليه ثم كذلك ثم كذلك الى أن غلب عليه النوم أيضا
كما صحابه فينبأ هو في النوم اذ رأى الناس يتجارون قال فقلت فما بال الناس فقالوا
هم ماشون الى فلان اسم المحتضر، يهنونه بالموت على الاسلام فقلت هذا صاحبي
فأسرعت معهم لانهيه من جملة من يهنيه فجتنا الى باب كبير فدخل الناس من ذلك
الباب فدخلت معهم فاذا بصاحبي واقف والناس يهنونه بالموت على الاسلام
فراحت معهم حتى اجتمعت به فبهتته كما فعل غيري فأمسك يدي وقال آه
يا فلان ما هذا الحال الذي فعلتم معي تركتموني وحيدا للشياطين يتسلطون فقلت
له كئنا نلقنك وأنت تمعر وجهك وتعرض عنا يمينا ويسارا فقال لي ما عنكم كنت
أعرض وانما كنت أعرض عن الشياطين فانها أتباني على صفة أبي من جهة
اليمن وعلى صفة أمي من جهة اليسار فهذا يدعوني الى دين النصرانية وهذه
تدعوني الى دين اليهودية وكان كلامكم يؤنسني وأستوثق به فلما نتم تسلماني
لكن الحمد لله الذي أعانني فأنني لما أن بقيت وحيدا نزل ملك من السماء ويده حربة
فبرزها عليهما وقال لهما اليكما عن ولي الله فوليا هارين ثم لقنني الشهادة فقلتها فت
عند ذلك وهؤلاء يهنوني بما أنعم الله به علي أو كما قال فاستفاق من نومه فقام
الى صاحبه فوجده قد مات رحمه الله. وقد حكى عن الامام أحمد بن حنبل رحمه
الله أنه لما جاءه الموت ولقن لا اله الا الله قال لا فرؤى بعد موته في المنام فقيل له
كئنا نقول لك لا اله الا الله وأنت تقول لا فقال كان ابليس تعرض لي وقال لي
سئلت مني يا أحمد فقلت له مادامت الروح في الحلقوم لا أسلم منك وكان ذلك
جوابا له لا لكم أو كما قال. وقد روى مالك في موطنه عن عطاء بن يسار أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين فقالا نظر ماذا يقول
لعواده فان هو اذا جاءه حمد الله وأثنى عليه فعاذك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى
على ان توفيته أدخله الجنة وان أنا شفيت أن أبدله لحا خيرا من لحه ودما خيرا من دمه

وأن أکفر عنه سیئاته . وروی الترمذی عن أبی ہریرة أن رسول الله صلى الله علیه وسلم قال لا تصیب العبد نکبة فافوقها أو دونها الا بذنب وما یعفو الله عنه أكثر قالوا قراء (وما أصابکم من مصیبة فبما کسبت أیدیکم) الآية . وینبغی أن لا یتَرَک أحدًا ینکی حوله برفع صوته بذلك . ومن کان باکیاً من جماعته فلیعزل عنه بموضع لا یسمعه المحتضر ولا بأس بالبکاء بالدموع حیثئذ وحسن التعزی والتصبر أولى وأجمل لمن استطاع . ولیحذر من السخط والضجر ولیکن موقناً بالعوض من الله تعالى إذ أن من مات لم یکن یدیه حل ولا ربط ولا قدرة ولا ارادة الا بأمر من المولی سبحانه وتعالى فالذی أقامه فی ذلك یمینه فی غیره أو لا یحوجه الیه . وینبغی أن یمثل السنة ویعلق بها حین وقوع الامر به فیقول ما ورد فی الحدیث عن صاحب الشریعة صلوات الله وسلامه علیه حیث یقول (ما من امرئ تصیبه مصیبة فیقول ما أمره الله عز وجل انا لله وانا الیه راجعون ثم یقول اللهم أجرنی فی مصیبتی واعقبنی خیراً منها الا أبدله خیراً منها) قالت أم سلة فلما أن مات أبو سلة جعلت أقولها وقلت ومن خیر من أبی سلة ثم قلت أمثل السنة فأقولها فقلتها فأبدلنی الله به رسول الله صلى الله علیه وسلم أو كما قالت . وینبغی أن تكون النساء بمعزل عنه اذ ذاك لان فیهن من الرقة وعدم الصبر وعدم العلم أو قلتهما ونقصان العقل ما هو معلوم وذلك یؤدى الى وقوع ما لا ینبغی بحضرة المحتضر فیتحفظ من ذلك وما یترب علیه من الوقوع فی النهی الصریح . لقوله علیه الصلاة والسلام (لیس منا من حلق وخرق ودلق ولسق) ومعنى حلق حلق الشعر وخرق خرق الثیاب ودلق هو تخمیش الوجوه والضرب علی الحدود ولسق هو الکلام الردى القبیح ومنه (سلقومک بالسنة حداد) وقد روى البخاری ومسلم والترمذی والنسائی عن عبد الله بن مسعود رضی عنه قال قال رسول الله صلى الله علیه وسلم (لیس منا من ضرب الحدود وشق الجیوب ودعا بدعوى الجاهلیة) وروی

الترهذى عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ما من ميت يموت فيقوم بأكيهم فيقول واجبله واستداه ونحو ذلك الا وكل الله به ملكين يتهرانه ويقولان له أهكذا كنت) وروى البخارى عن النعمان بن بشير قال أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى وتقول واجبله واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين أفاق ما قلت شيئا الا قيل لى أنت كذا فلما مات لم تبك عليه . وينبغى لمن حضر من الرجال أن لا يظهر الجزع اذ ذاك فانه اذا ظهر ذلك منه للنساء كان سببا لوقوع ما تقدم ذكره منهن فليحذر من هذا جهده مع وجود الرفق والشفقة والرحمة والسياسة مع أهل الميت ان أمكن ذلك فان لم يمكنه أقام سطوة الشرع عليهم ولا يتركها لاجل ما نزل بهم لان الشرع قد قرر ما فيه مقرر بقوله عليه الصلاة والسلام (فاذا وجبت أى مات ، فلا تبكى بأكية) فلا يتعدى ما حده عليه الصلاة والسلام والله المستعان ومن حضر من أهله أه غيرهم فأمرهم ونهاهم فلم يسمعوا منه فيتعين عليه أن لا يحضر مادام ذلك موجودا لانه منكر بين وتغييره واجب متعين فاذا لم يسمع ذلك فأقل ما يلزمه فى خاصة نفسه عدم حضوره لانه أقل مراتب الانكار لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام (من لم يزل المنكر فايزل عنه) لكنه ان كان قدوة فيتعين عليه أن يخبرهم بأن المانع من حضوره ما وقعوا فيه من المخالفة وليحذر أن يقع بحضرته ما يفعله بعض الناس فى هذا الزمان من اختلاط النساء بالرجال وكشف وجوههن وتسويدها وتسويد بعض أجسادهن ونشر الشعر والدعاء بالويل والثبور وهو دعوى الجاهلية ولباس الأزرق والسواد وما يفعله بعضهم من خرق قعور القدور السود وجعلها فى حلوقهم وسكب التراب على الرؤس وتلطيف البيوت بالسواد وما يجعلونه فى الأعناق من السلاسل ولو لم يكن فيه من القبح الا التفاؤل بالسلاسل والاغلال التى توعدها أهل النار . أسأل الله السلامة من ذلك بمنه . وتحفيتهم

للاقدام من أجل ذلك وبعضهم يترك لبس السواد ويعوض عنه البياض وإن كان لبس البياض مباحا أو مأهورا به في بعض المواطن لكن اتخاذه في هذا المواطن على سبيل الاستئذان به بدعة . وبعضهم يتركون الصلاة عندهم ميتهم ولا يرجعون لها إلا بعد مدة تحتاف أحوالهم فيها فتنهم من يتركها اليوم واليومين ومنهم من يتركها الشهر والشهرين إلى غير ذلك جهلا منهم بما يجب عليهم وما يؤمرون به فيحرمهم اللعين ثواب مصابهم وثواب الصلاة ويوقعهم في الأثم في تركها بعبادته الذميمة أسأل الله السلامة من ذلك بمنه . وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام (لا يحمل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا) والاحداث على ما قاله علياؤنا رحمة الله عليهم يتضمن الامتناع من خمس لباس المصبغات كلها إلا السواد والحلى والكحل والطيب والقاء التفت فاذا كان هذا في حق النساء فما بالك به في حق الرجال . ومما أحدثوه أيضا من المحرمات حضور الطارات والضرب بها سيما مع النائحة . وقد قال عليه الصلاة والسلام (كل نائحة في النار إلا نائحة حمزة) وروى أبو داود في سننه عن أسيد بن أبي أسيد عن امرأة من المبيعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه أن لا نخمش وجها ولا ندعو ويللا ولا نشق جيبا ولا نشعر شعرا . وروى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البيعة أن لا نتوح على ميت . وروى النسائي عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعن أن لا ينحنن فقلن يا رسول الله ان نساء ساعدتنا في الجاهلية أفنساعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اساعدن في الاسلام . وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن النحي فقال إياكم

والنعي فانه من عمل الجاهلية قال عبد الله من النعي الاذان على الميت . ثم ان بعضهن يفعلن ذلك ليلا ونهارا ولو أخذن لأنفسهن راحة وخفضن من أصواتهن حين نعيهن ثم اعتدن مع ذلك عادة جاهلية وهي أن من جاءت لتعزي تدخل وهي تدعو بالويل والثبور واللطم على الخدود وتخمش الوجوه وتتلفاها النوائح على ما يعهد من فعلهن الذميم ويتكلفن اذ ذاك رفع أصواتهن فاذا وصلن الى أهل الميت قمن الى لقائهن وفعلن معهن كفعلن ويعملن كذلك ساعة ثم كذلك ثم كذلك مع كل من أتى اليهن من النساء للتعزية ويقين على ذلك مدة على قدر ما ينقطع معارفهن ويفعلن مع ذلك أفعالا قبيحة شنيعة تنزه الاقلام عن كتبها والالسن عن النطق بها فلا حاجة تدعو الى ذكرها وكلها مصادمة للشريعة المطهرة وهي أكثر من أن تنحصر أو ترجع الى قانون معلوم لأن ذلك يختلف باختلاف عوائد البلاد والاقاليم فليحذر من هذا جهده فان وقع شيء منه فلا يحضر موضعه كما تقدم فلو قدرنا أنه حضر لكان واحدا منهم أعنى في حصول الإثم له وان كان اعتقاده ليس كاعتقادهم أسأل الله السلامة بمنه . فاذا قضى الميت فليشتغل من حضره بحقه ويأخذ في اصلاح شأنه . فمن ذلك أن يغمض عينيه لثلاثي مفتوحتين وذلك شوه . وينبغي له أن يأخذ عصاية أو طرف عمامة أو غيرهما ويجعلها تحت ذقنه ويشدها على رأسه لثلاثي تسترخي ذقنه فيق فاه مفتوحا وذلك شوه وقد ينزل الماء في جوفه حين غسله ثم يخرج بعد تكفينه فيلوثه وقد تدخل الهوام منه لجوفه اذا كان مفتوحا . ثم يلين مفاصله ويمد يديه مدا وكذلك ركبتيه حين خروج الروح منه وليحذر أن يؤخر ذلك لثلاثي تعذر مدها . ثم يجعل على بطنه حديدة أو سكين فان لم يجد فطينا مبلولا طاهرا لثلاثي يعلو فؤاده فيخشى أن يتفجر قبل حلوله في قبره . ثم يزيل ما عليه من الثياب ما عدا القميص . ثم يجعل على شيء مرتفع كدكة ونحوها

لثلاثين ساعاً إليه الهوام والتغير ويسجى بثوب . ثم يأخذ في تجهيزه على الفور لأن من أكرام الميت الاستعجال بدفنه وهو أراته اللهم إلا أن يكون موته فجأة أو بصعق أو غرق أو سبته أو ما أشبه ذلك فلا يستعجل عليه ويمهل حتى يتحقق موته ولو أتى عليه اليومان والثلاثة مالم يظهر تغييره فيحصل التيقن بموته لثلاثين حياً فيحتاط له . وقد وقع ذلك لكثير فيتحفظ من هذا . وإذا فعل به ماتقدم ذكره من تليين مفاصله وغيرها فليكن ذلك بتؤدة . وقار لأن حرمة الميت كحرمة الحي . ويسمى الله عز وجل عند الأخذ في ذلك فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليحذر من هذه البدعة التي أحدثها بعضهم وهي أن الميت إذا مات أوقدوا عنده تلك الليلة شمعة حتى يصبح وذلك بدعة وسرف ومن لم يكن منهم له قدرة على الشمع أوقدوا سراجاً عليه حتى يصبح ويسر قبل غسله ما يحتاج إليه من الكفن والحنوط ويخر الكفن ثلاثاً أو خمساً أو سبعا . ثم بعد ذلك يأخذ في غسله فيشد على وسط الميت مئزراً غليظاً ثم يعريه من القميص وبعد ذلك يغسله وهذا مذهب مالك رحمه الله ومذهب الشافعي رحمه الله أن يغسل في قميص ولا يعرى واستدل على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم غسل في قميصه بعد أن كانوا أرادوا أن يعروه كما يفعلون بموتاهم فسمعوا الهاتف يقول غسلوه في القميص واستدل مالك رحمه الله ومن وافقه على تعرية الميت من القميص لأنهم أرادوا أن يغسلوه عليه الصلاة والسلام متجرداً من القميص كما يفعلون بموتاهم حتى سمعوا الهاتف فتركوه فدل ذلك على أنه خاص به عليه الصلاة والسلام دون غيره والآن تعرية الميت أبلغ في تنظيفه . وينبغي أن يجعل على عورته خرقه غليظة فوق المئزر حتى لا توصف العورة . وينبغي أن لا يحضره أحد إذا ذاك إلا الغاسل وحده اللهم إلا أن يكون الغاسل يحتاج إلى من يعينه فيجوز ذلك على سبيل الضرورة

والضرورة لها أحكام. وينبغي أن يكون الغاسل ومن يعينه من أهل الديانة والأمانة لأن المحل مضطر إلى ذلك لأن الميت قد يتغير حاله وهو الغالب فإذا آه أحد فقد يخيل إليه أن ذلك من شقاوته. وينبغي له أنه إن رأى خيراً فإن شاء ذكره وإن شاء تركه. وإن رأى غير ذلك سكت عنه ولا يبوح به لأحد. وغسل الميت من أحد الأركان الأربعة التي تجب على الحي في حق الميت المسلم وذلك أن من حق المسلم على أخيه المسلم أربعاً غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه والغسل أولها وكيفيته ككيفية غسل الجنابة سواء بسواء إلا أن غسل الجنابة يتولاه الحي بنفسه غالباً وهذا يغسله غيره وقد تقدم في غسل الجنابة فرائضها وسننها وفضائلها فكذلك ههنا سواء بسواء. فأول ما يبدأ بغسل النجاسة عنه فيباشر محل النجورة بخرقة غليظة وإن كانت من الصوف فهو أبلغ في التنظيف فيعرك بها الموضع ومن يعينه يسكب عليه الماء ثم يغسل الخرقه غسلًا جيداً حتى تطهر ثم يعيد غسل المحل وهو يعرك بها حتى يرى أنه قد طهر وتنظف حينئذ يفيض عليه الماء القراح من فرقة إلى قدمه ثم ينظر في بدنه فهما شعر بنجاسة في أي موضع كانت منه غسلها عنه والبخور إذا كان حاضر يبخر به لثلاث شم منه رائحة كريهة والميت يكره أن يشم ذلك منه كما يكره ذلك من الحي ثم يقعده ويعصر بطنه عصراً رقيقاً ومن يعينه يصب عليه الماء حين يفعل كذلك ويزاد في البخور في هذا الوقت أكثر مما قبله حتى إذا رأى أنه قد أنقى جسده أفاض عليه الماء وأعاد غسل المحل من النجاسة بخرقة أخرى أو بها بعد غسلها وتطهيرها وتنظيفها. وقد اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فيما إذا كان على المحل نجاسة لا يمكن زوالها إلا بمباشرتها باليد هل يباشرها بيده للضرورة أو يتركها كما لو كان حياً ولا يمكنه أن يزيلها بنفسه فإنه يصلي بها فكذلك الحكم في الميت وهذا على مذهب مالك رحمه الله. وليحذر مما يفعله كثير منهم من

حلق عانة الميت لأنهم يكشفون العورة لحاقها فيشاهدونها من يزيلها ومن يعينه في غسله وبعض الحاضرين لأنه قد جرت عادة بعضهم في هذا الزمان أن الميت إذا غسل يحضر غسله أقاربه وأصحابه وذلك خلاف السنة لو سلم من اطلاعهم على عورته وإن كان قد أجاز بعض العلماء حلق عاتيه لكن ذلك بشرط أن لا يطلع على ذلك إلا من يفعل ذلك به وإطلاع غيره محرم . وقد تقدم الخلاف في النجاسة إذا كانت على المحل ولم يمكن إزالتها إلا باليد فما بالك بإزالة شيء مستغنى عنه . ألا ترى أنه لو كان حيا لم يجب عليه إزالتها ولا يجوز له كشف عورته لمن يزيل ذلك عنه فبعد الموت من باب أولى أن يمنع . قال علماؤنا رحمه الله عليهم ولا حاجة لمن أجاز ذلك مستدلا بقوله عليه الصلاة والسلام (افعلوا بموتاكم ما تفعلوا بعروصكم) أو كما قال عليه الصلاة والسلام لأن هذا الفعل إنما يتولاه العروس بنفسه لنفسه ولا يجوز له أن يأذن لغيره في ذلك وكذلك لا يجوز للأذن له أن يفعله به . وهذا النوع قد عمت به البلوى في هذا الزمان في الأحياء فضلا عن الموتى فتجد بعض الناس يدخلون إلى الحمام فيأمرون بالبلان أن يحلق لهم عاتهم فيكشف عليه من لا يجوز له الإطلاع على ذلك وليته لو كان وحده وإن كان محرما لكن يطلع على ذلك جماعة ممن في الحمام فانا لله وأنا إليه راجعون فإذا رأى أنه قد ظهر من النجاسة فليأخذ رأس الميت فيحوله إلى ناحية اليمين ويخرجه عن الدكة قليلا ويجعل فيه وأنفه إلى جهة الأرض ويعصر أنفه برفق فإن كان هناك فضلة خرجت . فإذا فرغ من ذلك ردد رأسه كما كان ثم يفيض الماء عليه وعلى الدكة حتى يرى أنه قد تنظف ذلك كله وطهر ثم يزيل ما على الميت من المتزر ثم يستره بغيره أو به بعد غسله ويتحفظ على عورته ثلاثا تكشف عند محاولة ذلك . فإذا فرغ فحينئذ يأخذ في الغسلة الأولى وهي الواجبة فيبدأ بأعضاء الرضوء فيغسلها ويمضمض فيه برفق بعد أن يحول رأسه

كما تقدم حتى يفرغ من مضمضته واستنشاقه لثلاث ينزل الماء الى جوفه ثم يخرج بعد الفراغ من غسله ويسوكه بخرقه من صوف أو ما يقاربها . فاذا فرغ من ذلك رده الى الدكة كما تقدم . فاذا فرغ من غسل أعضائه وضوئه أفاض الماء على رأسه بعد تحليل شعره فيغسل رأسه يده ثم الأيمن فالأيمن والأعلى فالأعلى من جسده ويقبله في أثناء الغسل يمينا ويسارا وظهرا وبطنا حتى يرى أنه قد عمه بالغسل فهذه غسلة واحدة وهى الفرض الذى لا يجوز دفن الميت مع القدرة عليها الا بها . ثم بعد ذلك يأخذ فى تنظيفه من الأوساخ بالماء والسدر كما ينظف الحى سواء بسواء . فاذا فرغ من هذه الغسلة الثانية أخذ شيئا من الكافور فجعله فى اناء فيه ماء ويذيه فيه ثم يغسل الميت به كما تقدم وصفه بعد تنظيف الميت والمئزر والدكة من أثر السدر . ويحذر من هذه البدعة التى يفعلها أكثرهم وهو أنه اذا جاء الى غسله بالماء والكافور أزال ما كان عليه من السترة الكثيفة وألقى عليه خرقه لطيفة من شمخاتية ونحوها ثم يفيض عليها الماء فتبقى العورة كأنها مكشوفة اذا ابتلت الخرقه بالماء وذلك محرم بل يستره بمثل الخرقه الكثيفة التى كانت عليه أو بها بعد تنظيفها وهو مع ذلك يتحفظ من كشف العورة عند المحاولة ويغض طرفه مهما استطاع جهده مع التوفية بغسله . ويحذر من هذه البدعة الاخرى التى يفعلها أكثرهم وهو أنه اذا غسل الميت يجعله بين رجليه وهو واقف على الدكة وذلك مكروه بل يكون الفاسل واقفا بالأرض ويقبله عند غسله له . ويحذر من هذه البدعة الاخرى التى يفعلها أكثرهم وهو أن الفاسل اذا بدأ فى غسله أخذ يذكر لكل عضو يغسله ذكرا من الاذكار وقد تقدم أن ذكر الله تعالى حسن سرا وعلنا لكن فى المواضع المأموره فيها وهذا المحل محل تفكر واعتبار وخشية فيشتغل به عن غيره من العبادات ذكرا كان أو غيره وهو عمل السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين وغيره بدعة . فاذا

فرغ من هذه الغسلة الثالثة فقد تم غسله على الكمال ثم يتفقد فيه وأنفه من الماء لاحتمال أن يكون دخل في جوفه شيء منه فيميل رأسه خارجا عن الدكة فان كان دخل فيها شيء خرج ثم يعيده الى الدكة ثم ينظف ماتحت أظفاره بعود أو غيره ولا يقلبها وتقليمها على مذهب مالك بدعة ممن فعله اذ أنه لم يكن من فعل السلف. ثم يسهل لحية بمشط واسع الأسنان. وكذلك يفعل برأسه ويتفرق في ذلك فان خرج في المشط شعر جمعه وألقاه في الكفن يدفن معه. ثم يأخذ فوطه أو غيرها فينشف بها جميع بدن الميت فاذا فرغ منه نشف بها الدكة حتى لا يبتل بها ما يجعل على الميت من قميص وغيره. ثم يأخذ في تجهيزه. فأول شيء يفعله أن يأخذ قطنه ويجعل عليها شيئاً من الكافور أو غيره من الطيب والكافور أحسن لانه يردع المواد فيجعلها على فيه. ثم يأخذ قطنه أخرى فيفعل فيها ماتقدم ويسد بها أنفه ثم أخرى من الناحية الاخرى ويرسلها في أنفه قليلا. ثم يأخذ خرقة فيشدّها على الفم والأنف ثم يعقدها من خلف عنقه عقدا وثيقا فتبقى كأنها اللثام ثم يجعل على عينيه وأذنيه خرقة ثانية بعد وضع القطن مع الكافور على عينيه وأذنيه ويعقدها عقدا جيدا فتصير كالعصابة. ثم يأخذ خرقة ثالثة فيشد بها وسطه ثم يأخذ خرقة رابعة فيعقدها على هذه الخرقة المشدود بها وسطه أو يخطها فيها ثم يلحمها بها بعد أن يأخذ قطنه ويجعل عليها شيئاً من الطيب والكافور وهو أحسن لانه يشد العضو ويسده ويجعلها على باب الدبر ويرسل ذلك قليلا يرفق ويزيد للمرأة في القبل قطنه أخرى ويفعل فيه كما تقدم في الدبر سواء بسواء ثم يلحمه عليه بالخرقة المذكورة ثم يربطها ربطا وثيقا. وليحذر من هذه البدعة يل المحرم الذي يفعله بعضهم في هذا الزمان وهو أنهم يخرقون حرمة الميت ويرسلون في دبره قطناً وكذلك في حلقه وأنفه وقد تقدم ما في ذلك من مخالفة السنة وإخراق حرمة الميت. ثم يأخذ في تكفينه فيشد على وسطه مئذرا

أول يلبسه سراويل وهو أسترله . ثم يلبسه القميص . قال مالك رحمه الله والذي عليه العمل أن الميت يقمص ويعمم . ثم يعممه ويجعل له من العمامة ذؤابة وتحنيكا كما هي العمامة الشرعية في حق الحي لكن الفرق بينهما أن الحي يرخي التحنيك بخلاف الميت فإنه يشد ذلك عليه ويستوثق في عقده لئلا يسترخي ذقنه وينفتح فمه وقد يخرج منه شيء يلوث الكفن ثم يعممه بإحدى العمامة ويشدها شدا وثيقا بخلاف عمامة الحي ثم يبسط الذؤابة على وجهه فيستر وجهه بها وكذلك يفعل بما يفضل من المنعة في حق المرأة يستر بها وجهها . ثم ينقله إلى موضع الكفن فيجعله عليه ويحنطه . ومواضع الحنوط خمس . أحدها أن يجعل على ظاهر جسد الميت . الثاني أن يجعل فيما بين أكفانه ولا يجعل على ظاهر الكفن . الثالث أن يجعل على المساجد السبعة وعلى الجبهة والأنف والكفان مع الأصابع والركبتان وأطراف أصابع الرجلين . الرابع أن يجعل على منافذ الوجه السبعة المتقدم ذكرها . الخامس أن يجعل على الأرواغ وهي مغايب الجسد خلف أذنيه وتحت حلقه وتحت إبطيه وفي سرته وما بين فخذه وأسافل ركبتيه وقمر قدميه وذلك بحسب ما يكون معه من الطيب فإن قل عن استيعاب ذلك فليقتصر على الأرواغ والمساجد السبعة المتقدم ذكرها . والمستحب أن يكفن في وتر . ثم يأخذ طرف أحد كفيه فيربطه بطرف الكم الآخر ربطا وثيقا . ثم يأخذ خرقه طويلة فيربطها موضع يربط الكمين ثم يمدّها إلى إبهامي رجله فيربطها فيهما ربطا جيدا وثيقا لئلا تتحرك أطرافه وتتفرق فإذا فعل به ذلك أمن من حركتها . وهذه الصفة المذكورة إنما هي إذا ألبس الميت القميص . وأما إذا أدرج فلا حاجة تدعو إلى فعل ذلك لعدم حركة أطرافه . فإذا جاء إلى الحنطه أزال الرباط عنه . وليحذر من هذه البدعة التي اعتادها أكثرهم في هذا الزمان وهو أنهم يأخذون القطن الكثير فيجعلونه على وجه الميت حتى يعلو ثم يجعلون القطن على ركبتيه وتحت حنكته

وتحت رقبته حتى تصير رأسه وكفاه بالسواء ثم يحملون القطن كذلك عند ساقه من ههنا ومن ههنا حتى يصير بطنه ورأسه ورجلاه بالسواء . وهذا الفعل قد جمع بين محرمين وبدعة . فالمحرم الاول اضاءة المال في كثرة القطن لغير ضرورة شرعية . والمحرم الثاني أخذ ثمن القطن من مال الورثة لأن الميت ليس له من تركته الا قدر ضرورته الشرعية والزيادة على ذلك غصب لحق الوارث سيما اذا كان صغيرا ولو فرض ورضى الورثة لمنع من ذلك لانه من باب اضاءة المال والاعانة على البدعة . وأما البدعة فكأنهم اعتادوا أن يخرجوه في كفنه بالسواء عند الناظر له كما تقدم وهذا من محدثات الامور والميت يتأذى مما يتأذى منه الحي فلوجعل شئ من القطن على وجه الحي لكان فيه شوه وخرق لحرمة ولا يرضى بذلك فكذلك يمنع في حق الميت لما تقدم أن حرمة الميت المسلم لحرمة في حال حياته . وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كسر عظم الميت ككسره وهو حي) أو كما قال عليه الصلاة والسلام . وذلك عام في العظم وغيره قل أو كثر فكل ما لا يليق به في حال حياته لا يفعل به بعد مماته الا ما أذن الشرع فيه وما لم يأذن الشرع فيه فيمنع على كل حال . والسنة في ادراج الميت في كفنه أن يكون فيه بحيث يعرف رأسه وكفاه ورجلاه كما يعلم ذلك منه في حال الحياة وهو في ثيابه وهذا عندهم في هذا الزمان عيب عظيم حتى يقول بعضهم أن من غسل الميت وكفنه على هذه الصفة لا يعرف شيئا وما ذاك الا لما أنس به كثير ممن يغسل الموتى من ارتكاب ما لا ينبغي من البدع وغيرها في ذلك بسبب العوائد الرديئة وقلة العلم وهذا وما شاكله من محدثات الامور . وهذا هو عين ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال (كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة) وها هو ذا فانا لله وانا اليه راجعون . واذا كان

ذلك كذلك فينبغي أن يحتنب المرء من اتصف بفعل شيء مما تقدم ذكره من عوائدهم الرديئة ولم يزل السلف الصالح رضوان الله عليهم يوصون بمن يحضرهم عند الموت ومن يغسلهم ومن يصلى عليهم ومن يلحدهم من أهل الخير والصلاح هذا وهم كما قيل عيون في العيون فإذا كان هذا حالهم في زمانهم على هذا الأسلوب قسا بالك بهذا الزمان فلينظر الانسان لنفسه لعل أن يقع له الخلاص من هذه العوائد الرديئة . ثم ان المخالفة ههنا صعبة لأنه لو قدرنا أن الغاسل تاب الى الله تعالى ورجع عن عوائده الرديئة لتعذر ذلك عليه في الدنيا لعدم من يتحلل منه . واذا كان ذلك كذلك فينبغي للمرء أن ينظر لنفسه قبل موته لأنه ليس أحد ينظر له في هذا الزمان في الغالب الا بما تقدم ذكره من تلك العوائد المخالفة للسنة المطهرة فيتعين على الانسان أن يكون من أكد وصيته أن يوصى بمن تقدم ذكره بمن يحضر موته أو من يغسله ومن يصلى عليه ومن يلحده لأنه متعذر في هذا الزمان غالبا اذ أن الغالب من بعض الفقهاء أنهم يعرفون الأحكام ولا يعرفون كيفية المباشرة لذلك وبعضهم يهاب الميت فلا يتولى غسله ولا تجهيزه وكذلك من ينسب الى الصلاح غالبا قل أن يعرف مباشرة ذلك فبقى الأمر في ذلك عزيزا لقلّة وجود من يعرف ذلك فقها وعملا . واذا كان ذلك كذلك فيتعين على الانسان أن يعين من يختاره من أهل الدين ويلقى اليه ما يحتاج اليه من الأجكام المحتاج اليها في ذلك كله في حال حياته ان أمكنه ذلك والا فوصى به الى شخص يقوم بذلك عارف بالأحكام يحضر حين غسله ويأمر بالسنة في ذلك وينهى عن ضدها من العوائد الرديئة ويمشي على الأسلوب الموصوف من أحوال السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين . واذا كان ذلك كذلك فينبغي أن لا يغسله ولا يكفنه الا من يرجى بركته وخيره لأن الميت آخر عهده من الدنيا هذا المواطن فينبغي أن يختم بالوسائل الشرعية التي يحصل للميت بسببها

النفع حالا وما آلا . وما زال السلف رضوان الله عليهم يوصون بما تقدم ذكره لاعتنائهم به . وحكى في ذلك حكايات كثيرة تدل على أن الميت غفر له ببركة من تولى ما تقدم ذكره . فمن ذلك ما حكى الشيخ الامام السهروردي رحمه الله في كتاب العوارف له أن رجلا ممن لا يرضى حاله مات فستل بعض الاكابر «سماء» أن يصلى عليه فامتنع من ذلك فرؤى الميت في المنام وهو في حالة حسنة فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي قيل له بماذا قال باعراض فلان عني حيث ترك الصلاة على قال الامام السهروردي رحمه الله فهو لاء اقبالهم رحمة واعراضهم رحمة . ألا ترى أنه لما أن ترك الصلاة عليه رحم لاجل أنه ميت وامثلت السنة في حقه فرحم لامثال السنة فيه . واذا كان ذلك كذلك فيتعين التحفظ على امثال السنة في هذا الموطن وان كان صاحبه معرضا في طول عمره لأن الحتام اذا كان حسنا لعله يحسن الجميع . نسأل الله الموت على الاسلام بمنه وكرمه انه قريب مجيب . وقد سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول انه كان عندهم ييلاد الاندلس امرأة مسرقة على نفسها فماتت على شر حال فرآها بعض الصالحين في النوم وهي في حالة حسنة فقال لها أنت فلانة قالت نعم فقال كيف حالك فقالت غفر لي فقال لها بماذا وقد كنت وكنت فقالت لما أن أخرج بجنازتي مربها على رجل خياط وفي كفه ثوب لسيدي فلان فصلى على فنفر لي كرامة لذلك الثوب . وقد حدثني بعض أولاد سيدي أبي محمد المرجاني رحمه الله أن والدته أنت الى أبيه فأخبرته أن أمها قد توفيت وطلبت منه قيصاً تكفنها فيه فأعطاهها فلما أن كان من الغد أخبرها بأن الملكين عليهما السلام جاءها فقال أحدهما للآخر اذهب بنا فان ثوب المرجاني عليها فلم يتعرضا لها . وكنت أعهد بمدينة فاس أن الغسالين للبوتى على قسمين قسم من أهل الخير والصلاح فاذا مات أحد ممن يرتضى دينه غسله هذا انقسم من غير أجره ولا عوض بل لا ابتغاء الثواب والقسم الثاني يغسلون

بالأجرة وهم عامة الناس . وينبغي لمن يغسل الميت أن يغتسل بعد أن يفرغ من غسله لأنه إذا وطن نفسه على الغسل بالغ في غسل الميت وتنظيفه وأكثر الناس في هذا الزمان لا يغتسلون فيدعون ذلك تحفظاً على أنفسهم فإذا تحفظوا فقد يؤول ذلك إلى الإخلال بشيء من تنظيف الميت أو ترك شيء من المأمور به فيه والله الموفق . وليحذر من هذه البدعة التي تجر إلى المحرم وهو ما اعتاده أكثرهم في هذا الزمان وهو أن ما كان على الميت يأخذه الغاسل الذي يغسله فهذه بدعة جرت إلى المحرم وذلك أن أهل الميت إذا علموا بأن الغاسل يأخذ ما على ميتهم لم يتركوا عليه شيئاً إلا ما لا بد منه وقد يترك بعضهم موصوف العورة . وقد مات بعض المباركين من المعارف قد دخلت عليه وهو يغسل وعلى عورته خرقه من عمامة شمخاتية ملبوسة وقد ابتلت بالماء فبقيت العورة موصوفة فأنكرت عليهم وأمرتهم بستره فقال الغاسل هذا الذي وجدناه ليس عندهم غير ما أخذت فوطه جديدة كانت على إذ ذاك ودفعها لهم ليستروه بها فلما رأى أخو الميت ذلك أسرع فجاء بفوطتين غليظتين جيد فستره باحداهما وعملوا الأخرى من فوقها كما تقدم ذكره قبل فانظر إلى هذه البدعة كيف تجر إلى المحرمات فعلى هذا ينبغي بل يتعين تعيين أجرة الغاسل وأن يشترط عليه أن لا يأخذ شيئاً مما يجده على الميت كائناً ما كان فتسند هذه الثلبة التي وقع بسببها كشف العورة لغير ضرورة شرعية وقد تقدم المنع من كشف العورة لخلق العانة والنجاسة إذا كانت على المحل ولا يمكن زوالها إلا بمباشرتها باليد فمن باب أولى وأحرى أن يمنع هذا . وليحذر من هذه البدعة التي اعتادها أكثرهم وهي أنهم إذا مات لهم ميت نادوا عليه وقد روى الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال لما احتضر إذا أنامت فلا تؤذنوا بي أحداً فاني أخاف أن يكون نعيي وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي فإذا مات فصلوا على وسلوني إلى ربى سلاً . لكن قد تسامح

علمنا أن الله تعالى رضى الله عنهم فى الاعلام بذلك بأن يقف الرجل على باب المسجد عند انصراف الناس من الصلاة فيقول أخوكم فلان قد مات بصوت يجهر به على سنة الجهر لاعلى ما يعهد من زعقات المؤذنين وعوائدهم فان ذلك من النعى المنهى عنه وما تقدم من النداء على الغائب فهو محمول على ما ذكر هنا من أنه يقف على باب المسجد ويجهر بصوته كما ذكر . وأما على ما اعتاده المؤذنون من زعقاتهم فيمنع والله الموفق . ثم يربط الكفن من عند رأسه ومن عند رجله وربطاً وثيقاً . ثم يأخذ فى نقله واخراجه من البيت الى النعش وذلك كله برفق وحسن سمع ووقار . وليحذر عند ذلك مما يفعله أكثر الناس وهو أنهم عند اخراج الميت يقيمون الصيحة العظيمة نساء ورجالاً وقد يختلطون وهو الغالب ويسمون ذلك وداعاً للبيت وقياماً بحقه وذلك كذب منهم وافتراء لمخالفتهم فى ذلك السنة المطهرة والغالب أن يكون مع ذلك لطم الحدود وما شاكله مما تقدم منعه فى الشرع الشريف فليحذر من هذا جهده ولا يمنع أحد من البكاء الجائز فى الشرع ما لم يكن معه رفع صوت أو لطم أو شئ من العوائد الرديئة المعهودة عندهم المنوعة شرعاً والتصبر عن البكاء أجل لمن استطاع . وليحذر من هذه البدعة التى يفعلها أكثرهم وهو أن الغاسل اذا دخل ليغسل الميت يقيمون اذذاك الصيحة العظيمة ويفعلون نحو ما تقدم من أفعالهم المذكورة قبل بل يزيد النساء على ذلك فعلاً قبيحاً وهو أن الغاسلة اذا دخلت لتغسل الميتة قام النساء اليها بالشم والضرب وهى على علم من ذلك بالعادة فتأخذ حذرهما وتتخياً منهن ويقلن لها يا وجه الشؤم فتقول هى لهن جواباً انما رأيت الشؤم عندكن الى غير ذلك من الالفاظ الرديئة ثم بعد حين يمكنها من تغسيل الميتة بعد أن تعظهن وتذكرهن بأن هذا قضاء الله تعالى وقدره وهذا كله مخالفاً للشرعية المطهرة فليحذر منه وبالله التوفيق . وكذلك يحذر ما

يفعله بعضهم وهو أنهم اذا أخذوا في غسل الميت وقد تقدم أن الموضع موضع اعتبار ورجوع وسكون يفعلون اذ ذاك ضد المراد ويكثر اللغظ مع الغاسل والمحالين لأن في ذلك الوقت يقع الاتفاق على أجرة القسل والمشاحة فيها وتقع ضجة عظيمة اذ ذاك وهو ضد فأمروا به من التذكر والاعتبار كما تقدم فيحتاج وكيل الميت أن يحاط له بما يقطع مادة هذه الأشياء المنوعة في الشرع الشريف بأن يتفق مع الغاسل والمحالين قبل الاتيان بهم على شئ. معلوم لانتزاع بينهم فيه بعد ذلك حتى يسلم من الوقوع فيما تقدم ذكره. وقد كان السلف رضوان الله عليهم ليس لهم غاسل ولا حمال بأجرة بل كانوا يغسلون بعضهم بعضا ويحمل بعضهم بعضا ويتراحمون على النعش ابتغاء الثواب فيحملونه بالنوبة والعمل عليه الى اليوم يبلاد الحجاز غالبا فن قدر على هذا فيها ونعمت ومن عجز عنه فيزيل ما يتوقع مما تقدم ذكره بالاتفاق على شئ معلوم. وكذلك يحذر مما يفعله أكثرهم في هذا الزمان وهو أن الغاسل أو الغاسلة اذا فرغا من غسل الميت وتكفينه يأتون به الى حضرة الرجال ان كان رجلا أو الى النساء ان كانت امرأة حتى يأخذوا شيئا من حطام الدنيا من الحاضرين وذلك بدعة ومخالفة للسنة المطهرة لأن من السنة اكرام الميت بتعجيل دفنه. وقد روى الأئمة الستة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اسرعوا بجنازكم فان تلك صالحة تغير تقدمونها اليه وان تلك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم) وهؤلاء يتزكونه بعد تجهيزه لغير ضرورة شرعية بل للبدعة والرغبة في حطام الدنيا وذلك منهم فعل قبيح شنيع فليحذر من هذا بما تقدم ذكره من الاتفاق على شئ معلوم يريد به ما أسدثوه من البدعة والله المسئول في الصفح والتجاوز. وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهو أن الماء الذي يغسل به الميت يجتمع تحت دكة الغسل فيعملون تراياحوها

ليرد الماء أن يسيل من نواحيها الأربع فإذا فرغوا من الغسل رفعوا الدكة ونزحوا من الماء ما أمكنهم ثم يخلطون ما بقى منه بذلك التراب ثم يحملونه ويرمونه خارج البيت فتنجس أيديهم وأجسادهم وثيابهم ثم بعد ذلك يأخذون الميت ويحملونه حتى يخرجوه من البيت ويضعونه على النعش من غير أن يغسلوا ما أصابهم من الماء النجس فينجسون الكفن ونحن قد أمرنا بطهارته وهذا عكس الحال فليحذر من هذا جهده. فإذا أخذوا في إخراجهم إلى النعش فليحذر من هذه البدعة الأخرى التي يفعلها أكثرهم وهي حضور شخص يسمونه بالمدير فيزكي الميت على الله تعالى بمثل قوله السعيد الشهيد القاضي الصدر الرئيس الصالح العابد الخاشع الورع كنهف الفقراء والمساكين وللبرأة السعيدة الشهيدة إلى غير ذلك من ألفاظهم المعبودة عندهم المنهى عنها في الشرع الشريف التي جمعت بين التزكية والكذب الصراح والمحل محل صدق وإخلاص ورجوع إلى المولى سبحانه وتعالى فقابلوه بضد المراد منهم والميت في هذا الوقت مضطر إلى الدعاء له وإظهار فقره ومسكنته واضطراره واحتياجه إلى رحمته به سبحانه وتعالى وهم يأخذون في تقيض ذلك كله فانا لله وانا إليه راجعون. ثم إن المدير لم يكتف بالتزكية للبيت والكذب في حقه حتى فعل ذلك في حق غيره من الأحياء بنحو قوله ليتقدم سيدنا القاضي الصدر الرئيس وما أشبه ذلك من التزكية المنهى عنها في الشرع ثم بعد ذلك يقول فلان الدين ينعت به بغير اسمه الشرعي وقد تقدم ما في النعوت من المنع وتعظيمه لكل واحد منهم على قدر ما يرجوه منه في الحال أو في المآل وقد تقدم أن المحل محل تواضع ورجوع وتوبة وما يفعلونه من حضور المدير وما يرضون به من أفعاله وأقواله كل ذلك تقيض وعكس حال السلف رضى الله عنهم في هذا المحل. وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها أكثرهم وذلك أن من مات له ميت بموضع وكان بقر به مسجد فإذا أتى الناس جلسوا

فى ذلك المسجد ينتظرون خروج الجنازة والمسجد انما بنى للصلاة وما أشبهها لا للجلوس فيه لا انتظار الموتى فيه المسجد عن الجلوس فيه لغير ما بنى له وبعضهم يدخل ولا يصلى التحية . وقد قال الله فى كتابه العزيز ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ قال علماءنا رحمه الله عليهم فى معناه أنها تغلق ولا تفتح الا أوقات الصلاة ويدخل فى ذلك كل من أراد الصلاة فيه أو انتظارها فى أى وقت كان . وليحذر مما يفعله أكثرهم من حضور القراء اذ ذاك ويبسط لهم حصير على الطريق أو بساط أوهما معا فيجلسون عليها ويقرؤن القرآن وفى ذلك من مخالفة الشرع الشريف أشياء . فمنها أن القرآن ينزه عن أن يقرأ فى الطرق وفى الأسواق فى مواضع النجاسات اذ الغالب على الطرق ما هو معلوم من كثرة بول الدواب وغيرها ومن لا يتحفظ من بنى آدم والقرآن ينزه عن ذلك . ومنها أن الطرقات محل للبرور فيها لا للجلوس . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على الطرقات فمن جلس فيها لغير ضرورة شرعية فهو غاصب لذلك الموضع فى وقته ذلك ومن غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة الى سبع أرضين وهم غاصبون للمواضع التى جلسوا فيها للقراءة فى وقتهم ذلك حتى ينصرفوا . ومنها ما يفعله القراء فى قرائتهم من شبه الهنوك والترجيعات كترجيع الغناء حتى أنك اذا لم تكن حاضرا معهم فى وضع وتسمعهم لا تفرق بينهم وبين الأغاني غالبا وهذا مشاهد منهم مرئى من فعلهم وهو من أكبر القبائح لو سلم من المحرم المجمع عليه وهو الزيادة فى كتاب الله تعالى والنقصان منه عمدا . وقد تقدم ما فى ذلك فى أول الكتاب فأغنى عن اعادته ومنها أنهم يأتون بالقراء فكان ينبغى أن لو كان ذلك من السنة أن تكون قرائتهم بحضرة الميت لان القرآن اذا قرئ تنزل الرحمة لعل أن تم الميت وتعمهم . لكنهم يفعلون ضد ذلك فيتركونهم يقرؤن فى الطرق فيالله وبالله العجب أين

ذهبت العقول لو لم يكن للشرع الشريف في ذلك أمر ولا نهى لكان فعله قبيحا شنيعا فكيف والشرع ينهى عنه . والحاصل من ذلك أنهم تركوا أمر الشرع ودلالة العقل وفعلوا ما زين لهم اللعين . وقد نقل الباجي رحمه الله في كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين أن ابليس اللعين يقول العجب لبنى آدم يحبون الله ويعصونه ويعضون ويغضون ويطيعونني . وليحذر من البدعة الأخرى التي يفعلها أكثرهم وهو أنهم يأتون بجماعة من الناس يسمونهم بالفقراء الذين يذكرون أمام الجنازة جماعة على صوت واحد ويتصنعون في ذكرهم ويتكلفون به على طرق مختلفة وكل طائفة لها طريق في الذكر وعادة تختص بها فيقولون هذه طريقة المسلمية مثلا وهذه طريقة كذا وهذه طريقة كذا كما جرت عادتهم في اختلافهم في الأحزاب التي يقرؤونها فيقولون هذا حزب الزاوية الفلانية وهذا حزب الزاوية الفلانية وهذا حزب الرباط الفلاني وهذا حزب الرباط الفلاني كل واحد لا يشبه الآخر غالبا . ثم العجب منهم كيف يأتون بالفقراء للذكر على الجنازة للتبرك بهم وهم عنه بمعزل لأنهم يدلون لفظ الذكر بكونهم يجعلون موضع الهمزة ياء وبعضهم ينقطع نفسه عند آخر قوله لا اله ثم يحد أصحابه قد سبقوه بالايحباب فيعيد النبي معهم في المرة الثانية وذلك ليس بذكر ويؤدب فاعله ويزجر لقبح ما أتى به من التغيير للذكر الشرعي . وإذا كان ذلك كذلك فأين البركة التي حصلت بحضورهم على أنهم لو أتوا بالذكر على وجهه لمنع فعله للحدث في الدين وقد تقدم . وليحذر من هذه البدعة الأخرى التي يفعلها أكثرهم وهي قرية العهد والحدوث وأول من أحدثها وال كان بمصر وهي تكبير المؤذنين مع الجنازة وقد تقدم فيجتمع بسببهم مع القراء والفقراء الذين يذكرون والمريدون ومن يتابعهم في فعلهم جمع شير فيبقى في الجنازة غوغاء وتخليط وتخييط فأين هذا من امثال الآية الكريمة وهي قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ

وأنصتوا لعلمكم ترحمون) وقد تقدم مافي زعقات الجميع بما لا ينبغي. ويزيد بعضهم زعقات النساء من خلفهم وكشف الوجوه والطم على الحدود وما أشبه ذلك على ما هو مشاهد معلوم منهم. وهذا وما شا كله ضد ما كانت عليه جناز السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين لان جنازهم كانت على التزام الأدب والسكون والخشوع والتضرع حتى ان صاحب المصيبة كان لا يعرف من بينهم لكثرة حزن الجميع وما أخذهم من القلق والازعاج بسبب الفكرة فيهم اليه صاثرون وعليه قادمون حتى لقد كان بعضهم يريد أن يلقي صاحبه لضرورات تقع له عنده فيلقاه في الجنازة فلا يزيد على السلام الشرعى شيئاً لشغل كل منها بما تقدم ذكره حتى أن بعضهم لا يقدر أن يأخذ الغذاء تلك الليلة لشدة ما أصابه من الجزع كما قال الحسن البصرى رضى الله عنه ميت غد يشيع ميت اليوم. وانظر رحمنا الله تعالى وإياك الى قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لمن قال فى الجنازة استغفروا لأخيكم فقال له لا غفر الله لك. فاذا كان هذا خالهم في تحفظهم في رفع الصوت بمثل هذا اللفظ فما بالك بما يفعلونه بما تقدم ذكره فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون. فعلى هذا ينبغي بل يتعين على من له عقل أن لا ينظر الى أفعال أكثر أهل الوقت ولا لعوائدهم لانه ان فعل ذلك تعذر عليه الاقتداء بأفعال السلف وأحوالهم فالسعيد السعيد من شد يده على اتباعهم فهم القوم لا يشقى بهم من جالسهم ولا من أحبهم. ان المحب لمن يحب مطيع. وقد تقدم مافي الدخول بالميت الى المسجد والحالة هذه. لكن بقى شئ لم يتقدم ذكره فيتعين التنبيه عليه وذلك أن بعض من يعتنون به من الموتى يتركونه بعد أن يصلى عليه فى المسجد ويقفون عنده يدعون ويطولون الدعاء وبعضهم يفعل ما هو أكثر من ذلك وهو تكبير المؤذنين اذ ذاك على ما تقدم من زعقاتهم ويطولون فى ذلك والسنة التعجيل بالميت الى دفنه ومواراته وفعلهم بهذا فليحذر من

هذا والله المستعان . وقد تقدم أن الصلاة على الميت في المسجد مكروهة على مذهب مالك رحمه الله جائزة على مذهب الشافعي رحمه الله فالزيادة على ذلك هي البدعة . وقد تقدم الكلام على شروط وجوب الصلاة وفرائضها وسننها وفضائلها لكن بقيت شروط الصلاة على الجنازة وأركانها وسننها . فشروطها سبعة وهي طهارة الحدث وطهارة الخبث وستر العورة واستقبال القبلة وترك الكلام وترك الافعال الكثيرة والنية . وأركانها أربعة أربع تكبيرات والدعاء والتسليم والقيام مع القدرة . وسننها ستة الاولى رفع اليدين في التكبيرة الاولى والثانية الحمد والثناء على الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والثالثة الدعاء للمؤمنين والمؤمنات والرابعة التيامن بالسلام واخفاؤه والخامسة أن تكون في جماعة والسادسة أن يوضع الميت بين يدي المصلي ورأسه الى جهة المغرب وموضع قيام المصلي في وسط الرجل والمرأة عند منكبيها على مذهب مالك رحمه الله تعالى لانه يخاف عليه ان قام في وسطها أن يتذكر بذلك ما يفسد الصلاة أو ماتتزه الصلاة عنه وهذا اذا كان الميت بمن يغسل ويصلى عليه . ويخرج من ذلك ثلاثة من الموتى لا يغسلون ولا يصلى عليهم . أولهم الشهيد بين الصفين في نصره التوحيد . والثاني السقط اذا لم يستهل صارخا ولا حكم لحركته . والثالث الكافر اذا مات على كفره وقد وردت في الدعاء في الصلاة على الميت أحاديث وآثار جملة وقد جمع الشيخ أبو محمد ابن أبي زيد رحمه الله غالب ذلك في الدعاء الذي ذكره في رسالته وهو قوله (الحمد لله الذي أمات وأحيا والحمد لله الذي يحيي الموتى له العظمة والكبرياء والملك والقدرة والسناء وهو على كل شيء قدير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت ورحمت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم انه عبدك وابن عبدك وابن أمتك أنت خلقتك وأنت رزقتك وأنت أمته وأنت تحييه وأنت أعلم بسره وعلايته جئناك شفعا له فشفعنا فيه اللهم انا نستجير بحبل جوارك له انك ذو وفاء وذمة

اللهم قد من فتحة القبر ومن عذاب جهنم اللهم اغفر له وارحمه وانف عنه وعافه وأكرم نزهه ووسع مدخله واغسله بماء وثلج وبرد نقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجته اللهم ان كان محسنا فرد في احسانه وان كان مسيئا تجاوز عن سيئاته اللهم انه قد نزل بك وانت خير من زول به فقير الى رحمتك وانت غني عن عذابه اللهم ثبت عند المسألة منطقه ولا تبتهل في قبره بما لا طاقه له به اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده) تقول هذا باثر كل تكبيرة وتقول بعد الرابعة (اللهم اغفر لحينا وميتنا وحاضرا وغائبا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأثانا انك تعلم متقلبنا ومثوانا ولو الدينار ولمن سبقنا بالايمان مغفرة عزما وللصلين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات اللهم من أحببته منا فأحبه على الايمان ومن توفيته منا قفوفه على الاسلام واسعدنا بلقائك وطيبنا للبوت وطيبه لنا واجعل فيه راحتا ومسرنا) ثم تسلم فان كانت امرأة قلت (اللهم انها أمك) ثم تبدأ بذكرها على التأنيث غير أنك لا تقول وأبدلها زوجا خيرا من زوجها لانها قد تكون زوجا في الجنة وزوجها في الدنيا ونساء الجنة مقصورات على أزواجهن لا يغيثهم بهن بدلا والرجل تكون له زوجات كثيرة في الجنة ولا يكون للمرأة أزواج فان كان طفلا فتثنى على الله تبارك وتعالى وتصلي على نبيه ثم تقول (اللهم انه عبدك وابن عبدك وابن أمك أنت خلقتة وأنت رزقته وأنت أمته وأنت تحييه اللهم اجعله لوالديه سلفا وذخرا وفرطا وأجرا وثقل به موازينهما وأعظم به أجورهما ولا تحرمنا وإياهما أجرهما ولا تفتنا وإياهما بعده اللهم ألحقه بصالح سلف المؤمنين في كفالة ابراهيم عليه السلام وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وعافه من فتحة القبر ومن عذاب جهنم) تقول ذلك باثر كل تكبيرة وتقول بعد الرابعة (اللهم اغفر لأسلافنا وأفرادنا ولمن سبقنا بالايمان اللهم من أحببته منا فأحبه على الايمان ومن توفيته

منا قفوه على الاسلام واغفر للسليين والمسلبات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات) ثم تسلم ولا بأس أن تجمع الجنائز في صلاة واحدة وبلى الامام الرجال ان كان فيهم نساء وان كانوا رجالا جعل أفضلهم بمألى الامام وجعل من دونه الصبيان والنساء من وراء ذلك الى القبلة . فان كان مأموما ولا يعرف ماهو الميت أو احداً أو أكثر أو ذكراً أو أنثى أو صغيراً أو كبيراً فانه ينوى أن يصلى على من صلى عليه امامه ثم يدعو بالدعاء المتقدم ذكره على ماتقدم فاذا أخرج الميت من موضع الصلاة عليه فقد تقدمت كيفية خروجه على السنة وما يتعاطونه من غيرها وهم يستمرون على ذلك الى أن يصلوا بها الى موضع خارج عن الاسواق يسمونه بدرب الوداع فاذا وصلوا اليه قطعوا كل ماتقدم ذكره من عوائد من القراء والفقراء الذين المؤمنون ثم يفعلون عند ذلك أيضا أفعالا مخالفة للسنة المطهرة . فنها أنهم يضعون النعش هناك ويقف ولى الميت بموضع والمدير ينادى امامه فى الناس أن يأتوا الى التعزية ويتكلم بالفاظ معلومة محتوية على الكذب والتزكية كما تقدم فيأتونه للتعزية واحدا بعد واحد والمدير يزكى ويثنى على كل واحد منهم كما تقدم . والتعزية جائزة قبل الدفن ان لم يحصل للميت بسببها تأخير عن مواراته فان حصل ذلك فتمنع . والادب فى التعزية على مانقله علماؤنا رحمة الله عليهم أن تكون عند رجوع أهل الميت بعد الدفن الى بيته وسياقته يبان صفتها فى موضعه ان شاء الله تعالى . ثم ان من عزى منهم أكثرهم يرجعون من ذلك الموضع والمشيون للجنائز انما يشيعها من يشيعها منهم لأميرين أو لأحدهما وهما الصلاة عليها ودفنها أو الصلاة عليها ليس الا . فنخرج للصلاة عليها فانصرافه من حيث صلى عليها ومن خرج لها معا فانصرافه بعد مواراتها . وكذلك من يخرج للدفن فقط لعذر يمنعه عن الصلاة وهم يرجعون من الموضع الذى يسمونه بدرب الوداع وهو ليس بواحد من الموضعين المتقدمين

الذكر ويرتكبون فيه محذورا على مذهب مالك رحمه الله لأن من مذهبه أن من دخل في عمل قربة يلزمه اتمامه وهم قد شرعوا في التشيع من الموضع الذي صلى فيه على الجنازة الى الموضع المسمى بدرب الوداع كما تقدم وهذا عمل قربة قد شرعوا فيه فيتعين عليهم اتمامه وهو أن يتبعوه الى أن يوارى بالتراب. ألا ترى الى قول مالك رحمه الله لما أن سئل عن النساء يصلين صلاة العيد قيل له أينصرفن قبل الخطبة فقال لا من دخل في عمل وجب عليه اتمامه فلا ينصرفن حتى يفرغ الامام من خطبته وان كن لا يسمعنها أو كما قال لأن صلاة العيد ليست بواجبة عليهن فلما أن شرعن فيها لزمهن اتمامها على سنتها وذلك بسماع الخطبة بعد الصلاة فكذلك فيما نحن بسبيله اذ أن اتباع الجنازة ليس بواجب فمن تبعها بعد الصلاة عليها فقد شرع في قربة فيلزمه اتمامها والالتزام لا يكون الا بمواراتها والله الموفق . وبعضهم اذا كان لهم ميت يعتنون به يتركونه عند درب الوداع ساعة يقرؤون ويذكرون ويكبرون كما تقدم من فعلهم بعد الصلاة على بعض الموقى ويسمونهم وداعا وهو مخالف للسنة لأن السنة اكرام الميت بالتعجيل بدفنه ثم ان القراء والذاكرين والمكبرين في الغالب يرجعون من هذا الموضع ثم العجب من فعلهم ذلك لأنهم يزعمون أنهم يفعلون ما يفعلون للتبرك فكان ينبغي على ما زعموا أن يصحبوا الميت بذلك كله الى أن يوارى في قبره فلما أن اقتصروا على ما فعلوا في الأسواق والطرق دون غيرها كان ذلك دليلا على أن ما فعلوه انما هو لاجل الناس . ثم ان السنة في تشيع الجنازة أن من يشيعها يمشى معها حتى تدفن وهم يفعلون غير هذا لأنهم يتبعونها حتى يصلوا عليها ويمشوا معها الى درب الوداع فاذا أتوا اليه فنهم من يمشى ومنهم من يركب وكل يسلك ما يختاره من الطرق فيسبقون الجنازة الى القبر وتبقى الجنازة تجرى بها الحاملون ولا يشيعها الا القليل من الناس ومن شدة جري الحاملين بها ترى الميت يهتز

على التعش ورأسه يخفق وبدنه يضطرب ويتمخص فؤاده وربما كان ذلك سببا الى خروج شيء من الفضلات من جوفه الى فمه أو دبره فيذهب المعنى الذى لأجله أمرنا بتغسيل الميت وهو الاكرام للقاء الملائكة وهذا كله شنيع من الفعل وأصل ذلك كله انما نشأ من مخالفة السنة والنظر اليها والتبرك بمراسمها لأنها لا تفعل فى شيء الا حلت البركة فيه وذهب كل ما يتخوف منه من المفاسد فليحذر من هذا جهده والله الموفق . فان قال قائل ان كثيرا من الناس لا يقدرّون على المشى معها لاستعجال الحاملين بها . فالجواب أن الاستعجال هنا مكروه لمخالفة السنة المطهرة ولما يخشى أن يخرج شيء من الفضلات من الميت كما تقدم فيمنعون من العجلة التى تؤدى الى الضرر بالميت وبمن يمشى معه . وهذا عكس ما يمشون به حين الخروج به من بيته الى موضع الصلاة عليه ومنه الى درب الوداع فانهم يمشون به الهوينا . وقد جاء النهى عنه بما ورد (ولا تدبوا بها كديب اليهود) وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان السنة فى المشى بالجنازة أن يكون كالشاب المسرع فى حاجته وهذا المأمور به هو وسطيين ما يفعلونه أولا من الديب بها وآخرها من الاستعجال الذى يضر بها (وكان بين ذلك قواما) فكانت السنة عند أكثرهم لا يعرفونها اذ أنهم لو عرفوها متركوها لأن السنة لا يتركها أحد مع عدم الضرورة وليس هنا ضرورة داعية الى تركها فانا لله وانا اليه راجعون . ويكون الماشون أمامها والركبان خلفها الى قبرها لأن الماشى أفضل من الراكب فيتقدم رجاء قبول شفاعته لأن حاله حال تواضع واقتدار والمحل قابل لذلك . ثم اذا مشى المشاة أمامها والركبان خلفها فالسنة أن لا يتكلم أحد مع أحد لأن الكلام فى هذا المحل لغير ضرورة شرعية بدعة اذ أنهم ذاهبون للشفاعة يرجون قبولها فيشتغلون بمأم اليه صائرون فيكون كل واحد منهم مشتغلا فى نفسه بالاعتبار وبالدعاء للميت أو لنفسه

وللمسلمين أو لجميع ذلك كله . وقد كان السلف رضى الله عنهم فى حضور جنازتهم يتناكر بعضهم من بعض كما تقدم ذكره اذا دخل عليهم شهر رمضان حتى اذا رجعوا للبلد تعارفوا على عادتهم فى ودهم الشرعى . ثم العجب من بعضهم فى كونهم يسبقون الجنائز ويجلسون ينتظرونها ويتحدثون اذ ذاك فى التجارات والصنائع وفى محاولة أمور الدنيا . ومن كان على هذه الصفة كيف يرجى قبول شفاعته . بل بعضهم يفعل ذلك والميت يقبر فى الغالب . بل بعضهم يتضاحكون حين يتكلمون وآخرون يتبسمون وآخرون يستمعون وكل ذلك مخالف للسنة المطهرة فانا لله وانا اليه راجعون . وينبغى أن يشرع أولا فى حفر القبر قبل الاخذ فى غسله . وقد كان الغالب على حال السلف رضى الله عنهم أن يحفر بعضهم لبعض كما تقدم فى الغسل وعلى ذلك أكثر أهل الحجاز الى اليوم ولا بأس باجارة من يحفره وينبغى أن يكون الحفر فى المقبرة لانه يؤمن عليه فيها بخلاف أن لو دفن فى غيرها فانه لا يؤمن من النش عليه أو وصول النجاسات اليه أو يدفن فى أرض مستعارة أعنى لا أصل لها كالكيهان وماشابهها وذلك كله ليس بحرز للميت لانه قد ينش ويبنى عليه وانما حرزه مقبرة المسلمين . وينبغى لولى الميت أن يختار له الدفن عند العلماء والأولياء والصالحين للتبرك بهم لما ورد (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) ولما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) فلعل بركة الجوار وهو الغالب أن تعود على من جاورهم ونزل بساحتهم وقد مضت عادة السلف رضى الله عنهم أن يختاروا الدفن عند قبور الآباء والأقارب عند عدم القدرة على الدفن عند الأولياء والصالحاء فان اجتماعا فياحبذا . وينبغى أن يكون الذى يحفر القبر من أهل الدين والخير والأمانة لانه لما لم يكن على هذه الصفة فقد يجد فى الموضع أثر ميت فيزيله أو يكسره وذلك لا يجوز .

لان الموضع حبس على من دفن فيه حتى لا يبقى منه أثر البتة ثم بهد ذلك يتصرف فيه وأما مع وجود شيء منه فلا يجوز ومن فعل ذلك فهو غاصب لموضع الميت الأول والتحلل منه متعذر فيتحفظ من هذا جهده وبعض الناس في هذا الزمان يحفرون ويرمون عظام الموتى بعد تكسيرها بموضع آخر وهو محرم فان لم يجد موضعاً يحفر فيه بسبب آثار الموتى التي هناك فليخرج عن المقبرة الى البرية قليلاً بحيث يكون متصلاً بها فهو أبرأ للذمة ويراعى مع ذلك أن يكون قريباً من الطريق دون شيء يستره عن المارين مثل جدار أو غيره فلعل أن يناله بركة من يمر على تلك الطريق من المسلمين ولعل من يترحم عليه منهم لان الميت مضطر الى ذلك كائناً ما كان. وحكمة دفن الميت في الصحراء قد تقدم ذكرها. وذلك بخلاف ما يفعلون في هذا الزمان وهو أن من كان له رياسة ومال عمل له تربة في البلد ودفن فيها فتصيه النجاسات وتمر عليه السرابات فينماح الميت فيها وكذلك يفعلون في المقبرة ينون فيها البيوت ويعملون فيها السرابات وبعضهم ينون الآبار والحمامات وقد تقدم قبح ذلك وما فيه من المخالفة للشرع الشريف. واذا كان ذلك كذلك فيتعين أن يبعد بالحفر عن هذه المواضع حتى لا يصل الى الميت شيء من النجاسات والرطوبات. واذا حفر القبر فينبغي أن يكون من يحفره ممن يعرف القبلة معرفة جيدة ولا يعمل على ما يجده من الحاريب في القبور لان الغالب عليها الانحراف عن القبلة لأن أكثر من يضعها لا يعرف شيئاً من علم ذلك فيقع بسببه الخطأ والخلل فان لم يكن عارفاً بذلك فيتعين عليه أن يأتي بمن يعرف الحكم في ذلك حتى يكون القبر الى القبلة بالسواء. وينبغي له بل يتعين عليه أن يحفر للميت على طوله أو أزيد قليلاً حتى اذا دخل في قبره يكون دخوله فيه بالسواء وعلى ذلك مضى السلف والخلف. وهذا بخلاف ما يفعله بعض أهل الوقت من أنهم يخالفون السنة في صفة حفر القبر فيحفرونه من

أعلاه ضيقا ومن أسفله بطول الميت أو أقل منه وذلك لا يجوز لأن الغالب في الموتى أنهم لا يمكن أن يتناولهم الرجل الواحد أعنى مع التحفظ على دخول الميت في القبر على السنة باحترامه فيحتاج الى أكثر من الواحد . ومذهب مالك رحمه الله أنه ليس لذلك حدم من شفع أو وتر ولكن قدر ما يحتاج اليه الميت ويقوم به ويكون ذلك برفق وتؤدة حتى كأن الميت لا يتحرك لوجود التلطف به في ادخاله في قبره . وإذا كان ذلك كذلك فيحتاج ولي الميت أن يأخذ قياسه ويحفر له على قدر ذلك أو يزيد قليلا ويكون ذلك بالسواء من أعلى القبر الى اللحد حتى يدخل الميت في قبره بالسواء كما تقدم ويكون من يدخله في قبره من أهل العلم والخير والصلاح لأنه آخر عهده بمن اتصف بما تقدم ذكره . وينبغي أن لا يمكن الحفارين بالاجرة في هذا الزمان أن يدخلوه في قبره لعدم اتصافهم بالعلم والصلاح غالبا فاذا أرادوا أن يدخلوه في قبره فيكون المتناولون له من أهل الخير والصلاح كما تقدم فيسلون الميت من جهة رأسه ويتناولونه قليلا قليلا برفق وأكثر الناس في هذا الزمان يفعلون ضد ذلك وهو أن الحفار يتناولوه حتى اذا نزل أكثره جعله الحفار على ركبته ثم يرميه بشدة فيقع في القبر وهو يضطرب وفي ذلك إخراج حرمة الميت وقد يكون ذلك سببا لخروج الفضلات منه كما تقدم فليحذر من هذا وما شاكله . ثم انهم يدخلونه القبر منكوسا على رأسه وذلك يمنع لثلاث معان . أحدها مخالفة السنة المطهرة لأن السنة قدمست أن يدخل في قبره بالسواء كما تقدم . المعنى الثاني أنه اذا أدخل على رأسه فقد تنزل المواد الى فيه وأنفه فتخرج كما تقدم . المعنى الثالث ما فيه من التفاؤل في أول منزل من منازل الآخرة يدخلونه فيه منكوسا على رأسه أسأل الله السلامة بئنه . وليحذر من أن يكون اللحد ضيقا عليه لأن الغالب على كثير منهم أنهم يدخلون الميت القبر فلا يسهه

فيحتاجون الى معالجة ذلك ولا تقع المعالجة بعد ادخال الميت في قبره الا باخراق حرمة . فيحتاج أن يكون اللحد أطول من الميت حتى يدخل فيه دون معالجة كما تقدم . ثم يأخذ في لحده فيزيل ما كان عليه من الرباط من ناحية رأسه ومن ناحية رجله ثم يزيل الرباط الذي كان قد جعله على عينيه وأذنيه وعلى فمه وأنفه ولا يزيل شيئاً من القطن لئلا يرى عليه أثر . وكذلك الحرق التي حلها قبل لثلا يرى عليها ذلك . ثم يحل الرباط الذي في ابهامي رجله . وكذلك يحل الرباط الذي في كفيه ويسرح يديه . ثم يضعه على جنبه الأيمن ويكون في الكفن كأنه في فراشه بعضه تحته وباقيه مغطى به . ثم يلصقه الى جهة القبلة ولا يجعل تحت رأسه شيئاً ويكون بالسواء على الأرض بجسده لأن الموضع موضع ذل وإفتقار وليس بموضع رفع رأس ولا غيره . وقد قال عمر بن الخطاب لولده عبد الله رضي الله عنهما لما أن غشى عليه في سكرات الموت وأخذ عبد الله رأسه فرفعهما على فخذه فلما أن استفاق من غشيته قال ضع رأسي على الأرض لأأم لك وقد روى عنه أيضاً أنه قال افضوا بلحيتي الى الأرض . فإذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه مع ما خصه الله تعالى به من المآثر العظيمة مع نبيه صلى الله عليه وسلم فما بالك بغيره فهو أجدر بمباشرة الأرض دون حائل وارتفاع عليها بشيء ما وهذا بعكس ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان فانهم يجعلون تحت الميت شيئاً يقيه من التراب بل بعضهم يزيد على ذلك بأن يجعل تحته طراحة وتحت رأسه وسادة . وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها أكثرهم وهو أنهم اذا جاؤا الى لحده أزالوا تلك الحرق المذكورة وأخرجوا القطن الذي أرسلوه معه في فمه وأنفه كما تقدم وصفه عنهم فيخرجونه من حلقه وتخرج المواد مع ذلك ويبقى فمه مفتوحاً وفي ذلك من الشوه ما فيه مع اخراق حرمة الميت ووجود النجاسة في القبر وذهاب المعنى الذي أمرنا بغسله له . وكذلك يحترز مما يفعله

بعضهم من أنهم يجعلون التراب في عينيه ويقولون عند ذلك لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ولا فرق في الشرع في اثم فاعل ذلك كما لو كان حيا بل هذا أشد لأنه يتعذر التحلل من الميت أسأل الله السلامة بمنه . بل يحل الرباطات كما تقدم ليس الا ويكون في ذلك كله يغمض عينه مهما قدر . فاذا أضجعه على جنبه الايمن فلتكن اليد اليمنى من الميت امامه واليسرى على جنبه الايسر ثم يأخذ حجرا كبيرا فيركزه في الأرض ويسند الميت به من خلف ظهره ولا يقتصر على اسناد الميت من خلف ظهره بالتراب وحده دون هذا الحجر لأنه اذا أسنده بالتراب ليس الا خرجت الفضلات فيتحلل التراب بنداوتها فيستلقي الميت على ظهره فيميل وجهه عن جهة القبلة والمقصود دوامه مستقبلها حتى يفنى أو يفعل الله تعالى به ما يشاء ويختار . ثم اذا فرغ من اسناده بالحجر جعل خاف الحجر ترابا يسنده به من رأس الميت الى قدمه ويكون مع ذلك خاشعا متذللا . فان كان القبر حجرا صلبا ليس فيه تراب فلا بأس أن يوثق بالرمل فيفرش تحت الميت للضرورة الداعية الى ذلك لأنه ان بقى دونه انماح في قبره ويشترط في الرمل أن يكون طاهرا . وهذا بخلاف أن لو كان القبر سبخا أو ترابا فان الاتيان بالرمل بدعة لأنه لم ينقل عن السلف رضى الله عنهم بخلاف ما اعتاده بعض الناس في هذا الزمان وهو أنهم يأتون به فيفرشونه تحته لغير الضرورة المتقدمة ذكرها وهو خلاف السنة كما تقدم . فاذا فرغ من كل ما تقدم ذكره في لحد الميت فليترصد قليلا قبل أن يأخذ في سد اللحد على الميت ليتذكر حينئذ هل نسي شيئا مما تقدم وصفه فان كان معه غيره من يعلم الحكم في ذلك كان أولى فمن نسي منهما لعل الآخر يذكره ثم يأخذ في سد اللحد ويمثل السنة في أن يقول مع ذلك مارواه أبوداود عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع الميت في قبره يقول (بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم) واستحب

ذلك الشافعي رحمه الله وقال يقول بعد التسمية (اللهم أسلمه اليك الأشحاء من ولده وأهله وقرابته وإخوانه وفارق من كان يحب قبره وخرج من سعة الدنيا والحياة الى ظلمة القبر وضيعه ونزل بك وأنت خير منزل به ان عاقبته فبذبه وان غفوت عنه فأنت أهل العفو أنت غني عن عذابه وهو فقير الى رحمتك اللهم اشكر حسناته واغفر سيئاته وأعذه من عذاب القبر واجمع له برحمتك الأمن من عذابك واكفه كل هول دون الجنة اللهم فاخلقه في تركته في الغابرين وارفعه في عليين وجد عليه بفضلك يا أرحم الراحمين) وذكر الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله أنه يقول اذا سوى عليه اللبن (اللهم انه قد نزل بك وخلف الدنيا وراء ظهره واقتر الى ما عندك وأنت غني عن عذابه اللهم ثبت عند المسألة منطقه ولا تبتله في قبره بما لا طاقة له به) وينبغي أن يتجنب ما أحدثه بعضهم من أنهم يأتون بماء الورد فيجعلونه على الميت في قبره وذلك لم يرد عن السلف رضي الله عنهم واذا لم يرد فهو بدعة . ثم العجب منهم كيف يأتون بماء الورد ويخرجون القطن من فيه وأنفه وتخرج المواد اذ ذاك وتشتم منه الروائح الكريهة ويتنجس المحل باحداثهم النجاسة في القبر برشهم ماء الورد وقد تقدم هذا وليس من السنة أن ييخر القبر ولا أن يفرش فيه ريحان لأنه خروج عن فعل السلف ويكفيه من الطيب ما قد عمل له وهو في البيت فتحن متبعون لا مبتدعون فحيث وقف سلفنا وقفنا . ثم يسد عليه اللحد وقد ذكره بعضهم أن يسد بالالواح ولهم في اللبن اتساع ان كان طاهرا وطهارته اليوم معدومة في الغالب واذا كان ذلك كذلك فالحجر يقوم مقامه . ثم يليس ما بين الحجرين بالتراب الطاهر المعجون بالماء الطاهر وان كان لا ينفى عن الميت شيئا لكن وزدت السنة به فتبع ويسد الخلل حيث كان . فاذا فرغ منه فقد تم لحده فيصعد اذ ذاك ويهال عليه التراب قال ابن حبيب يستحب لمن كان على شفير القبر أن يحثو فيه ثلاث حثيات

من تراب . وفي كتاب ابن سحنون عن مالك أنه قال ما سمعت من أمر به ولا أعرفه . وينبغي أن لا يقرأ أحد اذ ذاك القرآن لوجهين . أحدهما أن المحل محل خشرة واعتبار ونظر في المال وذلك يشغل عن استماع القرآن والله تعالى يقول في كتابه العزيز ﴿واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ والانصات متعذر لشغل القلب بالفكر فيما هو اليه صائر وعليه قادم . الوجه الثاني أنه لم يكن من فعل من مضى وهم السابقون والقدة المتبعون ونحن التابعون فيسعدنا وسعهم فالخير والبركة والرحمة في اتباعهم وفقنا الله لذلك بمنه . فاذا فرغوا من أهالة التراب عليه فليرفعوا القبر قليلا عن الأرض ويكره أن يؤتى بتراب آخر حتى يكثر ويرفع القبر به والسنه أن يكون لا طئا (١) مع الأرض لكن بعد أن يرتفع عن الأرض قليلا كما تقدم . واختلف هل يسطح القبر أو يسم على قولين فأما فعل منها كان حسنا . ولا يخصص القبر وكرمه لك أن يرص على القبر بالحجر والطين وأن يبنى عليه بطوب أو حجارة . قال الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره لما أن تكلم على قوله تعالى في سورة الكهف ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجدا﴾ روى مسلم عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه . وأخرج أبو داود والترمذي عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تخصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ . قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وروى النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تخصيص القبور وهو تفصيلها . وروى أبو داود أن يزداد عليها . ومن القرطبي روى مسلم عن أبي التياح الاسدي قال قال لي علي بن أبي طالب أبعثك على ما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أدع تماثلا الا طمسته ولا أبرأ مشرفا الا سويته . وفي

(١) لا طئا أى لاصقا

رواية ولا صورة الاطمستها وأخرجه أبو داود والترمذي . قال علماءنا ظاهره منع تسنيم القبور ورفعها وأن تكون لاطئة . وقد قال به بعض أهل العلم . وذهب الجمهور الى أن هذا الارتفاع المأمور بازالته هو ما زاد على التسنيم ويبقى للقبر ما يعرف به ويحترم وذلك صفة قبر نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على مارواه الدارقطني من حديث ابن عباس . وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيما وتعظيما فذلك يهدم ويزال فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة وتشهيدا بمن كان يعظم القبور ويعبدها وباعتبار هذه المعاني وظاهر النهي ينبغى أن يقال هو حرام والتسنيم في القبر ارتفاعه قدر شبر مأخوذ من سنام البعير ويرش عليه المساء لئلا يثثر بالريح . قال الشافعي لا بأس أن يطين وقال أبو حنيفة لا يخصص القبر ولا يطين ولا يرفع عليه بناء والدفن في التابوت جائز لا سيما في الارض الرخوة . ولا يجعل القبر مربعا . ويستحب أن يعلم عند رأسه بحجر والاصل في ذلك مارواه أبو داود باسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أن دفن عثمان بن مظعون أمر رجلا أن يأتيه بحجر فلم يستطع حمله فقام اليه صلى الله عليه وسلم فحسره عن ذراعيه ثم حمله فوضعه عند رأسه وقال أعلم به قبر أخى وأدفن اليه من مات من أهلى . فإذا فرغوا من ذلك فلينصرفوا عنه وينبغى أن لا يقرأ شيء من القصائد ولا ماشاها للوجهين المتقدمين الذكر في قراءة القرآن اذ ذاك ثم ياخذون في الانصراف وموضع التعزية على تمام الأدب اذا رجع ولي الميت الى بيته ويجوز قبله أعنى قبل الدفن وبعده كما تقدم وينبغى أن يتفقد بعد انصراف الناس عنه من كان من أهل الفضل والدين ويعف عنه عند قبره تلقاء وجهه ويقف له لان المالكين عليهم السلام اذ ذاك يسألونه وهو يسمع قرع نعال المنصرفين عنه . وقد روى أبو داود في سننه عن عثمان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف

عليه وقال (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) وروى دزين في كتابه عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول بعد ما يفرغ من دفن الميت (اللهم هذا عبدك نزل بك وأنت خير منزول به فاغفر له ووسع مدخله) وقد كان سيدي أبو حامد بن البقال وكان من كبار العلماء والصلحاء اذا حضر جنازة عزى ولها بعد الدفن وانصرف مع من ينصرف فيتوارى هنية حتى ينصرف الناس ثم يأتي الى القبر فيذكر الميت بما يجاوب به الملكين عليهما السلام . ويكون التلقين بصوت فوق السر ودون الجهر فيقول (يا فلان لا تنس ما كنت عليه في دار الدنيا من شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا جاءك الملكان عليهما السلام وسألاك فقل لهما الله ربي ومحمد نبي والقرآن امامي والكعبة قبلي) وما زاد على ذلك أو نقص بخفيف وما يفعله كثير من الناس في هذا الزمان من التلقين برفع الأصوات والزعقات لحضور الناس قبل انصرفهم فليس من السنة في شيء بل هو بدعة . وكذلك ما يفعلوه بعد انصراف الناس عنه على هذه الصفة فهو بدعة أيضا . وقد سألت سيدي أبا محمد رحمه الله فقلت له أينبغي للسكف أن يحفظ هذا التلقين في حياته حتى يكون متيسرا على لسانه اذ ذاك فانهج وقال أنت تجاوب انما يجاوب عمك ان كان صالحا فصالحا وان كان سيئا فسيئا فحصل العمل فهو يكفيك فإنه العدة التي تنجو بها بفضل الله تعالى لا اللقطة باللسان أو كما قال . وقد أمر الشرع بالتعزية فقال عليه الصلاة والسلام (اذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبتيه فانها من أعظم المصائب) وهذا أمر منه عليه الصلاة والسلام لأتمه وتسليته لهم أما الامر بقوله عليه الصلاة والسلام فليذكر مصيبتيه وأما التسليته بقوله عليه الصلاة والسلام فانها من أعظم المصائب فاذا تذكر المؤمن ما أصيب به من فقد النبي صلى الله عليه وسلم هانت عليه جميع المصائب واضمحلت ولم

يبقى لها خطر ولا بال. وقد ورد في التعزية ألفاظ متعددة. قال بعضهم وأحسن التعزية ما جاء في الحديث (أجركم الله في مصيبتكم وأعقبكم خير أمنها إن الله وأنا إليه راجعون) وينبغي أن يعزى الرجل في صديقه لأنه من المصائب وكذلك يعزى الرجل في زوجته الصالحة لأنها من المصائب. وقد ذكر الفقهاء في كتبهم ألفاظ التعزية على اختلافها ومن يعزى ومن يعزى فيه ليس هذا موضعها. وقد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكي على صبي لها فقال لها اتقي الله واصبري فقالت ومات بلى بمصيتي فلما ذهب قيل لها إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها مثل الموت فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت يا رسول الله لم أعرفك فقال (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) وروى الترمذي عن أبي سنان قال دفنت ابني سنانا وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر فلما فرغت قال ألا أبشرك قلت بلى قال حدثني أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقولون ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد) وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يقول الله تعالى مال عبدي المؤمن عندي جزءا إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلى الجنة) وينبغي لأهل الفضل والدين أن يراعوا التميز في الدين أكثر كما نقل عن بعضهم أنه قال فاتتني الصلاة في جماعة فعراني فيها فلان ولم يعزني غيره ولو مات لي ولد لعراني فيه مائة ألف أو كما قال وما ذاك إلا أن نصيب الدين عند أهل الدين أعظم من نصيب الدنيا عكس ما الحال عليه في هذا الزمان. وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهي أنهم يحملون أمام الجنائز مع الحاملين في الأقفاص الخرفان والخيز ويسمون ذلك

بعشاء القبر فإذا أتوا إلى القبر ذبحوا ما أتوا به بعد الدفن وفرقوه مع الخبز ويقع بسبب ذلك مزاحمة وضرب ويأخذ ذلك من لا يستحقه ويحرمه المستحق في الغالب . وذلك مخالف للسنة من وجوه . الأول أن ذلك من فعل الجاهلية لما رواه أبو داود عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا عقر في الإسلام) والعقر هو الذبح عند القبر كما تقدم . الثاني ما فيه من الرياء والسمعة والمباهاة والفخر لأن السنة في أفعال القرب الأسرار بها دون الجهر فهو أسلم والمشى بذلك أمام الجنائزة جمع بين اظهار الصدقة والرياء والسمعة والمباهاة والفخر ولو تصدق بذلك في البيت سرا لكان عملا صالحا لو سلم من البدعة أعني أن يتخذ ذلك سنة أو عادة لأنه لم يكن من فعل من مضى والخير كله في اتباعهم رضي الله عنهم كما تقدم غير مرة . وليحذر من هذه البدعة التي أحدثها بعض من لا يعتني بحكمة الشرع في أوامره ونواهيه وإشاراتِهِ وهي ادخال الميت في الفسقية التي أحدثوها وهي بدعة في نفسها فكيف بما يفعل فيها . فمن ذلك أنهم يفرشون فيها تحت الميت طراحة أو قطيفة أو غيرهما ويضعون تحت رأسه وسادة ويغطونه حتى كأنه مضطجع في بيته ويجعلون عنده من المشعوم ما أمكنهم من الياسمين والريحان وغيرهما ويبيتون ذلك عندهم في موضع الفسقية فيه ظلمة لأنه تحت الأرض وليس له موضع يدخل منه الضوء الا من موضع بابها وهو ضيق فيحتاجون في الغالب إلى دخول الضوء معهم وذلك فيه تفاؤل بدخول النار في هذا المحل حتى أن بعضهم يوقد الشمع ويتركه موقودا عنده لئلا يبقى في الظلام ويسد عليه باب الفسقية فهذا فيه اضاعة المال مع ما تقدم من التفاؤل ومخالفة السنة وقد يقع ذلك على الميت قبل أن يطفأ فيحرقه أو يحرق ما عليه أو يحرق غير ما كان معه مع أنه لا فائدة في الوقود لأنه لا يدوم لو لم يكن فيه ما تقدم ذكره من المحذورات لأن الفسقية إذا سد بابها امتنع دخول الهواء إليها والنار لا تقدر إلا

مع وجود الهواء فإن لم يكن خمدت في الغالب لكن قد لا تخمد حتى يجرى على الميت أو الموتي ما تقدم من الحريق ولأن الموضع موضع خشاش وهوام وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم المكاف أن يطفىء المصباح قبل نومه وعلل ذلك بأن الفويسقة تضرم على أهل البيت يبتهم ناراً والنوم هو الوفاة الصغرى وذلك منوع معه فلا يفعل ذلك في الكبرى من باب أولى وأخرى وجعل الميت في الفسقية يمنع لوجوه . الأول مخالفة السنة المطهرة في ترك الدفن وكفى بها لأن من هو في الفسقية غير مدفون لأنه لا فرق بين جعله في الفسقية أو في بيت ويغلق عليه فهذا والحالة هذه لا يطلق عليه أنه مدفون فقد تركوا الدفن وهو شعيرة من شعائر المسلمين وقد امتن الله عز وجل في كتابه العزيز علينا بالدفن فقال ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴾ فالستر في الحياة ما يتصرف فيه الإنسان من ضرورات البشرية في خلوته مما يكره أن يطلع عليه غيره ويستر عورته به والستر في الممات ستر جيف الإبدان ولولا نعمة القبور لكان شناعة بين الأشكال ويقال ما في جميع الحيوان أشد كراهة من رائحة جيفة الآدمي فستره الله بالدفن إكراماً له وتعظيماً . ومن وضع في الفسقية فقد ترك ما امتن الله تعالى به عليه من نعمة الدفن . وقد روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أبي طلحة يعوده فقال عليه الصلاة والسلام (انى لأرى أبا طلحة حدث عليه الموت فإذا توفي عجلوا به فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهري أهله) ومن جعل في الفسقية فأهله يكشفون عليه في كل وقت مات لهم ميت فقد يعرفون ما تغير من حال من كشفوا عليه من موتاهم ويشمون الروائح الكريهة منه وهو يكره في حال حياته أن يشم منه بعض ذلك . وإذا كان ذلك كذلك فلا فرق بين أن يكون في الفسقية أو بين ظهري أهله فيمنع لما فيه من خرق حرمة لأنهم يدخلون عليه نيمت آخر فإن كان قريب العهد بمن قبله

كشفوا حاله وما هو فيه من التّن والدود وغيرها حتى لقد حكى أن امرأة نزلت فسقية لوضع ميت لها فيها فوجدت ابنة لها كانت قد دفنت من مدة فرأت رأسها ووجهها يغليان دودا فذهب عقلها وهذا هو الوجه الثاني . الوجه الثالث أن باب الفسقية ضيق كما هو مشاهد مرئى وتحبس فيه الروائح الكريهة فإذا فتح لجعل ميت آخر وكان قريب العهد بمن قبله خرجت تلك الروائح الكريهة أن كان الميت طريا فأذت كل من حضر الجنازة . وأما من ينزل إليها فانه يجد من الكلفة والمشقة النهاية وقد يكون ذلك سببا لمرضه أو موته أوهما معا . الوجه الرابع أنهم يدخلونه منكوسا على رأسه وقد تقدم ما في ذلك من القبح حين ادخال الميت القبر فهو في الفسقية أجدر بالمنع لأن بابها أضيق من الشق الذي يعملونه في القبر . الوجه الخامس أنه قد اختلف علماءنا رحمة الله عليهم فيمن أُلحد ميتا وسقطت منه في القبر نفقة أو لؤلؤة أو شيء له قيمة كبيرة فلم يذكره إلا بعد أن أهيل عليه التراب أو بعضه هل يكشف مأهيل عليه من التراب ويأخذ ماسقط منه لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة المال وتركه من اضاعة المال أولا يجوز ذلك لأن فيه كشفا على الميت بعد مواراته بالتراب وذلك خرق لحرمته ولما يخشى أن يكون قد تغير حاله الى أمر مغيب عنا فيكشف عليه وينتهك ستره بذلك وذلك ممنوع في الشرع الشريف . فإذا كان هذا الخلاف فيمن سقط منه شيء له قيمة كبيرة فما بالك بمن يكشف عنه لغير ضرورة شرعية فهذا أجدر بالمنع . الوجه السادس ما فيه من القبح بهتك السر عن فيها وذلك أن أهل تلك الفسقية قد يتغيرون عن آخرهم وهو الغالب وينكشفون فيقولون عراة بمرأى ممن يمر عليهم من الناس وذلك كشفة لهم وهتك لحرمتهم وهذا موجود ظاهر . حتى لقد روى بعض أهل الفساق وحمار ميت قد طرح عليهم . فانظر بعين الانصاف ما أشنع هنا وأقبحه على مقتضى العقل فكيف والشرعة قد نهت

عنه وذمته فلام يمثلون لأمر الشرع في ذلك ولا هم يرجعون لمقتضى العقل لأن العقل يأبى ذلك أسأل الله السلامة بمنه . الوجه السابع ما حرمهم الشيطان عن بركة الدفن وما فيه من السر . ألا ترى أن المدفون إذا خرجت منه الفضلات شربتها الأرض فيبقى نظيفا في قبره ومن وضع في الفسقية ينمى في النجاسات التي تخرج منه وتتحلل من جسده . الوجه الثامن أن ادخاله في الفسقية فيه ما فيه من الفخر والكبر لأن الغالب أنه ما يفعله إلا المتكبرون والموضع موضع ذل واقطار واضطراب واظهار مسكنة واحتياج لاظهار العز والكبر . الوجه التاسع ما يفعله بعضهم من تبليط الفسقية وذلك في حال الحياة لا ينبغي فإياك به بعد المات إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ولم يبن لبنة على لبنة فأقل ما يمكن في حق المكلف أن يمثل ذلك بعدموته . الوجه العاشر ما زاده بعضهم من تبيض داخل الفسقية حتى تبقى كالبيوت التي يتفاخر بها أبناء الدنيا بعضهم على بعض في حال الحياة . وكذلك يمنع كما تقدم في التبليط سواء بسواء بل هذا أشد . الوجه الحادى عشر أن ما يفعلونه سبب لانبعاث الحشرات والنجاسات عليه وذلك أنه ينمى في قبره فتكثر الروائح لعدم التراب والحشرات تتبع الروائح حيث كانت وكذلك الكلاب والسباع والذئاب وذلك بخلاف القبر لما تقدم من أنه يشرب الفضلات من الميت . الوجه الثانى عشر ما في ذلك من تيسير السرقة على من أرادها والسرقة معصية كبرى إذا كانت في حق الأحياء فإياك بها في حق الموتى فوضع الميت في الفسقية فيه تيسير على من ابتلى بنيش القبور إذ أنه لا يحتاج في ذلك إلى كبر كلفة في الدخول إليه إلا أنه يفتح الباب ليس إلا ويتيسر عليه حيثئذ ما يريد . وفاعل المعصية ومن ييسرها عليه شريك في الأثم . الوجه الثالث عشر أن من يتحفظ منهم من التيسير على النباش يحتاجون إلى البناء الحصين والأبواب المانعة والحراس ومن يسكن فيها أو إلى جانبها ويول ويتغوط والسراب سر يعسر يانه

تحت الأرض فيؤول ذلك الى تنجيس من هناك من الموتى بنجاسة أجنبية عنهم وذلك كله مع هذه الأحوال الرديئة يحتاج الى كلفة من تحصيل دنيا لأجل البواب والقيم والحادم ومن يحرس وجعل صهر يح لهم فتزيد النداءة بذلك فينباع الميت في قبره وقد حكمت السنة بالدفن في الصحراء للسلامة من هذه المفاسد وغيرها وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية فأغنى عن اعادته . الوجه الرابع عشر ما في فعلها من ارتكاب النهي لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا عن التشبه بالأعاجم وما كان ابتداء فعلها الا من جهتهم فسرى ذلك الى بعض الناس مع كونهم لا يشعرون بارتكاب هذا النهي الصريح نسأل الله السلامة بمنه . الوجه الخامس عشر أن من دفن في القبور على ما أحكمته الشريعة له حرمة لكون قبره ظاهراً فلا يتأتى لاحد حفره ولا أن يبنى عليه ولا أن يجعل عليه سراياً بخلاف الفسقية فانها في باطن الأرض غير مرتفعة كالقبر في الغالب وليس للبيت على ظاهر الأرض أثر يعرف به فيكون ذلك سبباً الى البناء عليها حيث دثروها أو غيره من ارسال سرايا أو جعل مرحاض وما أشبه ذلك . الوجه السادس عشر أنها قد تنخسف وهو الغالب فيتضرر بها من تنخسف به وقد يهلك ثم تبقى بعد ذلك معبرة لمن يمر بها وشنعة على من فيها حتى أن بعض من لا يعرف الشرع ليطلب النظر فيها حتى يعرف الذكر من الاثني وذلك لا يجوز سيما ان وقع السيل فيكون ذلك أعظم في الكشفة وهتك الستور وذهاب حرمة المؤمن . الوجه السابع عشر من أوصى أن يدفن في فسقية فانه لا تنفذ وصيته . وقد قال ابن عبد الحكم فيما هو أيسر من هذا وهو أن من أوصى أن يبنى على قبره بيت فقال لا ولا كرامة . فالمنع هنا من باب أولى وأحرى الوجه الثامن عشر أنها تبقى مأوى للصوف ومن لا خير فيه فيختبئون فيها ويجعلون فيها ما يختارون من السرقة وغيرها حتى يتصرفوا في ذلك وكانت سبباً للستر عليهم وقد وقع ذلك . الوجه التاسع عشر أن الفسقية تمسك مواضع

جماعة من الموتى فإن كانت الأرض وقفا فيكون قاصبا لما عدا موضع جسده لأنه مستحق للغير ممن مات من المسلمين وليس له أن يحفر فيها الا قدر ضرورته وهو ما يواريه منها اذا مات. وأشد منعا من الفسقية ما اعتاده بعض من لا يقدر على كلفة النفقة في الفسقية اذا مات لهم ميت أنزلوه على الميت المتقدم لهم حتى أن بعضهم ليوصى بذلك وهو لا يجوز لما تقدم من أن الكشف على الميت بعد مواريثه محرم لأن الموضع حبس عليه فلا يجوز لغيره أن يدفن معه فيه اللهم الا أن يكون الموضع فيه من الحرارة أو السبخة بحيث يعلم أن الميت الأول قد فني ولم يبق له أثر فلا بأس به اذن مثل المعلى بمكة لشدة حرارته والبقيع بالمدينة لشدة سبخته فيبلى الميت فيهما سريعا حتى أنه لا يوجد الا التراب. ولهذا المعنى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرق البقيع بعد سنين ويدفن فيه أعنى قبور من تحقق خلو القبر منهم لما تقدم ذكره من التعليل وليحذر من هذه البدعة التي اعتادها بعضهم وهي جعل الرخام على القبور وهي بدعة وسرف وإضاعة مال وغر وخيلاء وكذلك كل ما حواه. وليحذر من أن يجعل على القبر ألواحاً من خشب عوضاً عن الرخام. وكذلك يحذر من أن يجعل عليه درابزين اذ أن هذا كله من البدع المكروهة في الشرع الشريف. وقد تقدم صفة القبر على السنة فكل ما خالفها فهو بدعة مكروهة وإضاعة مال وغر وخيلاء كما تقدم. وليحذر مما يفعله بعضهم من نقش اسم الميت وتاريخ موته على القبر سواء كان ذلك عند رأس الميت في الحجر المعلم به قبره وإن كان الحجر من السنة على الصفة المتقدمة أو كان النقش على البناء الذي اعتادوه على القبر مع كون البناء على القبر ممنوعاً كما تقدم أو كان في بلاطة منقوشة أو في لوح من خشب. وأشد من ذلك أن يكون على عمود كان رخاماً أو غيره والرخام أشد كراهة. وكذلك لو كان العمود من خشب فيمنع أيضاً. ثم انظر رحمنا الله وإياك الى البدعة كيف تجر الى المحرم

الآ ترى أن بعضهم لما أن ارتكب بدعة النقش وفي ذلك آيات من القرآن واحتوت مع ذلك على اسم من أسماء الله تعالى أو على اسم النبي صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك مما له حرمة في الشرع الشريف ثم تندثر تلك التربة ويندثر أهلها ومعارفها فيقع ذلك في الأرض إن سلم من السرقة وقد يبيعه السارق لمن يجعله في مواضع لا تليق به مثل عتبة باب أو في موضع مرحاض ويجعل ناحية الكتابة إلى الأرض إن كان مسلماً ولا يشعر بما عليه من الإثم فيه وأما إن باعه لنصراني أو يهودي فذلك أعظم لأنهم يقصدون امتنان ما تعظمه الشريعة المطهرة المحمدية وإن سلم من السرقة فيبقى موطوماً بالاقدمام منها حتى كأنه لا حرمة له وذلك ممنوع في الشرع الشريف فليحذر من ذلك جهده . وكذلك يمنع أن يوقف عند رأس الميت عمود وإن لم ينقش عليه شيء سواء كان من رخام أو حجر أو خشب أو غير ذلك لأنهم باب الخيلاء والسرف وإضاعة المال وذلك كله ممنوع في حال الحياة فما بالك به بعد الوفاة . وفيه من القبح أن فاعل ذلك يريد الظهور وبقاء اسمه وأثره بعد الموت إن كان وصى بذلك أو كان يحبه فإن لم يكن وفعله عليه غيره فبدعة ذلك محتصة بغا عليها لأن ذلك كله ممنوع في الشريعة المطهرة . ولا بأس بذكر مآثر الصالحين والعلماء والأولياء ما لم يكن منقوشاً على القبر أو على جدار أو في ورقة ملصوقة هناك فإذا كان هذا ممنوعاً فما بالك بالشمع الغليظ الكبير الذي ليست به حاجة للوقود لو كان سائناً فلم يبق إلا أن يكون ذلك إضاعة مال . وكذلك يمنع ما يفعله بعضهم من تعليق قديل على قبر من كان مشهوراً بالخير والناس يعتقدونه ليأتى الناس إلى مكان الضوء فيزورونه لأن الغرض الواجب مثل الحج وغيره إذا كان المكلف لا يمكن أن يأتي به إلا أن يرتكب محرماً كإخراج الصلاة عن وقتها وما يشبهه فإن الغرض ساقط عنه . فإذا كان هذا في الغرض فما بالك به فيما ليس بواجب وزيارة

القبور ليست بواجبة فكيف تفعل مع وجود مفاسد . وقد تقدم بعض ما يقع في زيارة القبور بالليل من المفاسد فأغنى عن اعادته . وما يدل على منع هذه الاشياء أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الأقاليم ومات كثير منهم فيها في الجهاد وغيره ولم ينقل أنه نقش على قبر واحد منهم ولا علق عليه قنديل ولا عمل عليه غير ذلك من العلامات الدالة عليه . ويدلك على صحة هذا المعنى أنه لا يعرف من قبورهم الا الفذ النادر وهم القدوة ونحن الاتباع فلو كان ذلك أمرا معمولاً به لبادرت الامة الى فعله ولاشهر الحكم فيه حتى لا يخفى على متأخرى هذه الامة . وأيضاً ففي النقش على القبر مفسدة أخرى وهى أن بعض الناس يريدون الشهرة لقبور أوليائهم فينقشون عليها اسم من مضى من المتقدمين من العلماء والصالحين لكي يهرع الناس الى زيارتهم وهذا النوع كثيراً ما يقع من بعض الجهلة بدينهم والفسقة فليحذر من هذا جهده . وليحذر مما يفعله بعضهم من أنهم يعملون على القبر سقفاً من ذهب ويجعلون هناك تصاوير وهذا فيه من القبح ما هو ظاهر بين ألا ترى أن العلماء رحمة الله عليهم اختلفوا في الاستظلال بالسقف الذى فيه الذهب هل يجوز للأحياء أن يدخلوا تحته أم لا فإذا كان هذا ممنوعاً في حق الأحياء فما بالك به في حق الموتى إذا أنهم محتاجون الى اظهار الفقر والاحتياج والاضطرار أكثر من الأحياء وفي فعل السقف المذهب من ظهور الفخر والخيلاء ما هو مذموم في حق الأحياء فما بالك به في حق الموتى لما تقدم ذكره . وأما الصور فبى نقيض المراد لأن الملائكة لا تحضر موضعاً فيه صورة والمؤمنون يطلبون حضور الملائكة عند ميتهم رجاء بركاتهم ليغفر له فإذا امتنعت الملائكة من الحضور حصل ضد البركة والخير أسأل الله السلامة بمنه . وبالجملة فالبدعة اذا عملت في شيء كثرت المفاسد فيه وقل أن تنحصر بضد ما هي السنة فانها اذا امتثلت

في شيء أنار واستنار وتجل وتجلد الله وحده

(فصل) ويستحب تهينة طعام لأهل الميت ما لم يكن الاجتماع للنياحة وشبهها لما روى الترمذى وأبو داود عن عبد الله بن جعفر قال لما جاء نعي جعفر قال النبي صلى الله عليه وسلم (اصنعوا لآل جعفر طعاما فإنه قد جاءهم ما يشغلهم) ولأن ذلك من التقرب إلى الأهل والجيران والبر لهم فكان ذلك مستحبا. ولذلك قال أصحاب الشافعى رحمة الله عليهم ينبغى لقراءة الميت أن يعملوا لأهل الميت في يومهم وليتهم طعاما يشبعهم قالوا وأما اصلاح أهل الميت طعاما وجمع الناس عليه فلم ينقل فيه شيء وهو بدعة غير مستحبة. وينبغى أن تكون التليينة من أهم ذلك لما ورد أنها تذهب الحزن. وصفها أن تكون خفيفة كأنها الماء إلا أنها يضاء لأجل الدقيق الذى يعمل فيها ويجعل فيها شيء من الملح قدر قوامها. ولا بأس أن يجعل شيء من الزيت أو الشيرج أو غيرها من الأدهان ثم يوقد عليها حتى تنضج فإن كانت أثخن من ذلك فهى الحريرة لا التليينة. وينبغى أن يقدموا شربها على الطعام لما تقدم. فلو جاءهم الطعام من مواضع متعددة فينبغى أن يتصدقوا بما فضل عنهم أو يهدوه لمن يختارون. وقد سئل مالك رحمه الله عن جمع الناس على العقيقة فأنكر ذلك وقال تشبه بالولائم ولكن يأكلون منها ويطعمون ويهدون إلى الجيران. فإذا كان هذا قوله فى العقيقة فما بالك به فى الطعام الذى اعتاد بعضهم عمله فى بيت الميت وجمع الناس عليه. قال القاضى أبو الوليد الباجى رحمه الله فى كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين له وكان سعيد بن المسيب إذا دعى إلى العرس أجاب وإذا دعى إلى الحتان أتهر الذى دعاه أو رماه بالخصى وقال لا يجيئك إلا أهل رياء وسمعة. وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال الوليمة أول يوم حق والثانى معروف والثالث سمعة ومن سمع سمع الله به. وقال أزهري بن عبد الله من

صنع طعاما لرياء وسمعة لم يستجب الله لمن دعاه ولم يخلف الله عليه نفقة ما أنفق وإذا كان هذا فى وليمة العرس والختان فما بالك بما اعتاده بعضهم فى هذا الزمان من أن أهل الميت يعملون الطعام ثلاث ليال. ويجمعون الناس عليه عكس ما حكى عن السلف رضى الله عنهم فليحذر من فعل ذلك فإنه بدعة مكروهة ولا بأس بفعله للصدقة عن الميت للمحتاجين والمضطرين للالجمع عليه ما لم يتخذ ذلك شعارا يستن به لأن أفعال القرب أفضلها ما كان سرا والله الموفق وينبغى أن يتحرز من هذه البدعة التى يفعلها بعضهم وهى أنهم يوقدون السراج أو القنديل فى الموضع الذى مات فيه الميت ثلاث ليال من غروب الشمس الى طلوعها وعند بعضهم سبع ليال وبعضهم يزيد على ذلك أنهم يفعلون مثله فى الموضع الذى غسل فيه الميت. وليحذر مما أحدثه بعضهم وهو أنهم يضعون حجرا فى الموضع الذى مات فيه الميت ويجعلون عليه سراجا يوقد الى الصبح وذلك بدعة ممن فعله. وليحذر مما أحدثه بعضهم من أن ثياب الميت لا تنسل الا فى اليوم الثالث ويقولون ان ذلك يرد عنه عذاب القبر وذلك تحكم وافترأ على الشريعة المطهرة. وليحذر مما أحدثه بعضهم من أن ولى الميت يعمل العشاء ثلاث ليال وقد تقدم بعض ذلك. وليحذر مما أحدثه بعضهم وهو أنه لا يرفع مائدة الطعام الليلالى الثلاث الا الذى وضعها. وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من أن الموضع الذى غسل فيه الميت يوضع فيه رغيف وكرز ماء ثلاث ليال بعد موته. وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أن الميت اذا مات لا يأكل أهله حتى يفرغوا من دفنه. وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أنهم اذا رجعوا الى البيت من الدفن لا يدخلون البيت حتى يغسلوا أطرافهم من أثر الميت. وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من التزام البكاء بكرة وعشية حين الغداة والعشاء. وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أن من حضر الميت عند خروج

روحه لا يعمل شغلا حتى تمضى عليه سبعة أيام . وكذلك يحذر مما أحدث بعضهم وهو أن أحدهم اذا عطس على الطعام يقولون له كلم فلانا أو فلانة ممن يجب من الاحياء باسمه ويعللون ذلك لكلا يلحق بالميت . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أن ما كان من الماء فى البيت فى زير أو غيره لا ينتفعون به ويطرحونه ويرون أنه نجس ويعللون ذلك بأن روح الميت اذا طلعت غطست فيه . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أن ولى الميت مادام حزينا على ميتة لا يأكل مع جماعته حتى ينقضى حزنه . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أن الميت اذا مات حزنوا عليه سنة كاملة لا يختضب النساء فيها بالحناء ولا يلبسن الثياب الحسان ولا يتحلين ولا يدخلن الحمام وان حصل الاضطراب الى دخوله . وقد تقدم ما فى دخول الحمام فيمنع من ذلك من ومعارفهن فاذا انقضت السنة عملن ما يعهد منهن من النقش والكتابة والغش الممنوع فى الشرع الشريف كما تقدم فيأدرن الى فعل ذلك من ومن التزم الحزن معين ويسمون ذلك بفك الحزن ويقع لهن اجتماع حتى كأنه فرح متجدد عند جميعهن وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من قولهم ان الميت اذا لم يخرج الى زيارته ليلة الجمعة بقى خاطره مكسواً آيين الموتى ويزعمون أنه يراهم اذا خرجوا من سور البلد وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من قولهم بأن الموتى يتفاخرون فى قبورهم بالأكفان وحسنها ويعللون ذلك بأن من كان من الموتى فى كفنه دئابة يعايرونه بذلك ويحكون على ذلك منامات كثيرة يطول تتبعها مما لا أصل له ولا فائدة لذكره وكذلك يحذر مما أحدثه بعض النسوة وذلك أن من كانت منهن يعز عليها الميت تخرج فى جنازته مكشوفة بغير رداء . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من التزام صبحة القبر وهو تبكيرهم الى قبر ميتهم الذى دفنوه بالأمس ثم وأقاربهم ومعارفهم وأى من غاب منهم عنها وجدوا عليه حتى كأنه ترك فرضا متعينا

وكذلك يحذر من جعل بعضهم ثوبا منشورا على القبر . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من فرش البسط وغيرها في التربة لمن يأتي الى الصبحة وغيرها وقد تقدم الكلام على ذلك ومنعه . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من نصب الخيمة على القبر . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من وقود الشمع وغيره في الليل على القبر وكان ينبغي أن لا يقرب الميت بشيء من أثر النار أصلا لما ورد في الحديث من النهي عن اتباع الميت بالنار فما بالك بها توقد عند القبر . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من أنهم اذا دفنوا الميت سكنوا عنده مدة في بيت في التربة أو قريبا وهم مع ذلك يوقدون الأحطاب الكثيرة لضروقاتهم فيتفألون عليه بوقودها عنده ويولون ويتغولون هناك وبعضهم يقعد تمام الشهر ويتعاهدونه بعد ذلك ويفعلون عنده الأشياء المعهودة منهم فتسرى النجاسة اليه كما سبق ذكره وهذا موضع النهي لما ورد من النهي عن الجلوس على المقابر . وقد حمل علماؤنا رحمة الله عليهم النهي على جلوس الانسان لحاجته على القبر فاذا كان هذا منهيًا عنه وهو على وجه الأرض ظاهر وتنشف الشمس وتنشف الرياح ويشربه التراب ويزيله من رآه غالبا فما بالك بما يفعلونه حين اقامتهم عنده من البول والغائط الكثير في الكنيف الذي هناك فتسرى الرطوبة النجسة الى الميت في قبره منه لأنه تحت الأرض فتسرع النجاسة اليه كما تقدم . واذا كان ذلك كذلك فهو أشد من قضاء الحاجة عند القبر وعليه فالمنع من ذلك من باب أولى . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من فعل الثالث للميت وعلمهم الاطعمة فيه حتى صار عندهم كأنه أمر معمول به ويشيعونه كأنه وليمة عرس ويجمعون لاجله الجمع الكثير من الأهل والأصحاب والمعارف فان بقى أحد منهم ولم يات وجدوا عليه الوجد العظيم . ثم انهم لم يقتصروا على ذلك حتى يقرأوا هناك القرآن العظيم على عوائدهم المعهودة منهم بالالخان والطريب الخارج عن حد القراءة

المشروعة بسبب الزيادة والنقصان المتفق على تحريمها ويأتون مع ذلك بالفقراء
يدّكرون ويحرفون الذكر عن مواضعه على الترتيب المعروف عندهم وبعضهم
يزيد على ذلك فيأتي بالمؤذنين يكبرون كتكبير العيد على ماضى من عاداتهم . وقد
صار هذا الحال في هذا الزمان أمرا معمولابه حتى لو تركه أحد منهم لكثير
فيه القيل والقال فكيف لو أنكر ذلك . ثم انضم اليه أنهم يتكلفون فيه التكليف
الكثير لأجل ما يحتاجونه من العوائد في ذلك . ومنهم من يأتي بالواظ الى
الرجال . ومنهم من يأتي بالواظ الى النساء ويزيدون في أقوالهم وينقصون
ويحرفون بعض ذلك ويفهمون غير المراد ويتفوهون باطلاق أشياء لا ينبغي
ذكرها على رؤس الاشهاد وقد تقدم ما في ذلك من الذم في أول الكتاب
وقد تقدم ما في الاجتماع للسمع وما في السماع مما لا ينبغي وتلك القبائح والمفاسد
موجوده في الاجتماع الثالث والسابع وتمام الشهر وتمام السنة وفي أى موضع
فعل ذلك فيه من بيت أو قبر أو غيرهما كل ذلك يمنع . وكذلك يحذر مما أحدثه
بعضهم من فعل التهليلات لموتاهم وجمعهم الجمع الكثير لذلك كما تقدم في غيره
وقد تقدم الذكر جهرا وجماعة وما فيه . ويحتجون على فعل ذلك بما حكى
عن بعض الشيوخ من المتأخرين أنه رأى في منامه بعض الموق في عذاب فذكر
لا اله الا الله سبعين ألف مرة ثم أهداها له فرآه في منامه بعد ذلك في هيئة حسنة
فسأله عن ذلك فأخبره أنه غفر له باهدائه له ثواب التسعين ألفا . وهذا ليس
فيه دليل من وجهين . أحدهما أنه منام والمنام لا يترتب عليه حكم . والثاني أنه
إنما فعلها وحده في خاصة نفسه وأهدى له ثوابها ولم يجمع لذلك الناس كما
يفعلون في هذا الزمان من الشهرة حتى صار ذلك عندهم أمرا معمولابه وأما
لو فعل ذلك أحد في خاصة نفسه وأهدى ثوابه لمن شاء فلا يمنع لأنه قد فعل خيرا
وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من ترك الفرش التي تجعل في بيت الميت .

جلوس من يأتي الى التعزية فيتركونها كذلك حتى تمضي سبعة أيام ثم بعد ذلك يزيلونها . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من زرع شجرة أو صبارة أو ريحان أو غير ذلك عند القبر ويعلمونه بوجهين . أحدهما أن الملائكة تحضر في موضع الخضره تذكر الله تعالى . والثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أن مر على قبرين وهما يعذبان فأخذ جريدة رطبة فشققها نصفين فجعل نصفها على أحد القبرين والنصف الثاني على الآخر وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا . وهذا ليس فيه حجة . أما الوجه الأول فيرده ما تقدم من المعنى الذي لأجله شرع الدفن في الصحراء وهو أن يبقى الميت في قبره نظيفا لعطش الأرض التي يدفن فيها الميت فأى فضلة خرجت شربها التراب والغرس عند القبر يستدعى ضد ذلك لأنه يحتاج الى السقي بالماء وذلك يزيل هذه الحكمة لأجل أن القبر يبقى مبلولا من داخله فلا يشرب الفضلات فينجم الميت في قبره بسبب ذلك فيصير اذن لافرق بين دفنه في الأرض التربة أو ينقرله في الحجر الصلب وقب مضى بيان ذلك . وأما الوجه الثاني فالجواب عن قوله عليه الصلاة والسلام لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا راجع الى بركة ما وقع من لمسه عليه الصلاة والسلام لتلك الجريدة . وقد نص على ذلك الامام الطرطوشي رحمه الله في كتاب سراج الملوك له لما ذكر هذا الحديث فقال عقبه وذلك لبركة يده عليه الصلاة والسلام . وما نقل عن واحد من الصحابة رضى الله عنهم فلم يصحبه عمل باقيمهم رضى الله عنهم اذ لو فهموا ذلك لبادروا بأجمعهم اليه ولكن يقتضى أن يكون الدفن في البساتين مستحبا . وقد قال الشيخ الامام أبو سليمان الخطابي رحمه الله في كتابه شرح معالم سنن أبي داود السجستاني رحمه الله وأما غرسه صلى الله عليه وسلم شق العسيب على القبر وقوله لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا فانه من ناحية التبرك بأثر النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالتخفيف عنهما وكأنه صلى الله عليه وسلم جعل

مدة بقاء الندوة فيهما حداً لما وقعت به المسألة من تخفيف العذاب عنهما وليس ذلك من أجل أن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس والعامّة في كثير من البلدان تفرس الخوص في قبورهم وتنام وأراهم ذهبوا الى هذا وليس لما يتعاطونه من ذلك وجه والله أعلم ، انتهى كلامه بلفظه ، وكذلك يحذر بما أحدثه به منهم وهو أنهم لا يستعملون الملوخية ماداموا في الحزن على ميتهم ويملكون ذلك بما اصطالحوا عليه من أنها بحمة الأجاب فاذا أكلوها تذكروا بها ميتهم فيتجدد عليهم الحزن ، وكذلك يحذر بما أحدثه بعضهم من أنهم لا يأكلون السمك مدة حزنهم على ميتهم وذلك كله من الاحداث والبدع في الدين وترك الوقوف مع حدود الشريعة المطهرة . وكان ينبغي أن لا يذكر هذا ولا يعرج عليه لظهور باطله وسماجته وقبحه . لكن لما كان الشرط في الكتاب ألاّ التّيه على بعض العوائد المخالفة للسنة وقعت الحاجة الى التّيه على بعضها ليستدل به على ما عداها والله الموفق . لا رب سواه ولا مرجوا الاياه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل في ذكر النفاس وما يفعل فيه

وكان ينبغي أن يكون هذا الفصل متقدماً على الفصل الذي قبله وهو غسل الميت وما يتعلق به مما ذكر لان الخلق أولاً ثم الموت بعده . لكن لما أن كانت أحكام الولادة تختص بالنساء تأخر ذكرها . لقوله عليه الصلاة والسلام (أخروهن حيث أخرن الله) فظهور الولد من بطن أمه هو أول خروجه الى دار التكليف . فينبغي بل يتعين على ولي المولود أن يكون ممثلاً لامر الله تعالى فيه ويتبع السنة المطهرة في حقّه لتعود بركتها على المولود في ابتداء أمره وبعده وقد تقدم أن المحتضر عند موته ينبغي أن يكون على أحسن حالاته فيما بينه وبين ربه عز وجل لانه الختام فينبغي أن يكون الابتداء مثله حين بروزه

الى الدنيا . يدل على ذلك ماورد أن الحفظة اذا صعدوا بعمل العبد فان كانت
الصحيقة أولها مبيضا وآخرها مبيضا بالحنسناات يقول الله عز وجل للملائكة
أشهدكم أنى قد غفرت له ماينهما أو كما ورد . واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة
والسلام فى الحديث المشهور وفيه كيف تركتم عبادى وهو أعلم بهم فيقولون
تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون . واذا كان ذلك كذلك فينبغى الاعتناء بأمر
المولود حين خروجه الى دار التكليف بان تمثل السنة فى حقه والمحاطب بذلك
وليه فلعل أن تحصل له بركة الامثال فى أول دخوله الى الدنيا وفى خروجه
منها فيحصل بسبب ذلك قوة الرجاء فى العفو عما بينهما فاذا كان الولى ماشيا
فى حق نفسه وفى حق المولود على طريق السنة والمنهج الاقوم ولا يرجع فى
ذلك الى عوائد أكثر أهل وقته قوى الرجاء فى التخلص . وقد تقدم فى كيفية
موت المحتضر وفى دفنه ماأحدثوا فيه من البدع هذا والمباشر لذلك الرجال
غالبا ومباشرة الرجال للعلماء أكثر من النساء فانهن محتجبات وتربين فى
الجهل غالبا بسبب ذلك فلاجل بعدهن عن العلم وأهله غالبا اتخذن عوائد
ردية متعددة قل أن تنحصر خالفن فيها الشريعة المطهرة . فينبغى لولى المولود بل
يتعين عليه أن لا يرجع اليهن ولا الى رأيهن ولا الى عوائدهن وان غضبن
أو تشوشن أو آل أمره معهن الى هجرهن أو فراقهن لأن صلة الرحم انما هى
مطلوبة فى الشرع الشريف بالاتباع والامثال لا بالابتداع بل الابتداع
اذا فعل كان قطعاً للرحم وان كان يدخل به السرور فى الوقت فهو فى الحقيقة
قطع . واذا كان ذلك كذلك فيتعين على ولى المولود أن ينظر لنفسه وللمولود
بلسان العلم فى كل مايعرض له وعليه من أمر المولود فان لم يكن من أهله فلينسأل
عن ذلك أهله قال الله تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ﴾ فبالسؤال
تقبن له السنة فيتبعها وتظهر له البدعة فيتجنبها فيدخل بذلك فى عموم قوله

تعالى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) فتحصل له المعية بسبب ذلك وأي نعمة أكبر منها لأن الباري سبحانه وتعالى اذا كان معه فقد أمن من العاهات والآفات وسلم ديناً ودنيا . فعلى هذا يتعين عليه أن يكون نظره لصلة رحمه في حق المولود أولاً حين خطبة أمه ان كان والداً . لما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام (اختاروا لنطفكم كما تختارون لصدقاتكم) هذا المقام الأول في كيفية صلة رحمه لولده . المقام الثاني حين الوطء أعنى في التسمية والاتيان بالآداب المتقدم ذكرها . المقام الثالث حين الولادة . وقد رأيت بعض المباركين وله ولد فيه بعض أعراض فكلمت والده في ذلك فقال لا أبالي به فاني امتثلت السنة حين قربت أمه فلا يكون منه الا خير وكذلك كان لما أن بلغ الصبي وكانت معه في البيت بنت عمه فجاء الى البيت فطلب قوته من خارج الباب فقيل له ألا تدخل فأني فسأله والده عن موجب ذلك فقال اني قد احتلمت البارحة فلا يحل لي أن أدخل و بنت عمي في البيت فهذه ثمرة الامثال اللهم لا تحرمنا ذلك يارب العالمين بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم . وقد تقدم أن البياعات والاجارات يشترط فيها أن تكون سالمة من الغرر والغش فهنا أوجب ليقع الامثال في حق المولود في مبدأ أمره لتحصل له البركة والتفاؤل . واذا كان ذلك كذلك فتكون القابلة أجرتها معلومة يتفق معها عليها ثم بعد ذلك ان زادها شيئاً فحكمه حكم الهبة لاحق واجب عليه فاذا أحب أن يوفى بذلك والتركه وكذلك هي ان رأته قبله منه والتركه . هذا ان كان والداً . وأما ان كان غير والد فلا يجوز له أن يعطى ذلك الا من مال نفسه وكذلك الوالد ان كان للصبي مال . واذا كان ذلك كذلك فيتعين عليه ترك ما أحدثه النساء من أن القابلة تأتي على غير معلوم غالباً فيحصل بسبب ذلك الجهالة والغرر والمغاينة والمنازعة والكلام الكثير بسبب مخالفة السنة في ترك الأجرة الشرعية بل بعضهم يرين

أن تعيين الأجرة عيب وقلة حشمة وترك رياسة. وهو لعمر الله بضد ما قالوه سواء بسواء لأن السنة المطهرة اذا تركت لا يخلقها الا ضدها فالرياسة على الحقيقة اتباع السنة فيتحرز عن ضدها جهده لتعود بركة اتباعها على الجميع من المولود والولى والقابلة ومن أعان على ذلك والله الموفق . وينبغي للولى بل يتأكد في حقه أن يسأل القابلة عن كيفية مباشرتها للمولود لأن القوابل في هذا الزمان قل أن يتحفظن من النجاسات فتباشر القابلة دم النفاس وغيره من النجاسات وتلمس المولود وما يجعل عليه من اللباس بذلك كله من غير غسل النجاسات بالماء الطهور وذلك لا يجوز بل بعض القوابل يلعقن المولود بما يتعلق بأصابعهن من النجاسات ويعلنن بأن ذلك ينفعه لكذا وكذا وذلك كله كذب وبهتان ومخالفة للسنة المطهرة لما ورد أن أول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فأتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه بتمره بعد أن لا كما في فيه الكريم صلى الله عليه وسلم ثم مضت الأمة على ذلك وهو أنه اذا ولد لم مولود أتوا به الى من يعتقدون بركته وخيره فيحنكه لم رجا بركته وما تقدم ذكره. من فعل القابلة ضد هذا سواء بسواء . ومنهن من اذا تعسرت الولادة على المرأة أخذن لباب الخبز ويجعلن في قلبه زبل الفأرة ويطعمنها ذلك من حيث لا تشعر به ويعلنن ذلك بزعمهن أنه يهون عليها الولادة وهذا باطل لا شك فيه لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (ان الله عز وجل لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها) فاذا كان فطر الصبي عند خروجه الى دار التكليف على الحرام فقد يخاف عليه لان الحرام له تأثير في القلب وان كان صاحبه لم يقصده ولم يشعر به ولو لم يكن فيه الا أنه تفاؤل ردى في كونه أظفر في ابتداء حاله عليه . فاذا كان الولي يسأل عن مثل هذه الاشياء انحسرت هذه المسألة الفاسدة . ثم يعلمها ما يجب عليها من الاحتراز من النجاسات في حقها

وحق المولود فاذا كان عندها علم بذلك فيا حبذا وان لم يكن عندها علم منه فتعلم الحكم فيه بسبب سؤاله لها عنه سيما وقد نشأ أكثرهن على عوائد رديئة اتخذنها وقد جرت الى محرمات جملة كما قد تقدم مما اتخذوه من العوائد الرديئة وهي أن تغسل الميت يأخذ ما يجد عليه فجر ذلك الى محرم وهو أن بعض أهل الميت يتركون ميتهم مكشوفاً بلا سترة أو بشيء يصف العورة أو يحكيها وكذلك فيما نحن بسبيل سواء بسواء وهو أنهم قد جرت عوائدهم أن القابلة تأخذ ما نزل فيه المولود وذلك يجر الى الضرر بالمولود ان كان أهله فقراء لأن أهلهم اذا علموا أن القابلة تأخذ ذلك لا يعتنون به وقد مضت عادة الناس أنهم يتبركون بأثر الأكاير من أهل العلم والصلاح أوهما معاً فاذا نزل المولود في ثوب أحدهم أو في خرقة من أثرهم فذلك عندهم غنم وبركة فاذا علم أهل المولود أن القابلة تأخذ ذلك أمسكوه لأنفسهم للتبرك فخرم المولود بركة مباشرة تلك الخرقة في أول ظهوره الى الدنيا بسبب البدعة كما حرم الميت السترة الشرعية بسبب البدعة التي أحدثوها في أن الغاسل يأخذ ما وجد على الميت كما سبق . ومن الناس من يتفاخر في الثوب الذي ينزل فيه المولود حتى أنهم يخرجون في ذلك عما لا ينبغي لأنهم يتخذونه من خرقة حرير غالباً . وقد ورد النهي عنه في الحديث لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ شيئاً من الذهب والحرير بيده الكريمة . وقال (هذان حرامان على ذكور أمتي حل لائناهما) فقله عليه الصلاة والسلام على ذكور أمتي ولم يقل على رجال أمتي دليل على أن لبسه حرام على الذكر وان كان صغيراً على مقتضى ظاهر الحديث والمخاطب بذلك ولي المولود وهم يأخذون الخرقة ولا يعلمون ما هو المولود أذكر أم أنثى . ولا حاجة لمن يقول قد اختلف العلماء في لباس الحرير للذكر الصغير لما تقدم من ظاهر الحديث أنه دال على المنع وأيضاً لو قلنا بجله فهو مكروه في حقه فيجنبه المولود لتحصل له البركة والتفاؤل الحسن بسبب خروجه من الخلاف وفي

ذلك عظيم الثواب لوليه لأنه المخاطب به كما تقدم . ثم ان بعض القوايل اذا استحسنت الخرفة التي أعدت لأن ينزل فيها المولود أخذتها لأنفسهن ولم يبلشن المولود به خشية أن يتغير حسننها أو ينقص ثمنها . واذا كان ذلك كذلك فدخل انقلابه على أن تأخذ ما اعتادته مما هو مجهول يمنع واذا كان معيناً أو موصوفاً بصفة تحصره فذلك سائق قليل لا كان أو كثيراً نقداً كان أو عرضاً . فوقع بسبب ما أحدثته من البسطة أن الفقراء حرموا بركة أثر الأولياء والأغنياء وقعوا في المفارقة بحطام الدنيا لأجل ما تذكره القابلة للناس من الخرفة الحرير وصفتها التي اعتادوها لنزول المولود فيها فحصل الضرر للفرقين . فاذا كانت القابلة بأجرة معلومة كما تقدم انزاح هذا وغيره من المفاسد . وينبغي أن كل من يتناول المولود يتحفظ من النجاسات كالقابلة سواء بسواء بعد التسمية لأنها مشروعة في كل الحركات والسكنات سيما في هذا الموضع الذي له قدر وبال . فاذا خرج المولود من بطن أمه الى ضوء الدنيا وجب الشكر لوجوه عديدة . أحدها أن أمه كانت في خطر عظيم حتى أنه ليس لها من مالها الا الثلث لما كانت فيه من الخطر وسلامتها نعمة من الله شاملة يحجب عليها الشكر وشكرها امثال طاعة الله تعالى واجتناب نهيه واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم اذ كانتا وهبت عمراً جديداً . الوجه الثاني أن المولود اذا خرج صحيحاً سوياً غير ناقص فهذه نعمة ثانية يحجب الشكر عليها من الأب وأقاربه ومن الأم وأقاربها على سلامتهم من النقص في ولدهم . الوجه الثالث الشكر على تكثير عددهم . وقد قال الشاعر :
رحمة الله عليهم التكاح فيه خمس خصال حميدة . أولها أنه يفض الطرف والثاني يحصن الفرج والثالث يكثر النسل والرابع يبقى الذكر والخامس يبقى الأثر .
فاذا ظهر المولود فقد كثرت به العدد ورفع به الذكر ان كان ذكرًا والأثر ان كانت أنثى فيتعين الشكر على ذلك . وقد ورد (أكثرُوا من العائلة فانكم لا تدرُونَ بأبيهم

ترزقون) فقد يكون هذا الولد للحكمة الربانية سببا لكثرة الرزق والاستراحة من التعب والنصب وهذا موجود حشا لأننا نشاهد بعض الناس يكون فقيرا ضعيفا تعبنا من التكسب بعيدا من العلم وأهله الى غير ذلك من الأحوال الناقصة فاذا حدث له مولود ظهر أمره وكثر خيره وباشر العلماء رسمع فوائدهم بواسطة ولده الى غير ذلك من النعم المترادفة . وقد حكى أن حبيبا النجار روى وهو يمشى فى ركاب ولده فعذله بعض الناس فى ذلك فقال ما عرف حبيب الابولده وهذا مشاهد لا يحتاج الى دليل ولا تمثيل . فقابلوا هذه النعم العظيمة بضدها سواء بسواء بسبب العوائد الرديئة المحدثه اذأنهم اذا ظهرت عندهم هذه النعم أقبل النساء على الزغردة ويرفعن أصولتهن بذلك مع وجود الدف والرقص واللهو واللعب والاستهتار وقلة الحياء مع التفاخر بما يصنعه من الأطعمة الكثيرة واجتماع أبناء الدنيا وحرمان الفقراء المضطرين والمحتاجين مع تشوفهم وطلبهم كل على قدر حاله وأكثرهن يقمن على هذا الحال مدة السبعة أيام ليلا ونهارا فكل من جاءت تنهى جددن لها اللهو واللعب والرقص والاستهتار الى غير ذلك من أحوالهن الرديئة . ثم مع هذه القبائح الشنيعة المزامير والابواق على الباب تعمل مع ما فى ذلك من الهرج والشهرة وقلة الحياء من عمل الذنوب حتى صار الأمر بينهم كأنه شعيرة من شعائر الدين تتبع فمن لم يفعل مثل فعلهم فكأنه ابتدع بدعة فى الدين . وقد قال بعض العلماء رحمة الله عليهم أن المرأة اذا اضطرت الى التصفيق فى صلاتها صفقت بأصبعين من يدها على ظهر يدها الاخرى لأن صوتها عورة فمنعت من الكلام وعوضت عنه التصفيق على هذه الصفة فما بالك بما أحدثته من هذه الامور الفظيعة سيما عند احداث هذه النعم المتجددة . وأشد من هذا وأقبح منه أن الغالب بمن يراهم من الرجال أو يعلم حالهم لا يغيره ولا يستقبحه ولا تشمئز نفسه بل يسر بعضهم بذلك ويعين عليه . وأشد من

ذلك كله وأعظمه قبحا وشناعة أن بعض من ينسب إلى العلم أو إلى الخرق أو إلى المشيخة يفعلون ذلك في يوتهم ويستحسنونه ممن يفعله بل يجمعون الناس عليه ويدعونهم إليه ويدعون من يفعل ذلك ولا يدعونهم إليه فانا لله وانا إليه راجعون على الجهل والجهل بالجهل . وليس ما يتعاطونه من هذه الأشياء خاصا بأمر النفاس بل هو عندهم عام في كل أمر حدث به سرور حتى في الحاج إذا قدم فعلوا مثل ما تقدم ذكره . وأما في أمر النكاح فلا تسأل عما أحدثوا فيه من المخالفات بل ما يفعلونه في النفاس نقطة من بحر ما يفعلونه في النكاح وهو كثير متعدد قل أن ينحصر أو يرجع إلى قانون معلوم لاختلافه بالنسبة إلى الأقاليم والبلاد والعوائد وما تقدم ذكره من أمر النفاس فيه غنية عن الكلام على تفصيل ما يفعلونه في النكاح . ولا يظن ظان أن هذا انكار لوليمة النكاح بل هي سنة معمول بها على الوجه المطلوب في الشرع وكذلك الضرب بالدف الشرعي وهو أن يكون سالما من الصراصر والسلسلة الحديد اللتين أحداثا فيه ويكون الفاعل لذلك أحد شخصين أما جارية من الوحش ممن لا يلتفت إلى صورتها ولا إلى سماع صوتها غالبا أو حرة متجالة لا تشهى ولا يلتذ بكلامها بخلاف من تشهى ويلتذ بكلامها فإن ذلك منها محرم لا يجوز فهذا هو اعلان النكاح وإفشائه على ما مضى من فعل السلف رضى الله عنهم بخلاف ما تسوله الأنفس الامارة بالسوء من الالتفات إلى العوائد الرديئة والاغراض الخسيسة وقد ذكر أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دخل إلى بلد فوجد فيها بعض الناس قد أصابهم حزن فضجوا وأظهروا المخالفة لما أصابهم ووجد آخرين قد أنعم عليهم ففرحوا وسروا وخرجوا بذلك إلى كفر النعمة فقال ابتلى هؤلاء فما صبروا وأنعم على هؤلاء فما شكروا فلا يمكنني المقام مع قوم هذا حالهم أو كما قال وخرج من بينهم . وهذا حال أكثر أهل هذا الزمان إلا أن الخروج من

بين أظهرهم في هذا الزمان متعذر لأن المكلف لا يخرج الى موضع آخر الا ويجد فيه مأهو مثل ماخرج عنه أو يزيد عليه فلا فائدة اذن في خروجه الا حصول التعب والنصب والاستشارة وغيرها مما يبدد حاله ويمنعه من جمع خاطره والدأب في عبادة ربه عز وجل والنظر في خلاص مهجته الى غير ذلك فالعزم على الانتقال من موضع الى آخر يوجب ما تقدم ذكره وغيره . فالحاصل من هذا أن العازم على الانتقال في هذا الزمان يعرض عن ذلك رسوم بيته وترك الخوض فيما هم بصده غير مفارق لجماعتهم فيحصل له بذلك بركة امثال السنة لقوله عليه الصلاة والسلام (نعم الصوامع بيوت أمتي) فاذا استل ما أمر به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه سلم من هذه الآفات كلها وكأنه غائب عنهم فلم يضره بعون الله تعالى وبركة نبيه عليه الصلاة والسلام شيء مما هم فيه بل يكثر أجره ويعلو أمره عند ربه بحسب ما يجد في نفسه من القلق والازعاج عند رؤيته شيء من ذلك أو سماعه وهو مع ذلك ملازم لطاعة ربه بمثل سنة نبيه عليه الصلاة والسلام لم يزعه شيء من ذلك كله بل يرى ذلك غنيمة باردة سيقته فيفتنهما ويشكر الله على ما حياه منها . لقوله عليه الصلاة والسلام (العمل في المخرج كحجرة معي) وقد تقدم هذا بما فيه كفاية . الوجه الرابع الشكر على ما في ذلك من البشارة من المولى سبحانه وتعالى للوالدين بكون أن عملها لا ينقطع وإن ماتا لأن ولدهما من سعيها واثارهما فإن كان صالحا فيخ على بخ وإن كان غير ذلك فافعل من خير حصل الثواب لو الديه من غير أن ينقص من أجره شيء وما فعل من غير ذلك فلا يصل اليها منه شيء ثم كذلك في ولدا لو لد الى منتهى انقضائهم . وهذا خير عظيم ونعمة شاملة يتعين الشكر عليها . لقوله عليه الصلاة والسلام (قيدوا النعم بالشكر) فانظر الى هذه النعمة ما أكملها وأعظمها الى غير ذلك من الوجوه التي يتعين الشكر عليها فقابلوها بضدها كما تقدم قبل . ويتعين على ولي المولود

أن يحترز مما أحدثه أيضا من أن المولود اذا جاؤا الى قطع سرته جمعوا عنده كل مولود يحتاج الى دخول ذلك البيت الذي تقطع فيه سره المولود فينثذ تقطع القابلة سره المولود ويزعم أن من لم يحضر من الصغار عند قطعها ودخل بعده تحول عيناه أو يبق يبيكي كثيرا وذلك منهم باطل لأصل له في الشرع الشريف و كل ما ليس له أصل في الشرع يتعين طرده وترك المبالاة به والله الموفق

(فصل) وينبغي أن يحذر مما يفعله بعض القوابل وهو أن الواحدة منهم اذا دخلت الى بيت وقبلت فيه لا يمكن غيرها أن تدخل عليها فيه ويعلن ذلك بزعمهم أن دم المولود ودم أمه قد وقع على يد القابلة الاولى فلا يدخل غيرها عليها فيه ومن فعل ذلك منهم وقع بينها وبين القابلة الاولى وأهل البيت شتآن وخصام كثير ويعتقدن أن فعل ذلك حرام وهذا تحكم منهم في الشرع واقتراء بين . فينبغي لولى المولود أن لا يقرب من هذا حالها حتى يبين لها حكم الشرع الشريف في ذلك قبل اتيانها فان رضيت والاتركها وأخذ سواها على المنهج الاقوم والطريق الاسلام . فلو فعل ذلك على سبيل حسن الصجبة والتألف وترك التشويش لكان ذلك حسنا . وكذلك ينبغي أن يحترز مما أحدثه بعضهم في ليلة السابع وهو أن يكون عند رأس المولود الحتمة واللوح والدواة والقلم ورغيف من الخبز وقطعة من السكر ان كان مقلدا ومن كان له سعة عمل رغيفا كبيرا من الكماج وأبلوجة من السكر وطبقا من الفاكهة وقفه من النقل وشمعا ومن كان فقيرا أخذ من كل واحد من ذلك شيئا ما فاذا كانت صبيحة تلك الليلة فرقن كل ما اجتمع عند رأسه من ذلك ويزعم أنه بركة لمن أخذه وأنه ينفعه من الصداع ويعلن ذلك أيضا بأن الملائكة تكتب بالدواة والقلم ما يجري على المولود في عمره الى حين موته وذلك كله كذب محض واقتراء من قبل أنفسهم وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من كتب عصاة المولود بالزعران يكتبون

فيها سورة يس أو غيرها من القرآن ويعصنه بها في يوم سابعه . وكذلك يحذر
 بما أحدثه بعضهن من جعل السكن التي قطعت بها سرة المولود عند رأسه
 مادامت أمة جالسة عنده فإذا قامت حملها معها تفعل هذا مدة أربعين يوما
 ويعلمن ذلك لئلا يصيبها شيء من الجان . وكذلك يحذر بما أحدثه بعضهن من
 أن المولود اذا غابت عنه أمة لضرورة في البيت ولم يكن عندها من يقعد عند
 المولود تجعل عنده كوزا مملوا ماء وشيئا من الحديد . وكذلك يحذر بما أحدثه
 بعضهن من أخذهن شيئا من الملح ويصبغن بعضه بالزعفران وبعضه بالزنجار
 غالبا ويخلطن فيه شيئا من الكمون الاسود ويوقدون الشمع الذي كان عند
 رأسه وتلبس أم المولود ثيابا حسنا ويدرن بها وبولدها البيت كله والقابلة أمامها
 حاملة للمولود وامرأة أخرى أمام القابلة معها طبق فيه الملح المذكور وينثرنه في
 البيت يمينا وشمالا وفي الطبق شيء من البخور بخور مخصوص بالولادة ويزعمن
 أنه ينفع من الأمراض والكسل والعين والجان والشر كله وهذا منهن كذب
 وافتراء وبدع ليست من الشرع المطهر في شيء . فاللييب من سلم نفسه وأهله
 وولده الى الشرع الشريف وترك كل ما أحدثه المحدثون لأن كل من أحدث شيئا
 فالغالب أنه يعلمه بتعاليل لا يقوم منها شيء على ساق لكن لا يظهر باطلها
 الا لأهل العلم والبصيرة والتمييز غالبا فليحذر من العوائد الرديئة كائنة
 ما كانت وحيث كانت فالتخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداء . أسأل الله أن
 يمن علينا بالاتباع وترك الابتداء بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم . وينبغي لولي
 المولود ان كانت له قدرة أن يعق عنه في سابعه لأنها سنة مؤكدة وحكمها حكم الأضحية
 في السن والسلامة من العيوب . وقد سئل عليه الصلاة والسلام عما يتق
 في الضحايا فأشار بيده الكريمة وقال أربع العرجاء البين عرجها والعور البين

عورها والمريضة البين مرضها والعجفاء التي لاتنقى (١) وقتها طلوع الشمس من اليوم السابع فان ولد المولود في أثناء اليوم طرح ذلك ولا يحسب ر يتحفظ فيها كما يتحفظ في الاضحية فلا يعطى الجزار أجرته من خها ولا جلدھا وكذلك القابلة لان ذلك عوض فيدخل ذلك في قسم ابياعات ولحم الاضحية والعقيقة لا يجوز بيعهما ومن هذا الباب ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان وهو أن يأتي بما يذبح في العقيقة الى المسقط فيعطى جلدھا ورأسھا وأطرافھا للصانع الذي يعملھا وذلك محرم لا يجوز. هذا ان عملھا سليخا وأما ان عملھا سميطا فقد تقدم ما في ذلك من المفاسد فأغنى عن اعادته. وينبغى أن لا يعمل بها وليمة ويدعو الناس اليھا لانه لم يكن من فعل من مضى. وقد سئل مالك رحمه الله أين صنع منها طعام ويجمع عليه الاخوان فانكر ذلك وقال تشبه بالولائم وقال انما تطبخ وتؤكل ويطعم الجيران. وينبغى ان كان المولود بمن يعق عنه أن لا يوقع عليه الاسم الا حين يذبح العقيقة ويتخير له في الاسم مدة السابع فاذا ذبح العقيقة أوقع عليه الاسم وان كان المولود بمن لا يعق عنه لفقر وليه فيسمونه في أى وقت شاؤا. ثم العجب من يدعى الفقر منهم ويعتل به على ترك سنة العقيقة ويتكلف لبعض العوائد التي أحدثوها ما يزيد على ثمن العقيقة الشرعية. فمن ذلك ما يفعله بعضهم في اليوم السابع من عمل الزلاية أو شرائها وشراء ما تؤكل به مائمه أضعاف ما يفعل به العقيقة الشرعية. هذا ما يفعله بعضهم في اليوم السابع مع وجود النفقة الكثيرة فيه لغير معنى شرعى بل للبدعة والظهور والقليل والقال. وبعضهم يفعل ذلك أيضا في اليوم الثاني من الولادة. وبعضهم يفعل ذلك في اليوم السابع وفي اليوم الثاني والثالث من الولادة. وبعضهم يقتصر على أحدهما ويعتلون في ذلك بكونهم لا يقدرّون على العقيقة والعقيقة الشرعية ثمنها أيسر وأخف من ذلك بل لو

(١) لاتنقى بضم التاء وسكون النون أى التي ليس لها نقى بكسر فسكون أى شحم.

اقتصروا على ترك ما أحدثوه في العصيدة من البدعة لكان فيه ثمن العقبة الشرعية وزيادة لأن العصيدة لا يحتاج اليها الا النفساء وحدها فزبدية واحدة أو دونها تكفيها وهم يعملون العصيدة ويشترى ما يؤكل به ويفرقون ذلك على الالهل والجيران والمعارف وهذا شيء لم يتعين عليهم ولم يندبهم الشرع اليه وان كان اطعام الطعام مندوبا اليه في الشرع الشريف لكن ما لم يعارض ذلك ترك سنة وهم لو اشتروا ثمن العصيدة وما يؤكل به ما يبق به على الوجه الشرعي لكان فيه الكفاية وزيادة . ثم يزدون مع ذلك ما يتخذونه من النقل ليلة السابع ويفرقونه في يومه كما تقدم يانه . وهذا في حق الفقير منهم . ومنهم من يعرض عن النقل المذكور حلاوة على صفة معلومة تشبه النقل يسمونها بالمغزدرات وبعضهم يسمونها بالثور وذلك من باب اسرف والبدعة وحجة الظهور والخيلاء وترك السنن والاهتبال (١) بأمرها واغتمام بركتها . ثم مع ذلك زادوا عادة ذميمة وهو أنهم لا بد أن يجددوا كسوة لأهل البيت وكنك كل ما يحتاج اليه البيت حتى الحصير لا بد من تجديدهما الى غير ذلك مما اعتادوه فانظر رحمة الله تعالى وإياك الى صرف هذه النفقات وكثرتها وتشعبها ثم انهم مع ذلك يعتلون لترك العقبة الشرعية بعدم القدرة عليها . وبعضهم يتدأبن لتلك العوائد ولبعضها ويعتلون بأن العقبة لا تجب عليهم فلا يشغلون ذمتهم بالدين لاجلها ويشغلون ذمتهم بالدين لاجل تلك العوائد عكس ما يتدبون اليه ويطلب منهم في الشرع الشريف . ثم ان التدأبن لاجل العقبة الشرعية يخلف على المنفق عليها ويسر عليه وفاء دينها كالاخمية لبركة امثال السنة فيها وكذلك في جميع أمور الامتثال ولا شك أن الشيطان اللعين ألقي اليهم ذلك حتى يحزمهم بركة امتثال السنة لاجل أن فعلها بركة وخير وغيمة وهي

بالنسبة الى ما يكلفهم من العوائد يسيرة النفقة وفيها الثواب الجزيل وفي العوائد ضد ذلك ولو لم يكن من فعل البدعة من الذم الآن النفقة فيها لا تخلف ولا يثاب عليها مع تعبها لاجلها ففيها التعب دُنياً وأخري . وفي فعل العقبة من الفوائد أشياء كثيرة منها أمثال السنة والحمد البدعة ولو لم يكن فيها من البركة الا أنها حرز للمولود من العاهات والآفات كما ورد فالسنة مهما فعلت كانت سببا لكل خير وبركة والبدعة بضد ذلك . وقد حكى عن بعضهم أنه دخل عليه بعض أصحابه فوجدوا الذهب والفضة منشورين في بيته وأولاده ذاهبون وراجعون عليها فقالوا له ياسيدنا أما هذا اضاءة مال قال بل هي في حرز قالوا له وأين الحرز قال لهم هي مزكاة وذلك حرزها فكذلك فيما نحن بسبيله من حق عنه فهو في حرز من العاهات والآفات وأقل آفة تقع بالمولود يحتاج وليه أن ينفق عليه قدر العقبة الشرعية أو أكثر منها فمن كان له لب فليبدل جهده على فعلها لأنها جمعت بين حرز المال والبدن أما البدن فسلامة المولود سيما من الآفات والعاهات كما تقدم وأما كونها حرزا للمال فان النفقة في العقبة نزر يسير بالنسبة الى ما يتكلفونه من العوائد المتقدمة ذكرها وغيرها من النفقات فيما يتوقع على المولود من توقع العاهات والآفات وفيها كثرة الثواب الجزيل لأجل امتثال السنة في فعلها وتفريقها سيما في هذا الزمان فان فيها الأجر الكثير لقلة فاعلها . لقوله عليه الصلاة والسلام (من أحيأ سنة من سنني قد أمتت فكأنما أحيأني ومن أحيأني كان معي في الجنة) فقد شهد عليه الصلاة والسلام لمن أحيأ سنة من السنن اذا أمتت بالمعية معه عليه الصلاة والسلام في الجنة . والعقبة في هذا الزمان قل أن تعرف وان عرفت عند بعضهم فلا سمح لیس الا في الغالب منهم لانهم يفعلون فيها أفعالا تخرجها عن الوجه المشروع فيها . فمنها مخالفة وقتها الشرعي الذي تدبج فيه .

لان بعضهم يؤخرها عنه وليس ذلك من السنة وان كانت تجزى عندهم
لكن فوت نفسه فضيلة امتثال السنة في الوقت الموضوع لها ومنها عدم التوفية
بشروطها اذ أنهم يعطون من لحمها وجلدها للضائع كما تقدم يانه . وقد قال
علياؤنا رحمة الله عليهم فيمن كان له ثوب للجمعة ولافضل عنده غيره فانه
يبيعه حتى يضحى فكذلك يبيعه حتى يعق عن ولده وكذلك قالوا انه يتداين
للأضحى فكذلك يتداين للعقيقة سواء بسواء واذا اختاروا له الاسم من
حين ولادته الى سابعه كما تقدم فينبغي أن يختاروا له من الأسماء ما كان سالما
من التزكية والكنى المنهى عنها في الشرع الشريف وقد تقدم ذلك بما فيه
كفاية وله في التسمية بأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأسماء الصحابة
رضى الله عنهم مقنع وبركة وخير فيقتصر على ذلك دون غيره . وقد وقع
لسيدى أبى محمد رحمه الله وهو بمدينة تونس أنه لما أن ازداده مولود طالبه
بعض عوائدهم الجارية فأبى عليهم وقال السنة أولى قال وكنت مريضا لا أقدر
على الحركة فلما أن عزمت على العقيقة وجزمت بها رأيت فيما يرى النائم
أنى ماش على طريق ومعى شخص فينما نحن نمشى في الطريق واذا بحيفة
قد عرضت لنا في وسطها فقال لى ذلك الشخص الذى كان معى عسى أنك
تعيننى على زوال هذه الجيفة عن الطريق لأن النبى صلى الله عليه وسلم يعبر
من هنا الساعة قال فقلت له نعم فأزلنا الجيفة عن الطريق ونظفناه واذا بالنبى
صلى الله عليه وسلم قد أقبل فسلمت عليه فقال لى وعليك السلام يا فقيه ورحمة
الله وبركاته فانتبهت من نومي فوجدت العافية في الوقت فأصبحت وخرجت
واشتريت الذبيحة للعقيقة بنفسى فلما أن عملتها جمعت بعض الاخوان وحدثتهم
بما جرى فاشتهر الأمر وكانت العقيقة اذ ذاك قد دثرت عند بعض الناس
حتى كانوا لا تعرف فاشتهرت بعد ذلك في البلد . وهذا هو نص الحديث

الوارد عنه عليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال من أحيا سنة من سنتي وقد تقدم فأولت الجيفة على العوائد وأولت أزالها وتنظيف الطريق على امثال السنة . والله الموفق

الختان

(فصل) وأما الختان فقد مضت عادة السلف أنهم كانوا يختنون أولادهم حين يراهقون البلوغ . لكن قد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم ختن الحسن والحسين يوم السابع أو نحوه والأمر في ذلك قريب فأى شيء فعله المكلف كان ممثلاً وذلك راجع إلى مقتضى التعليل لأن الصغير ليس بمكلف والقطع منه قبل تكليفه فيه إيلام له بما لا يلزمه في الوقت وأما ختانه حين المراهقة فهو متعين لأن كشف عورته بعد البلوغ محرم لكن يدخل عليه في ذلك الألم الشديد والبطء في البرء بخلاف الصغير فإن ألمه خفيف وبرأه قريب . واختلف ابن ولد محتونا هل يختن أم لا على قولين . فمنهم من قال هذه مؤنة كفانا الله إياها فلا حاجة تدعو إلى فعلها ولأن كشف العورة من كبير وصغير لا يباح إلا للضرورة شرعية والضرورة معدومة والحالة هذه وقال بعضهم لا بد من إجراء موسى عليه ليقع الامثال . والسنة في ختان الذكر اظهاره وفي ختان النساء اخفائه . واختلف في حقن هل يخفضن مطلقاً أو يفرق بين أهل المشرق وأهل المغرب فأهل المشرق يؤمرون به لوجود الفضلة عندهن من أصل الخلقة وأهل المغرب لا يؤمرون به لعدمها عندهن وذلك راجع إلى مقتضى التعليل فيمن ولد محتونا فكذلك هنا سواء بسواء

تم الجزء الثالث من كتاب المدخل لابن الحاج
وبله الجزء الرابع . وأوله فصل في صفة الفلاحة

فهرس

الجزء الثالث من كتاب المدخل

لابن الحاج

صحيفة

- | | |
|---|----|
| آداب المجاهد وكيفية نيته وهديه | ٢ |
| الغنيمة . الأسارى الجزية . حكم المرتدين | ٣ |
| قتال الفئة الباغية . حكم المحاربين | ٤ |
| الرمى وفضيلته | ١٦ |
| الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها | ١٨ |
| الشهادة | ٢٠ |
| آداب الفقير المنقطع وكيفية نيته وهديه | ٢٦ |
| المعرفة | ٣٩ |
| فضل في الرياء | ٤١ |
| مكائد الشيطان | ٤٩ |
| أصناف العاملين | ٥١ |
| علامة المريد | ٥٢ |
| تأسيس التقوى | ٥٦ |
| التوبة الصحيحة | ٥٧ |
| آفة الحنات | ٥٨ |
| وجوب اصلاح الباطن | ٥٩ |

صحيحة

- ٦٠ الصدق والعقل
٦٤ قبح الطمع
٦٦ التزين
٦٩ الغية والنيمة . الاستدراج
٧٠ اليقين
٧١ العجب . التواضع
٧٣ التبة والعبادة
٧٤ العلم
٧٦ عيوب النفس
٧٧ الحزن والخوف
٧٨ الزهد والخلوة
٨٣ الأشياء التي يتفرع منها فنون الخير
٨٤ تهوين سلوك الطريق والوصول اليه
٩٣ السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز
١١٤ الاجتماع بالمردان
١١٥ حد اللواط
١١٧ الدف والرقص
١١٨ الغناء
١٢٣ زهد الفقير
١٢٩ مواطن اجابة الدعاء
١٣١ آداب المرید
١٣٨ الكيمياء
١٤٧ دخول المرید الخلوة

صحيفة

- ١٥٨ بعض آداب السلوك
١٦٣ الاجتماع بالاخوان خلال الخلوة
١٦٥ آداب صحبة الأعضاء
١٦٧ أقسام الاخوان
١٧٠ آداب النفس
١٧٣ كيف يصنع المريد اذا أودى
١٧٧ نصائح للمريد
١٨٤ قدوم المريد من السفر ودخوله الرباط
١٩٣ بعض المتشبهين بالمشايخ وأهل الارادة
٢٠٥ النهى عن أخذ السبحة بلا تسبيح
٢٠٦ ترك السيئات أوجب من فعل الحسنات
٢٠٧ الأفضل التسبيح على الأصابع
٢٠٨ حقيقة أخذ العهد
٢١٨ مكانة الفقير لأخيه
٢١٩ صرف همم المريد الى الآخرة
٢٢٠ آداب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
٢٢٣ مزاحه صلى الله تعالى عليه وسلم
٢٢٩ المحنضر وما يحتاج اليه من الآداب
٢٣٠ فتنة المحنضر
٢٣٢ النهى عن السخط والتضجر عند حلول المصيبة
٢٣٤ النياحة على الميت
٢٣٥ ما يجب أن يفعل بالميت وقت موته
٢٣٧ غسل الميت

صحيفة

٢٤٠ تكفين الميت

٢٤٥ آداب المفسل

٢٤٦ النهى عن العوائد القبيحة عند الموت

٢٥١ صلاة الجنائزة

٢٥٢ الدعاء فى الصلاة على الميت

٢٥٤ التعزية

٢٥٥ تشيع الجنائزة

٢٥٨ صفة القبور

٢٦٠ دفن الميت

٢٦٢ الدعاء للميت وقت الدفن

٢٦٣ صفة القبر

٢٦٥ تلقين الميت

٢٦٦ أجر من صبر على فقد ولده

٢٦٨ كراهة الدفن فى الفسقية

٢٧٣ النهى عن الكتابة على القبور

٢٧٥ طعام أهل الميت

٢٧٦ البدع المحدثه فى المآتم

٢٨١ النفاس وما يفعل فيه

٢٩١ العقيقة

٢٩٦ الختان